Agatha Christie

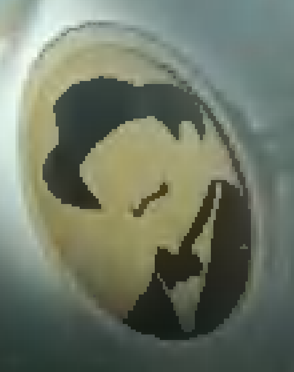
أجاثا كريستي

جرائم الأحرف المزخرفة

لغز

هيركيول بوارو

الجديد



صوفي هانا



أجاثا كريستي

جرائم الأحرف المزخرفة

لغز
هيركيول بوارو الجديد



صوفي هانا



Agatha Christie

The Monogram Murders

The Brand New
Hercule Poirot
Mystery



Sophie Hannah



إهداء

إلى أجاثا كريستي



المحتويات

الفصل ١

جيني الهاربة

قالت النادلة ذات الشعر الناعم هامسة: "كل ما أقصد قوله هو أني لا أحبها"، كان همسهـا عاليًا لدرجة أنـه تناهى إلى سمع الزبون الوحيـد الذي يجلس في مقهـى بليزانت، فبدأ يتسـاءل عما إذا كانت "الفتاة" التي يـدور الحوار حولها نادلة أخرى أم زبونة عادية مثله.

قالت النادلة: "أنا لست مجبرة على حبها، أليس كذلك؟ وإذا اعتقدت عكس ذلك، فأنتِ حرة".

قالت النادلـة قصيرة القامة ذات الوجه المستدير، والتي بدت أقل ثقة مما كانت منذ بضع لحظات: "اعتقدت أنها فتاة لطيفة".

أجابتهـا النادلـة ذات الشعر الناعم: "هذا عندما يتلقـى كبرياؤها صدمة، وبمجـرد أن تستعيد توازنها، سيبـدأ لسانها في ضخ السم من جديد. إنها تفعل عكس ما يفعله الناس. فقد قابلت الكثير من نوعيتها – لا تثقي بهن أبدًا".

قالـت النادلة ذات الوجه المستدير: "ماذا تعنين بأنها تفعل عكس ما يفعله الناس؟".

كان هيركيول بوارو، الشخص الوحيد الذي يجلس في المقهى في ذلك الوقت الذي كانت تشير فيه الساعة إلى السابعة والنصف في أمسية يوم الخميس ذاك مـن شهر فبراير، يعلم ما كانت تعنيه تلـك النادلة ذات الشعر الناعم، فابتسم



لنفسه، فلم تكن تلك المرة الأولى التي تقول فيها هذه النادلة ملاحظة تنم عن الذكاء.

قالت النادلة ذات الشعر الناعم: "يمكن أن نسامح أي شخص على كلمة حادة يقولها عندما يكون منزعجًا – فأنا أيضا أقوم بذلك، لا أخجل من الاعتراف بذلك؛ ولكن عندما أكون سعيدة، أرغب في أن يكون كل من حولي سعداء. هذا ما يجب أن يحدث؛ ولكن هناك تلك النوعية، مثل تلك الفتاة، التي تعاملك بصورة سيئة حتى وإن كن في أفضل أحوالهن. هؤلاء من الفتيات اللواتي يجب عليك الاحتراس منهن".

فكر هيركيول بوارو في نفسه: "رائع، يا لها من فتاة حكيمة!".

في الوقت ذاته، انفتح باب المقهى بعنف وارتطم بالحائط، ووقفت على عتبته امرأة شقراء الشعر ترتدي معطفًا ذا لون بني فاتح وقبعة بنية أكثر قتامة. لم يتمكن بوارو من رؤية وجهها، حيث إنها التفتت للخلف كما لو كانت تنتظر شخصًا ما ليلحق بها.

كان انفتاح الباب لبضع ثوان كافيًا لدخول هواء الليل البارد الذي طرد من الغرفة الصغيرة كل ما تحمله من دفء بين أركانها. أغضب هذا الأمر بوارو كثيرًا، إلا أنه كان مهتمًا بالوافدة الجديدة التي دخلت إلى الغرفة بصورة مسرحية غير مهتمة بالانطباع الذي خلفته في نفوس الحضور.

وضع بوارو يده على حافة قدح قهوته آملاً أن يحافظ على بعض من دفء شرابه. كان هذا المكان ذو الحوائط المحدبة في زقاق سانت جريجوري، والذي يقع في إحدى ضواحي لندن القذرة، يصنع قهوة أفضل من أية قهوة تذوقها بوارو في أي مكان آخر من العالم. لم يكن بوارو معتادًا تناول قدح من القهوة قبل العشاء وبعده – لا شك في أن هذه الفكرة كانت تخيفه كثيرًا في الظروف العادية – ولكنه كان يستثني أيام الخميس، عندما يصل إلى مقهى بليزانت في تمام السابعة والنصف مساءً، من هذه القاعدة، والآن، أصبح يعتبر هذا الاستثناء الأسبوعي عادة جديدة من عاداته.



كانت هناك عادات أخرى من عادات هذا المقهى كان يستمتع بها بقدر أقل من استمتاعه بمذاق القهوة: وضع أدوات المائدة والمنديل وكوب الماء بالشكل الصحيح على طاولته. فقد كان يدخل إلى المقهى ليجدها جميعًا موضوعة بشكل غير مستقيم. كان يبدو أن النادلات يعتقدن أنه يكفي وضع هذه الأشياء في مكان ما – في أي مكان – من الطاولة. لم يوافقهن بوارو اعتقادهن، فقد كان يلفت انتباههن إلى هذا الأمر كلما دخل إلى المكان.

نادت النادلة ذات الشعر الناعم المرأة ذات المعطف البني، والتي كانت تمسك بالباب مفتوحًا بيد واحدة وما زالت تنظر إلى الشارع، قائلة: "عذرًا، سيدتي، هل تمانعين إغلاق الباب إذا ما كنتِ ستدخلين؟ أو حتى إن لم تكوني ستدخلين. إننا لا نرغب في التجمد بردًا".

خطت المرأة للداخل، وأغلقت الباب، ولكنها لم تعتذر عن تركه مفتوحًا لهذه الفترة الطويلة. كان صوت أنفاسها الثقيلة يتردد في أرجاء الغرفة، وكان يبدو أنها لم تلحظ وجود أشخاص آخرين في المكان. حياها بوارو بعبارة: "مساء الخير" بأسلوب لطيف. التفتت نحوه نصف التفاتة ولكنها لم تجبه. كانت عيناها متسعتين في ذعر من نوع غير مألوف– نظرة قوية تكفي لجذب انتباه شخص غريب، كما لو كانت قبضة يد حقيقية.

لم يعد بوارو يشعر بالهدوء والغبطة اللتين كان يشعر بهما عندما وصل إلى المقهى، فقد تلاشى مزاجه الهادئ.

أسرعت المرأة إلى النافذة ونظرت للخارج، ففكر بوارو بأنها لن تتمكن من رؤية ما تحاول النظر إليه، حيث إن التحديق في ظلام الليل من داخل غرفة مضاءة جيدًا يجعل من المستحيل رؤية أي شيء في الخارج لأن الزجاج سيعكس صورة الغرفة التي تقف فيها. إلا أنها ظلت تحدق في الخارج لبعض الوقت، وبدا أنها مصرة على النظر إلى الشارع.

قالت النادلة ذات الشعر الناعم بنفاد صبر: "أوه، إنها أنتِ. ما الأمر؟ هل وقع خطب ما؟".



التفتت لها المرأة ذات المعطف والقبعة البنيين وقالت: "لا، أنا..."، ثم اختنقت الكلمات في حلقها، ثم تمالكت نفسها وتابعت قائلة: "لا، هل يمكنني الجلوس على الطاولة في ركن الغرفة؟"، وأشارت إلى أبعد طاولة عن الباب المؤدي للشارع.

قالت النادلة: "لديكِ مطلق الحرية في اختيار أية طاولة ترغبين فيها، اجلسي على الطاولة هناك التي بجانب طاولة هذا الرجل النبيل. إن جميع الطاولات معدة". تذكرت النادلة بوارو فالتفتت له قائلة: "إن عشاءك على وشك النضج يا سيدي". كان بوارو سعيدًا بسماع تلك الكلمات، فقد كانت جودة الطعام في مقهى بليزانت مثل جودة القهوة تمامًا. عندما أمعن بوارو التفكير في الأمر، وجد أنه من الصعب أن يصدق ما عليه الأمر: أن جميع العاملين في المطبخ إنجليز. أمر لا يمكن تصديقه.

التفتت النادلة ذات الشعر الناعم مرة أخرى إلى المرأة العابسة وقالت: "هل أنت واثقة من أن كل شيء على خير ما يرام يا جيني؟ إنكِ تبدين كما لو كنت قد رأيت الشيطان نفسه للتو".

قالت جيني: "أنا بخير، شكرًا لك. كل ما أحتاج إليه هو كوب من الشاي الساخن القوي، الشاي الذي أطلبه دائمًا، من فضلكِ". قالتها ثم أسرعت إلى الطاولة في الركن البعيد من الغرفة، ومرت بجانب بوارو دون أن تنظر إليه. أدار بوارو مقعده قليلًا ليتمكن من رؤيتها، وكان من المؤكد أن هناك خطبًا ما قد حدث لها، وبدا أنه أمر لا ترغب في التحدث عنه مع نادلة المقهى.

جلست جيني على المقعد معطية ظهرها إلى الباب المؤدي إلى الشارع، دون أن تخلع معطفها أو قبعتها، إلا أنها لم تكد تستقر في جلستها حتى أدارت رأسها لتنظر خلفها. سنحت الفرصة إلى بوارو ليتفحص وجهها بدقة أكبر، فخمن أنها في حوالي الأربعين من عمرها، وكانت عيناها الزرقاوان واسعتين ولا ترمشان، وبدتا، كما اعتقد بوارو، كما لو كانتا تنظران إلى أمر مريع أمامهما — "واجهت الشيطان نفسه للتو"، كما قالت النادلة ذات الشعر



الناعم – إلا أنه، على مرمى بصر بوارو، لم يكن هناك أي شيء لتنظر جيني إليه. فلم يكن هناك سوى الغرفة المربعة وطاولاتها ومقاعدها وحامل القبعات والمعاطف الخشبي في الركن، والرفوف الخشبية المنحنية تحت ثقل الكثير من أباريق الشاي ذات الألوان والأحجام والأشكال المختلفة.

كان مظهر هذه الرفوف يبعث بالقشعريرة في جسد المرء، فلم يكن يرى بوارو سببًا لعدم تغيير تلك الرفوف المنحنية بأخرى مستقيمة. بالطريقة نفسها، لم يتمكن من فهم سبب وضع شخص ما لشوكة على طاولة مربعة دون أن يراعي موازاتها لحافة الطاولة، إلا أنه لم يكن هناك أحد يشارك هيركيول بوارو أفكاره، فقد تقبل هذا المكان منذ زمن طويل كما هو – بعيوبه ومميزاته.

استدارت المرأة – جيني – في مقعدها وحدقت بجزع نحو الباب كما لو كانت تتوقع دخول شخص ما عبره في أية لحظة، وكانت ترتجف، وربما يكون البرد قد ساهم في تفاقم ارتجافها.

غير بوارو من رأيه، لم تكن المرأة ترتجف من البرد. فقد حل الدفء مرة أخرى أرجاء المقهى، وحيث إن جيني كانت تواصل مراقبة الباب رغم جلوسها معطية ظهرها له وفي أبعد طاولة عنه، فلم يكن هناك سوى تفسير وحيد.

أمسك بوارو بقدح القهوة بين يديه، ونهض من مقعده وتوجه إلى حيث تجلس المرأة، ولاحظ على الفور أنها لا ترتدي خاتم زواج في أصبعها. قال بوارو: "هل تسمحين لي يا آنسة في الجلوس معكِ لقليل من الوقت؟". كان بوارو يرغب في أن يرتب أدوات المائدة والمنديل وكوب المياه على طاولتها مثلما فعل في طاولته، ولكنه منع نفسه عن ذلك.

قالت جيني: "عذرًا؟ نعم، أعتقد هذا". كشفت نبرة صوتها عن أنها لم تهتم به كثيرًا، فقد كان اهتمامها منصبًا على باب المقهى، حيث إنها كانت لا تزال تراقبه بحرص وهي تجلس ملتوية في مقعدها.

بدأ بوارو الحديث قائلًا: "يسرني أن أعرفكِ على نفسي، اسمي... آه...". إذا ما أخبرها باسمه فقد تسمعه النادلة ذات الشعر الناعم والنادلات الأخريات، ولن يكون حينها ذلك "الرجل الأجنبي" الغامض بالنسبة لهم، رجل

الشرطة المتقاعد من قارة أخرى. كان لاسم هيركيول بوارو تأثير قوي على بعض الناس. وكان بوارو قد اختبر للمرة الأولى منذ عقود، خلال الأسابيع القليلة الماضية، منذ أن دخل في حالة التقاعد الممتعة، متعة أن يكون شخصًا عاديًا.

كان من الجلي أن جيني لم تكن مهتمة باسمه أو بوجوده، فقد هربت دمعة من جانب عينها وانحدرت على وجنتها.

قال بوارو: "آنسة جيني"، وكان يأمل أن الحظ سيحالفه في لفت انتباهها إذا ما ناداها باسمها الأول، "كنت في الماضي رجل شرطة، ولكني تقاعدت الآن، وقد قابلت، خلال أعوام عملي، أشخاصًا في حالة من الاضطراب تشبه الحالة التي أنتِ عليها الآن، ولا أعني الأشخاص التعساء، رغم وجودهم بوفرة في جميع بلدان العالم، بل أتحدث عن الأشخاص الذين يعتقدون بأن هناك خطرًا يحدق بهم".

تمكن بوارو، أخيرًا، من أن يترك انطباعًا لديها، حيث ثبتت جيني عينيها الواسعتين عليه قائلة: "رجل شرطة؟".

قال بوارو: "نعم، لقد تقاعدت منذ سنوات، ولكني ـــــــــ".

قالت جيني: "لا يمكنك فعل أي شيء في لندن إذن؟ لا يمكنك... أعني، أنت لا تملك أية سلطة هنا؟ لتقبض على المجرمين أو أي شيء من هذا القبيل، أليس كذلك؟".

ابتسم لها بوارو قائلاً: "هذا صحيح. في لندن، أنا مجرد رجل نبيل مسن يستمتع بتقاعده".

لم تنظر جيني نحو باب المقهى طوال حوالي عشر ثوان.

قال بوارو: "هل أنا محق يا آنسة؟ هل تعتقدين أن هناك خطرًا يحدق بك؟ هل تنظرين خلفكِ طوال الوقت لأنك تشكين بأن الشخص الذي تخافين منه سيتبعكِ إلى هنا، وسيدخل من هذا الباب في أية لحظة؟".

قالت: "أنا في خطر بالفعل"، وبدا أنها ترغب في البوح بالمزيد، "هل أنت واثق من أنك لم تعد رجل شرطة؟".

طمأنها بـوارو قائلاً: "لم أعد رجل شرطة بالتأكيـد"، ولكنه لم يكن يرغب فـي أن تعتقد أنـه لا توجد لديه أية سلطـة على الإطلاق فأضـاف قائلاً: "أحد أصدقائي محقق في سكوتلاند يارد. إن كنت بحاجة إلى مساعدة الشرطة. إنه شـاب – لا يزيد عمره على الثلاثين عامًا – ولكني أعتقد أن بانتظاره مستقبلًا باهـرًا في الشرطة. أعتقد أنـه سيكون سعيدًا بالتحدث إليـكِ. أما من جانبي، فيمكننـي أن أعرض عليكِ...". صمت بـوارو عندما اقتربت النادلة ذات الوجه المستدير حاملة قدحًا من الشاي.

بعدمـا قدمت الشـاي إلى جيني، عـادت النادلة مـرة أخرى إلـى المطبخ، وتبعتهـا النادلة ذات الشعر الناعم إلى المكان نفسه، ولأنه كان يعلم مدى حبها لتفسيـر سلوكيات زبائنها، فقـد خمن بوارو أنها تحاول فـي الوقت الحالي بدء مناقشة حامية الوطيس عن الرجل الأجنبي النبيل وزيارته غير المتوقعة لطاولة جينـي. لم يكن بوارو يتحدث مع أي من زبائن مقهـى بليزانت الآخرين إلا عند الضرورة فقط، عدا عندما يتناول العشاء مع صديقه إدوارد كاتشبوول – محقق سكوتلانديارد والذي يشاركه، بشكل مؤقت، غرفة في نزل – والذي كان يقصر صحبته عليه فقط كما تملي عليه روح التقاعد.

لـم تكـن ثرثرة نـادلات المقهى تهم بـوارو، فقد كان يفضـل غيابهن داخل المطبـخ، فقد أمل أن هذا سيشجع جيني على الحديث بصراحة أكبر معه. قال بوارو: "سيسرني أن أقدم لكِ استشارتي يا آنسة".

مسحـت جيني دموعها وقالـت: "إنكِ عطوف للغاية، ولكـن، لن يمكن لأحد مساعدتـي. أرغـب في أن يساعدني شخـص ما – أرغب في هـذا أكثر من أي شـيء! ولكن، سبـق السيف العذل. لقـد أصبحت في عداد الموتـى، أو سأموت بالفعل في القريب. لن يمكنني الاختباء للأبد".

في عداد الموتى... بعثت كلماتها المزيد من البرودة في المكان.

تابعـت حديثهـا قائلة: "لن يوجد مـن يساعدني إذن، حتـى وإن وجد، فإني لا أستحقهـا. ولكن... أشعر بالراحة لجلوسك معـي على الطاولة". ثم أحاطت نفسها بذراعيها، سواءً من أجل الراحة، أو في محاولة يائسة منها لمنع جسدها

عن الارتعاد. لم تكن قد ارتشفت قطرة واحدة من قدح الشاي أمامها، ثم قالت: "ابـق معي من فضلك. لن يحدث لي شيء مادمـت تتحدث إليَّ. هذا على الأقل يمنحني بعض الراحة".

قـال بوارو: "هـذا أمر مقلق يا آنسة. إنك على قيد الحيـاة الآن، وعلينا أن نبذل قصارى وسعنا لتبقى على قيد الحياة. أخبريني من فضلك...".

اتسعـت عيناها عـن آخرهما، وانكمشت في مقعدهـا قائلة: "لا، لا، لا يجب أن تعـرف. لا يمكن فعل شيء لإيقاف هذا الأمر. لا يمكن إيقافه، مستحيل. أمر محتم. بمجرد أن أموت، ستتحقق العدالة، أخيرًا". ثم نظرت خلفها نحو الباب مرة أخرى.

قطب بوارو حاجبيـه. ربما شعرت جيني بأنها أفضل عندما جلس معها على الطاولـة، إلا أنـه كان يشعر بشعور أسـوأ، ثم قال: "هل فهمـت الأمر بالصورة الصحيحة؟ هل هناك من يتعقبكِ ويرغب في قتلك؟".

ثبتـت جيني عينيها الزرقاويـن الدامعتين عليه وقالت: "هل سيعتبر قتلاً إن استسلمت للأمر وتركته يحدث؟ لقد سئمت من الهرب والاختباء والخوف حتى المـوت. أرغب فـي أن ينتهي الأمر، حتى وإن كان هذا يعنـي أن أموت، وهذا ما سيحـدث. لأنه يجب أن أموت. هذه هي الطريقة الوحيدة لتصحيح الأمور. هذا ما أستحقه".

قال بوارو: "لا يجب أن يحدث هذا، ودون أن أعرف أي شيء عما حدث لكِ، فإنـي لا أتفق معكِ. لا يمكن أن يكون القتل بالأمر الصحيح على الإطلاق. يجب أن تدعي صديقي – الشرطي – يساعدكِ".

قالت: "لا، لا تخبره أو أي شخص آخر عن هذا الأمر. عدني بأنك لن تفعل!".

لم يكـن هيركيول بوارو ممن يقطعون على أنفسهـم وعودًا لا يمكنهم الوفاء بها.

قال: "ما الذي فعلته ويتطلب القتل كعقاب لكِ؟ هل قتلتِ أحدًا؟".

قالت: "لم يكن قتلي لأحد ليصنع فارقًا كبيرًا، ليس القتل هو الأمر الوحيد الذي لا يمكن غفرانه، كما تعلم. لا أعتقد أنك فعلت أي شيء لا يمكن غفرانه، أليس كذلك؟".

قال: "مثل الأمر الذي ارتكبته أنت؟ والذي تعتقدين أنكِ يجب أن تدفعي حياتكِ ثمنًا له؟ لا. هذا الأمر ليس صحيحًا. إذا تمكنت من إقناعكِ بالذهاب معي إلى النزل الذي أسكن به – إنه قريب للغاية. سيساعدكِ صديقي من سكوتلانديارد، السيد كاتشبوول ــــــــ".

قفزت جيني من مقعدها قائلة: "لا".

قال بوارو: "اجلسي من فضلكِ يا آنسة".

قالت: "لا. لقد قلت الكثير. يا لي من حمقاء! لقد أخبرتك بالأمر لأنك بدوت عطوفًا للغاية، واعتقدت بأنه لا حول لك ولا قوة. إن لم تكن أخبرتني بأنك قد تقاعدت وبأنك من بلد آخر، لم أكن لأتفوه بكلمة معك. عدني بأنه إن عُثر عليَّ قتيلة، فإنك ستخبر صديقك الشرطي بألا يبحث عن قاتلي". ثم أغلقت عينيها وضمت كفيها معًا وقالت: "من فضلك، لا تدع أحدًا يفتح أفواههم. لا يجب حل هذه الجريمة. عدني بأنك ستخبر صديقك الشرطي بذلك وبأنك ستجبره على أن يوافق. إذا كنت تسعى لتحقيق العدالة، فمن فضلك، افعل ما أطلبه منك".

نهضت جيني واندفعت نحو الباب فجأة، فوقف بوارو ليتبعها، ولكن، عندما رأى المسافة التي قطعتها خلال نهوضه من مكانه، جلس مرة أخرى وأطلق تنهيدة ثقيلة، فقد كان لحاقه بها لا طائل منه. رحلت جيني تحت جنح ظلام الليل، ولن يمكنه اللحاق بها.

في اللحظة ذاتها، انفتح باب المطبخ، وظهرت النادلة ذات الشعر الناعم حاملة عشاء بوارو، وأزعجت رائحة الطعام معدة بوارو الذي فقد شهيته تمامًا.

سألته النادلة قائلة: "أين جيني؟"، كما لو كان المسئول عن اختفائها، وقد كان، بالفعل، يشعر بأنه المسئول عن اختفائها. لو كانت حركته أسرع، أو تخير كلماته بحرص أكبر...

قالت النادلة: "لقد فاض بي الكيل". ثم ألقت وجبة بوارو على الطاولة بعنف وعادت نحـو باب المطبخ وفتحته وهي تصيح: "لقد نهضت جيني وغادرت دون أن تدفع الحساب".

غمغم هيركيول بوارو لنفسه قائلاً: "ولكن، ما الذي يجب على جيني أن تدفع ثمنه؟".

*

بعـد دقيقة، وبعد محاولـة فاشلة لتناول بعض من وجبته التي تتكون من شريحة اللحـم مع سوفليه الشعيرية، طرق بوارو على بـاب مطبخ مقهى بليزانت والذي فتحـت النادلـة ذات الشعر الناعم فتحة ضيقة منه حتى لا يظهر أي شيء من المطبخ من خلفها.

قالت: "هل هناك خطب ما بعشائك يا سيدي؟".

عرض عليها بـوارو قائـلاً: "اسمحي لي أن أدفـع ثمن الشـاي الذي تركته الآنسة جيني، وفي المقابل، هل تسمحين بالإجابة عن بعض الأسئلة؟".

قالت النادلة: "أنت تعرف جيني، إذن؟. أنا لم أركما معًا من قبل".

قال بوارو: "لا، لا أعرفها، ولهذا السبب سأطرح عليكِ بعض الأسئلة".

قالت: "لماذا ذهبت للجلوس معها إذن؟".

قـال: "لقد بدت خائفة وعابسة بشدة، وقد راعتني رؤيتها على هذه الحالة، وكنت آمل أن أتمكن من تقديم بعض المساعدة لها".

قالت النادلة: "الفتيات من نوعية جيني لا يمكن مساعدتهن. حسنًا، سأجيب عن أسئلتك، ولكني سأطرح عليك سؤالاً واحدًا أولاً: أين كنت تعمل شرطيًا؟".

لم يوضح لها بوارو أنها سألته بالفعل ثلاثة أسئلة سابقة، وأن هذا هو السؤال الرابع.

ضيقـت النادلـة عينيهـا متفحصة إيـاه وقالت: "مـن مـكان يتحدثون فيه الفرنسيـة – ولكن ليس فرنسـا، أليس كذلك؟ لقد لاحظـت علامات الانزعاج على وجهك عندما تقول الفتيات عبارة: الرجل الفرنسي".



ابتسم بوارو، وفكر أنه لا يضيرها أن تعرف اسمه، فقال: "اسمي هيركيول بوارو يا آنسة، وأنا من بلجيكا. سعدت بالتعرف إليكِ"، ثم مد يده لها ليصافحها.

صافحته قائلة: "في سبرينج، اسمي الحقيقي إيوفيميا، ولكن الجميع يدعونني في. لو استخدموا اسمي كاملاً، فلن يتمكن أحد من قول ما يرغب في قوله. أليس كذلك؟ ولكن هذا لا يعني أني لا أحب اسمي".

قال بوارو: "هل تعرفين اسم الآنسة جيني بالكامل؟".

أومأت في نحو طاولة بوارو، حيث كان البخار ما زال يتصاعد من طعامه، وقالت: "تناول عشاءك، سأعود على الفور". انسحبت نحو المطبخ على الفور وأغلقت الباب في وجهه.

عاد بوارو إلى مقعده. ربما كان عليه أن يستمع إلى نصيحة في ويبذل بعض الجهد لتناول شريحة اللحم. كم من المشجع أن يتحدث المرء مع شخص ما يهتم بالتفاصيل. لم يكن هيركيول بوارو قد قابل الكثيرين من هذه النوعية في حياته.

عادت في على الفور حاملة قدحًا في يدها ولكن دون طبق، وارتشفت منه رشفة بصوت مرتفع بينما كانت تجلس على المقعد الذي غادرته جيني، ومنع بوارو نفسه عن أن يجفل بسبب الصوت الذي أصدرته.

قالت في: "أنا لا أعلم الكثير عن جيني، فقط بعض الأمور التي التقطتها من بعض الأمور الغريبة التي قالتها. إنها تعمل لدى سيدة تمتلك منزلاً كبيرًا، وتعيش معها، ولهذا السبب تحضر إلى هنا دائمًا لتأخذ القهوة والكعك من أجل حفلات سيدتها الأنيقة وأمور من هذا القبيل. إنها تأتي من وسط المدينة – كما قالت من قبل. إن الكثير من زبائننا الدائمين يحضرون من مسافات بعيدة. عادة ما تجلس جيني لتتناول مشروبها، حيث تقول بمجرد دخولها: مشروبي المعتاد لو سمحت، كما لو كانت سيدة نبيلة. أعتقد أن صوتها يعطي هذا الانطباع، وأعتقد أنه ليس صوتها الطبيعي. ولهذا السبب، فهي لا تتحدث كثيرًا لأنها تعلم أنها لن تستطيع أن تتحدث به طوال الوقت".



قال بوارو: "معذرة، ولكن، كيف علمتِ أن الآنسة جيني لا تتحدث بهذا الصوت طوال الوقت؟".

قالت في: "هل سمعت من قبل شخصًا يتحدث بهذه الطريقة المهذبة طوال الوقت؟ لن يمكنك التأكيد على هذا مثلما أقول".

قال: "نعم، ولكن... هذا محض توقعات ولا شيء أكثر، أليس كذلك؟".

اعترفت في سبرينج، بحقد، بأنها لا تعلم بشكل مؤكد. طوال معرفتها بـ جيني، كانت جيني تتحدث كما لو كانت "سيدة نبيلة".

قالت في: "يمكنني أن أقول عن جيني: إنها فتاة شاي، وهذا يدل على أن هناك بعض المنطق داخل عقلها".

قال بوارو: "فتاة شاي؟".

رمقت قدح قهوة بوارو وقالت: "هذا صحيح. إذا ما سألتني عن رأيي، ما الذي يجعلك تشرب القهوة المضرة بالعقل مادام بإمكانك أن تشرب الشاي؟" سألها بوارو: "هل تعلمين اسم السيدة التي تعمل لديها جيني، أو حتى عنوان المنزل الكبير؟".

قالت: "لا. لا أعلم اسم عائلة جيني أيضًا، ولكني أعلم أنها شعرت بالحسرة منذ سنوات مضت. لقد قالت هذا مرة".

قال: "الحسرة؟ هل أخبرتكِ من أي نوع؟".

قالت في بحسم: "هناك نوع واحد من الحسرة: النوع الذي يعتصر القلب اعتصارًا".

قال بوارو: "ما أعنيه هو أن هناك عدة أسباب للحسرة: بسبب حبيب تركها، أو خسرت شخصًا عزيزًا عليها في سن صغيرة ـــــــ".

قالت في، وقد ظهرت مسحة من المرارة في صوتها: "إننا لم نتحدث عن الأمر أبدًا، وأعتقد أننا لن نفعل. لقد قالت كلمة واحدة، الحسرة، كانت كل ما نطقت به. أرأيت، إن ما تتميز به جيني هو أنها لا تتحدث كثيرًا. لن تكون قادرًا على مساعدتها بينما كانت تجلس على هذا المقعد، كما أنك لن تتمكن من



مساعدتها بعدما رحلت الآن. إنها منغلقة على نفسها، هذه مشكلتها، وهي تحب أن تنغمس فيها، أيًا كانت".

منغلقة تمامًا على نفسها... أطلقت الكلمات ذكرى بعينها في عقل بوارو – في أحد أيام الخميس في مقهى بليزانت منذ عدة أسابيع، وكانت في تتحدث عن أحد الزبائن.

فقال: "إنها لا تطرح أية أسئلة، أليس كذلك؟ ولا تهتم بالأحاديث والمناقشات الاجتماعية؟ ولا تهتم بمعرفة أحدث الأخبار عن حياة أي شخص آخر؟".

بدت في مبهورة وقالت: "هذا صحيح. إنها لا تتمتع بأي فضول. لم أر شخصًا منغمسًا في اهتماماته الخاصة مثلها من قبل. إنها لا ترى العالم أو ترانا فيه. إنها لن تسألك أبدًا عن حالك، أو عما تفعله". ثم أحنت في رأسها على أحد جانبيها وقالت: "أنت سريع البديهة، أليس كذلك؟".

قال بوارو: "لقد عرفت كل هذه المعلومات من خلال الاستماع إليكِ وأنت تتحدثين مع النادلة الأخرى يا آنسة".

احمر وجه في وقالت: "أنا مندهشة من أنك على استعداد لتحمل عناء الاستماع".

لم يكن بوارو يأمل في إحراجها أكثر من ذلك، لذا لم يخبرها بأنه كان يتطلع بشدة للاستماع للأوصاف التي كانت تقولها عن الأشخاص الذين كانوا يسترعون انتباهه، بشكل عام، "شخصيات المقهى" – على سبيل المثال، السيد المزعج، والذي كان يطلب طعامه بمجرد دخوله المقهى، ثم يلغي الطلب على الفور، لأنه قرر أنه لا يرغب في تناول ما طلبه.

لم يكن الوقت مناسبًا ليسأل في عما إذا كانت قد أطلقت على هيركيول بوارو اسمًا على غرار السيد المزعج لتستخدمه عندما لا يكون متواجدًا – ربما أطلقت عليه اسمًا يدل على شاربه المهذب بعناية.

قال بوارو مفكرًا بعمق: "إن الآنسة جيني لا تحب التدخل في شئون الآخرين إذن، ولكن على النقيض من الذين لا يهتمون بحياة وأفكار الآخرين من حولهم،



والذيـن يتحدثـون عن أنفسهم مطولاً، لـم تكن تفعل هذا الأمـر أيضًا – أليس كذلك؟".

رفعت في حاجبيها وقالـت: "إن لديك ذاكرة قوية للغايـة. إنك محق تمامًا هـذه المرة أيضًا. لا، جيني لا تتحدث عن نفسها، قد تجيب عن سؤالك، ولكنها ستجيبـك بإجابة مقتضبـة. إنها لا تحب أن تبعدها عما يـدور في رأسها لفترة طويلـة، أيًا كان. كنزهـا الخفي – إلا أنه لا يجعلها تشعـر بالسعادة، أيًا كان ما تفكر به، لقد مر وقت طويل منذ توقفت عن محاولة سبر أغوارها".

غمغم بوارو: "إنها تفكر في حسرتها، وفي الخطر المحدق بها".

قالت في: "هل أخبرتك بأنها في خطر؟".

قال بوارو: "نعم يا آنسة، وقد ندمت على أني لست سريعًا بالدرجة التي كانت كافية لمنعها عن المغادرة. إذا ما حدث لها شيء..."، هز بوارو رأسه في أسف وتمنـى أن يتمكن من تخطي الشعور الذي ينتابه حاليًا، ثم ضرب سطح الطاولة بقبضتـه معلنًا القرار الذي توصـل إليه قائلاً: "سأعود صباح الغد. تقولين إنها تأتي إلى هنا دائمًا، أليس كذلك؟ وسألتقي بها قبل أن يدركها الخطر، وفي هذه المرة، سيكون هيركيول بوارو أكثر سرعة!".

قالت في: "لن تهم سرعتك أو بطئك. لن يمكن لأحد الإمساك بـ جيني حتى وإن كانـت فـي متناول يديه، ولـن يمكن لأحد أن يساعدهـا". قالتها ثم نهضت لتجمـع أطبـاق بوارو مختتمـة حديثها قائلـة: "لا يوجد أمر مهـم يجعلنا نترك الطعام الجيد يبرد بينما نتحدث بشأنه".



الفصل ٢

جريمة قتل في ثلاث غرف

هكذا بدأ كل شيء، في مساء يوم الخميس، السابع من فبراير عام ١٩٢٩، بوجود هيركيول بوارو، وجيني وفي سبرينج، بين الرفوف المنحنية المثقلة بأباريق الشاي في مقهى بليزانت.

أو، يجدر بي القول، هذا ما بدا أنه البداية، فأنا على يقين، في حقيقة الأمر، بأن القصص الواقعية لا بداية أو نهاية لها، فعندما تتناولها من أي موضع، فستجد أنها تمتد في الماضي دون نهاية وتنتشر بشكل ثابت في المستقبل، ولن يمكن لأحد أن يقول: "هذه هي النهاية"، ثم يرسم خطًا يدل على النهاية.

لحسن الحظ، تحتوي القصص الواقعية على أبطال وبطلات، ورغم أني لم أكن أحد هؤلاء الأبطال، ولا أتمنى أن أكون أحدهم، إلا أني أعي جيدًا أنهم حقيقيون.

لم أكن حاضرًا في المقهى في ليلة الخميس تلك، ولكن ذُكر اسمي خلالها – إدوارد كاتشبوول، صديق بوارو الشرطي من سكوتلاند يارد، والذي لا يزيد عمري كثيرًا على الثلاثين (في الثانية والثلاثين من عمري لتحري الدقة) – ولكني لم أكن هناك، إلا أني قررت أن أملأ الفراغات في معرفتي بقصة جيني حتى أتمكن من وضع سجل مكتوب عنها. لحسن الحظ، كانت لدي شهادة هيركيول بوارو لمساعدتي، ولن أحظى بشاهد أفضل منه أبدًا.



أكتب هذا، ليس من أجل أي شخص، بل من أجلي فقط. بمجرد أن أنتهي من الكتابة، سأقرأ الكلمات مرارًا وتكرارًا حتى أكون قادرًا على وضع عيني على الكلمات دون أن أشعر بالصدمة التي تنتابني الآن بينما أكتبها – حتى تفسح عبارة "كيف حدث هذا؟" الطريق لعبارة "هذا ما حدث".

في مرحلة ما، سيكون عليَّ أن أفكر في عنوان أفضل من عنوان "قصة جيني"، والذي لا أعتبره عنوانًا جيدًا.

قابلت هيركيول بوارو للمرة الأولى قبل ستة أسابيع من الليلة التي وصفتها عندما استأجر غرفة في أحد نزل لندن تملكه السيدة بلانش أنسوورث. إنه عبارة عن مبنى فسيح ونظيف للغاية، ذي واجهة ضخمة مربعة الشكل، ويحمل من الداخل لمسة أنثوية صارخة، فقد كانت الستائر والزخارف والزينة في كل مكان. أخشى في بعض الأحيان الذهاب للعمل في أحد الأيام وأكتشف أن هناك قطعة أرجوانية من القماش تعود لأحد الأغراض في غرفة الاستقبال ملتصقة بمرفقي أو حذائي.

على العكس مني، لم يكن بوارو مقيمًا دائمًا في المنزل، بل كان زائرًا مؤقتًا، حيث أخبرني في الليلة الأولى لظهوره: "سأقضي شهرًا واحدًا في الراحة التامة". قالها بتصميم شديد، كما لو كان يتخيل أني بصدد منعه عن ذلك، ثم شرح لي الأمر قائلاً: "إن عقلي متشغل دائمًا بالكثير من الأفكار المتدافعة، ولكني أعتقد أنه سيهدأ هنا قليلاً".

سألته أين يعيش، وتوقعت أن يجيبني "فرنسا"، ولكني اكتشفت بعد وقت قليل أنه بلجيكي وليس فرنسيًا. كإجابة عن سؤالي، سار نحو النافذة، وأزاح الستار جانبًا، وأشار إلى مبنى ضخم وأنيق يبعد عنا بحوالي ٢٧٥ مترًا، فقلت له: "هل تعيش *هناك*؟"، وقد اعتقدت أنه يمزح.

وضح لي بوارو الأمر قائلاً: "نعم، إنني لا أحب الابتعاد كثيرًا عن منزلي، ومن الممتع لي أني قادر على رؤيته. إنه مشهد رائع". نظر بوارو للمبنى بفخر، وتساءلت للحظات عما إذا كان قد نسي وجودي معه في الغرفة. ثم قال: "إن الترحال أمر رائع. أمر مثير ولكنه غير مريح، ولكن، إن لم أرحل إلى مكان ما،



فلـن يهدأ عقل بـوارو. وسيأتي الاضطراب بصورة أو بأخـرى. عندما تكون في المنـزل، يمكن لأي شخص الوصول إليـك بسهولة، حيث سيأتي إليك صديق أو شخصـ غريب يوميًا فـي أمر مهم – ودائمًا ما تكون الأمـور غاية في الأهمية، وتنشغـل تلـك الخلايا الرماديـة الصغيـرة بالمزيد من الأفـكار ولا تتمكن من الاحتفاظ بطاقتها. لذا، أخبر بوارو الجميع بأنه غادر لندن لبعض الوقت، ولكنه يحظى براحته في مكان يعرفه جيدًا محميًا من أية مقاطعات".

كان يتحـدث طوال الوقت، وكنت أومئ برأسي، كما لو كنت مقتنعًا تمامًا بما يقـول، متسائلاً عما إذا كان الناس يصبحون غريبي الأطوار عندما يتقدم بهم العمر.

لم تكن السيدة أنسوورث تعد العشاء في ليلة الخميس – فقد كان هذا موعد الزيـارة الأسبوعية لأخت زوجها الراحـل – وكان هذا هو سبب عثور بوارو على مقهـى بليزانت. أخبرتـي بأنه لن يغامر بأن يراه أحد فـي أحد أماكنه المعتادة بينمـا من المفترض أنه خارج المدينة، وسألني عما إذا كنت قادرًا على ترشيح "مـكان يمكنـك أن ترتاده يا صديقـي – ولكن يجب أن يكـون الطعام ممتازًا". أخبرتـه عـن مقهى بليزانت: مقهـى صغير وغريب، ولكن أغلـب من جربوه ولو لمرة واحدة ذهبوا إليه مرارًا وتكرارًا.

فـي أمسيـة يوم الخميسـ تلك – الليلة التـي قابل فيها بـوارو جيني – عاد إلـى غرفته في العاشـرة إلا عشر دقائق مساءً، متأخـرًا كثيرًا عن موعد عودته المعتـاد. كنـت جالسًا في غرفـة الاستقبال بجـوار المدفأة ولكنني كنت أشعر بالكثير من البـرودة. سمعت بلانش أنسوورث تهمس إلى بوارو بعد لحظات من سماعي لصوت الباب الأمامي يُفتح ويُغلق، لابد من أنها كانت تنتظره في ردهة المنزل.

لـم أتمكن من سماع ما كانت تقوله لـه، ولكني خمنت: كانت قلقة، وكنت أنا مصدر قلقها. كانت قد عادت من منزل أخت زوجها في التاسعة والنصف ورأت أن هنـاك خطبًا ما ألم بي. كنت أبـدو مرعبًا – كما لو كنت لم أتناول طعامًا أو أنـام منذ فترة، فقد قالت لي هذه الكلمات بنفسهـا. لا أعلم كيف قد يبدو على



شخص ما أنه لم يتناول طعامًا منذ فترة. ربما أبدو أكثر نحافة مما كنت عليه في أثناء تناول الإفطار في الصباح.

كانت قد تفحصتني من جميع الزوايا، وعرضت عليّ كل ما اعتقدت أن من شأنه إعادتي لحالتي الأولى، بدءًا من أنواع العلاج التي يمرضها المرء في تلك المواقف — الطعام، الشراب أو فضفضة ودية. بمجرد أن رفضت عرضها بأكبر قدر ممكن من التهذيب، تابعت عارضة اقتراحات أكثر غرابة: وسادة محشوة بالأعشاب، سائل في زجاجة زرقاء داكنة ذو رائحة منفرة، ولكن يبدو أنه مفيد، عليّ أن أضعه في مياه استحمامي.

شكرتها، ورفضت عرضها، ولكنها أدارت عينيها حول غرفة الاستقبال باحثة عن أي شيء غريب تقدمه لي واعدة إياي بأنه قادر على حل جميع مشكلاتي.

والآن، من المرجح أنها تهمس إلى بوارو بأن يلح عليّ لأقبل منها المائل منفر الرائحة أو الوسادة المليئة بالأعشاب.

كان بوارو معتادًا أن يعود، كل ليلة خميس، من مقهى بليزانت ويجلس ليقرأ قليلاً في غرفة الاستقبال بحلول تمام التاسعة مساءً. كنت قد عدت من فندق بلوكسهام في التاسعة إلا الربع، وقد عزمت على ألا أفكر فيما واجهته هناك، وكنت أتطلع بشدة لأن أجد بوارو جالسًا في مقعده المفضل للتحدث عن بعض الأمور التافهة كما نفعل دائمًا.

لم يكن بوارو في مكانه، وقد جعلني غيابه أشعر بأني منعزل عن كل ما حولي، كما لو أن الأرض قد غاصت بعيدًا عن قدميّ. كان بوارو من نوعية الأشخاص المنظمين الذين لا يحبون تغيير روتين حياتهم اليومية — قال لي أكثر من مرة: "إنه الروتين اليومي الذي لا يتغير، يا كاتشبوول، الذي يجعل العقل يهدأ" — ولكنه تأخر عن موعده المعتاد لربع ساعة كاملة.

عندما سمعت الباب الأمامي ينفتح في التاسعة والنصف، كنت آمل أن يكون هو من حضر، ولكنها كانت بلانش أنسوورث، وكادت صرخة غضب تفلت من بين شفتي. إن كنت تشعر بالقلق على نفسك، فإن آخر شيء ترغب في حدوثه هو أن تكون بصحبة شخص ما يستمتع كثيرًا بالثرثرة حول لا شيء.



كنت أخشى ألا أتمكن من إقناع نفسي بالعودة إلى فندق بلوكسهام في اليوم التالي، وكنت أعلم جيدًا أنه يجب عليّ العودة، وكان هذا ما كنت أحاول عدم التفكير فيه.

فكرت: "والآن، ها قد وصل بوارو آخيرًا، وسيكون قلقًا عليّ لأن بلانش أنسوورث أخبرته بأنه يجب أن يقلق عليّ". قررت أنه من الأفضل أن أجلس بمفردي دون وجود أي منهما معي، إذا لم يكن من الممكن الحديث عن أمر بسيط ومسل، فلا داعي للحديث على الإطلاق.

دخل بوارو إلى غرفة الاستقبال، وكان لا يزال مرتديًا معطفه وقبعته، وأغلق بابها خلفه. توقعت أن ينهال عليّ بكم كبير من الأسئلة، ولكنه قال لي بدلاً من ذلك، وكان يبدو أن هناك أمرًا ما يشغله: "لقد تأخر الوقت، لقد جبت الشوارع سيرًا لوقت طويل، باحثًا، ولكني لم أحقق أي شيء سوى أني تأخرت عن موعدي".

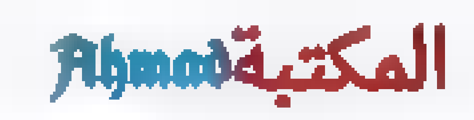
كان يبدو قلقًا للغاية، ولكنه لم يكن قلقًا عليّ أو عما إذا كنت تناولت الطعام أو ما إذا كنت سأتناوله، فشعرت بالكثير من الراحة، وسألته: "باحثًا؟".

قال: "نعم، كنت أبحث عن امرأة تُدعى جيني والتي آمل بشدة أن تكون على قيد الحياة ولم تُقتل".

سألته: "تُقتل؟". شعرت مرة أخرى بهذا الشعور بأن الأرض تغوص تحت قدميّ. أعلم أن بوارو كان محققًا شهيرًا، وقد أخبرني عن بعض القضايا التي تمكن من حلها، إلا أنه من المفترض أن يكون في فترة راحة من كل هذه الأمور، وكنت على وشك تخطي الأمر دون أن يقول هذه الكلمة بعينها، بهذه الطريقة الرزينة.

سألته: "كيف تبدو هذه المدعوة جيني؟ صفها لي، فربما أكون قد رأيتها، خاصة إن كانت قد قُتلت، حيث إني شهدت ثلاث حالات قتل الليلة، لامرأتين ورجل، فربما يحالفك الحظ. لم يكن يليق بالرجل اسم جيني، أما بالنسبة للمرأتين ــــــــ".





قطع صوت بوارو الهادئ حديثي الثائر حيث قال: "انتظر يا صديقي". ثم خلع قبعته وبدأ يحل أزرار معطفه، ثم قال: "إن السيدة بلانش آنسوورث محقة إذن. أنت لست بخير. ولكن كيف لم ألحظ هذا على الفور؟ إنك شاحب الوجه. إنها أفكاري التي تسعى في اتجاه آخر. إنها دائمًا ما تسعى في مكان آخر عندما أرى السيدة بلانش تقترب مني، ولكن، من فضلك، أخبر بوارو على الفور: ما الأمر؟".

•

قلت: "المشكلة هي أني رأيت ثلاث جرائم قتل في ليلة واحدة، وجميعها لا تشبه أية جريمة رأيتها من قبل في حياتي، حيث قتل امرأتان ورجل، كل منهم في غرفة مختلفة".

لا شك في أني واجهت الكثير من حالات القتل العنيفة من قبل – إني أعمل الآن في سكوتلاند يارد منذ عامين، وكنت رجل شرطة من قبل طوال خمسة أعوام – ولكن كانت جميع الجرائم التي رأيتها تشترك فيما بينها في ظهور أمارات فقدان القاتل للتحكم في أفعاله: شخص ما اندفع في نوبة من الغضب الشديد، أو شخص ما شرب كثيرًا حتى فقد عقله. أما ما حدث في فندق بلوكسهام فأمر مختلف تمامًا، حيث إن من ارتكب الجرائم الثلاث في الفندق قد خطط لها مسبقًا – لأشهر، على ما أعتقد. إن كلًا من مسارح الجريمة الثلاثة يحتوي على فن مروع ذي معنى خفي لم يمكنني فهمه. ما أفزعني هي فكرة أني هذه المرة لا أواجه تلك الوحشية الفوضوية التي اعتدت مواجهتها، بل إني أواجه عقلًا باردًا ودقيقًا لن يسمح بأن يهزمه أحد.

لا شك في أن ما رأيته أحزنني كثيرًا، ولكني لم أتمكن من تنفيض هذه المشاعر عني. ثلاث جثث متطابقة: جعلتني تلك الفكرة أقشعر. أخبرت نفسي بأنه لا يجب عليّ أن أصاب بالخوف المرضي من الأمر، ويجب عليّ أن أحقق في هذه القضية كما لو كانت أية قضية أخرى، بغض النظر عن مدى اختلافها ظاهريًا.



سألني بوارو: "ثلاث جرائم قتل في ثلاث غرف منفصلة في منزل واحد؟".

قلت: "بل في فندق بلوكسهام، على طريق سيرك بيكاديللي. لا أعتقد أنك تعرفه".

قال: "لا".

قلت: "لم أدخله أبدًا قبل الليلة. إنه ليس من نوعية الأماكن التي يرتادها شاب مثلي، إنه بالغ الفخامة".

كان بوارو جالسًا وظهره منتصب تمامًا وقال: "ثلاث جرائم قتل، في ثلاث غرف مختلفة في الفندق نفسه؟".

قلت: "نعم، وقد ارتُكبت جميعها في وقت سابق من الأمسية مع فارق بسيط من الوقت بين كل منها".

قال: "هذه الأمسية؟ ولم أنت هنا؟ لماذا لست في الفندق؟ هل أمسكتم بالقاتل؟".

قلت: "لا، لم يواتنا الحظ بعد، للأسف. لا، أنا..."، ثم توقفت وسعلت. كنت صريحًا في حديثي مع بوارو عن ملابسات القضية، ولكني لم أكن أرغب في أن يعرف بوارو كيف تأثر مزاجي بما رأيت، أو أن أخبره بأني لم أبق في الفندق إلا لخمس دقائق فقط قبل أن أستسلم لتلك الرغبة الملحة بالرحيل.

الطريقة التي تم وضع الجثث الثلاث عليها، مسجاة على ظهرها بطريقة تقليدية للغاية: الذراعان على جانبي الجسد، وراحتا اليدين تلمسان الأرضية، والساقان مضمومتان معًا...

إعداد الموتى للدفن. اخترقت هذه العبارة عقلي مصطحبة ذكرى لغرفة مظلمة رأيتها منذ سنوات طويلة – غرفة أجبرت على دخولها بينما كنت طفلًا صغيرًا، وكنت أرفض أن أتذكرها منذ ذلك الحين، وكنت على استعداد كامل لأن أواصل الرفض لبقية حياتي.

الأيدي التي فارقتها الحياة، وراحتاها مفتوحتان نحو الأسفل.

"أمسك بيده يا إدوارد".



قلت بسرعة وبصوت عالٍ محاولاً طرد هذه الذكرى المنفرة عن عقلي: "لا تقلق. هنالك الكثير من رجال الشرطة يحومون حول المكان. سأعود إلى الفندق في الصباح الباكر". عندما رأيت بوارو ينتظر إجابة شافية أكثر، أضفت قائلاً: "كان عليّ أن أصفي ذهني. أصدقك القول، لم أر في حياتي شيئًا أكثر غرابة من جرائم القتل الثلاث تلك".

قال: "ما وجه غرابتها؟".

قلت: "كان في فم كل جثة شيء ما – الشيء نفسه".

أشار بوارو لي بإصبعه علامة النفي قائلاً: "لا، من المستحيل، يا صديقي، أن يوجد الشيء ذاته في فم كل من الضحايا الثلاث في الوقت ذاته".

وضحت له الأمر قائلاً: "ثلاثة أشياء منفصلة ولكنها متطابقة. ثلاثة أزرار أكمام معدنية ذهبية اللون، تحمل أحرفًا مزخرفة. الأحرف ذاتها على الأزرار الثلاثة: "ب. أ. ج". بوارو؟ هل أنت بخير؟ إنك تبدو...".

نهض بوارو واقفًا وبدأ يذرع أرجاء الغرفة قائلاً: "يا إلهي! إنك لم تدرك بعد ما يعنيه هذا يا صديقي، لم تدركه على الإطلاق، لأنك لم تسمع قصة لقائي مع الآنسة جيني. سأخبرك بما حدث باختصار حتى تستوعب الأمر".

كانت فكرة بوارو عن قص قصة باختصار تختلف تمامًا عن فكرة أغلب الناس، فقد كانت جميع التفاصيل تحمل القدر نفسه من الأهمية بالنسبة له، سواءً كانت التفاصيل تدور حول حريق قضى فيه ثلاثمائة شخص نحبهم أم بثرة على وجنة طفل صغير. لا يمكنك أن تحثه على الدخول في صلب الموضوع، لذا، جلست في مقعدي وتركته يقص القصة بأسلوبه. عندما وصل إلى النهاية، شعرت كما لو أني قد شاهدت جميع الأحداث بنفسي – كنت قد كونت فكرة عامة عما حدث أفضل من الكثير من المواقف التي مررت بها، بنفسي، في حياتي.

قلت: "يا له من أمر استثنائي ليحدث. لقد حدث هذا في الليلة ذاتها التي حدثت فيها جرائم قتل فندق بلوكسهام. يا لها من مصادفة!".



تنهد بوارو وقال: "لا أعتقد أنها مصادفة يا صديقي. قد يتقبل المرء حدوث المصادفات من وقت لآخر، ولكن في حالتنا هذه هنالك صلة بالغة الوضوح".

قلت: "هل تعني جرائم القتل من ناحية، وخوف المرأة من أن تُقتل من ناحية أخرى؟".

قال بوارو: "لا، هذه صلة، لا شك في هذا، ولكني أتحدث عن أمر آخر". توقف بوارو عن التجول في غرفة الاستقبال والتفت نحوي قائلاً: "أنت تقول إنكم عثرتم في أفواه الضحايا الثلاث على أزرار أكمام ذهبية تحمل الأحرف المزخرفة "ب أ ج"، أليس كذلك؟".

قلت: "هذا صحيح".

قال: "لقد قالت لي الآنسة جيني بوضوح: عدني إن عثرتم عليَّ مقتولة أن تخبر صديقك الشرطي بألا يبحث عن قاتلي. من فضلك، *لا تدع أحدًا يفتح أفواههم!* لا يجب أن تُحل هذه الجريمة. ماذا تعتقد أنها كانت تعني بقولها: من فضلك، لا تدع أحدًا يفتح أفواههم؟".

هل يمزح؟ لا يبدو هذا، فقلت: "حسنًا، إنه أمر واضح، أليس كذلك؟ كانت خائفة من أن تُقتل، ولم تكن ترغب في أن يُعاقب قاتلها على فعلته. لذا، كانت تأمل في ألا يقول أحد أي شيء يجعل الشبهات تتجه إليه. لقد كانت تعتقد بأنها الشخص الذي يستحق العقاب".

قال بوارو وقد بدا كأن أمله قد خاب فيَّ: "لقد اخترت المعنى الذي يبدو جليًا من الوهلة الأولى. اسأل نفسك عما إذا كان هناك معنى آخر محتمل لهذه الكلمات: من فضلك، لا تدع أحدًا يفتح أفواههم؛ وفكر في أزرارك الذهبية الثلاثة".

قلت بحدة، وكنت آمل في هذه اللحظة أن أكون قادرًا على أن أبعد هذه القضية عني قدر الإمكان: "إنها ليست لي. حسنًا، لقد فهمت ما ترمي إليه، ولكن ———".

قال: "ماذا فهمت؟ ما الذي أرمي إليه؟".



قلت: "حسنًا... من فضلك لا تدع أحدًا يفتح أفواههم، قد تكون، بوجه عام، تعني: لا تدع أحدًا يفتح أفواه الضحايا الثلاث في فندق بلوكسهام". شعرت بأني أحمق بعد أن تفوهت بهذه النظرية الخرقاء.

قال بوارو: "بالضبط، من فضلك، لا تدع أحدًا يفتح أفواههم ليعثر على الأزرار الذهبية التي تحمل الحروف "ب. أ. ج" المزخرفة. أليس من المحتمل أن يكون هذا ما كانت تعنيه جيني؟ وأنها كانت تعلم بأمر حالات القتل الثلاث في الفندق، وأنها كانت تعلم أن أيًا كان من قتلهم ينوي قتلها هي أيضًا، أليس كذلك؟".

دون أن ينتظر إجابتي، تابع بوارو تخيلاته قائلاً: "الحروف "ب. أ. ج" نفسها، إن الشخص الذي يحمل اسمه هذه الحروف الأولى مهم للغاية لأحداث القصة، أليس كذلك؟ جيني كانت تعلم ذلك، كانت تعلم أنه إن تمكنت من العثور على صاحب هذه الحروف فستكون على الطريق الصحيح لاكتشاف القاتل، وكانت ترغب في منع هذا. عليك إذن أن تعثر عليه قبل أن يسبق السيف العذل بالنسبة لـ جيني، وإلا لن يغفر هيركيول بوارو لنفسه أبدًا".

تنبهت لخطورة الأمر بمجرد سماعي لهذه الكلمات، فقد شعرت بشعور طاغ بالمسئولية تجاه ضرورة عثوري على القاتل، إن جاز التعبير، ولم أكن أرغب في أن أكون مسئولاً عن عدم غفران بوارو لنفسه أبدًا. هل يراني رجلًا قادرًا على فهم قاتل بمثل هذه العقلية – عقلية من قد يفكر في وضع أزرار أكمام تحمل حروفًا مزخرفة في أفواه ضحاياه؟ لقد كنت رجلاً مستقيمًا دائمًا، ولقد برعت في التعامل مع الأمور الواضحة.

قال بوارو: "أعتقد أنه يجب عليك العودة للفندق"، وكان يعني: على الفور.

اقشعر جسدي عندما تذكرت هذه الغرف الثلاث، فقلت محاولاً تفادي النظر لعينيه اللامعتين: "سأذهب في الصباح الباكر. عليّ أن أخبرك بأني لن أجعل من نفسي أحمق عبر التحدث عن أمر تلك المدعوة جيني، فلن يؤدي هذا إلا إلى إرباك الجميع. لقد بذلت قصارى جهدك لتفسير ما قالته، ولكني مقتنع



بتفسير آخر. قد يكون تفسيرك مثيرًا، ولكن تفسيري أكثر ترجيحًا، بعشرين ضعفًا، لأن يكون صحيحًا".

عارضني بوارو قائلاً: "إنه ليس كذلك".

قلت بحزم: "هل سنتجادل حول الأمر؟ أعتقد أننا إن سألنا مائة شخص، فسيتفقون جميعًا معي وليس معك. أشك في هذا".

قال بوارو: "أنا أيضًا أشك في هذا. اسمح لي أن أحاول إقناعك بوجهة نظري. لقد قلت منذ لحظات، متحدثًا عن جرائم القتل في الفندق: كان في فم كل جثة شيء ما؛ أليس كذلك؟".

وافقته على أني قلت ذلك.

فتابع حديثه قائلاً: "إنك لم تقل: في أفواههم؛ بل قلت: في فم كل جثة — هذا لأنك رجل متعلم وتحدثت بصيغة المفرد وليس الجمع حتى تتفق مع كلمة "كل" — وهذا صحيح لغويًا. الآنسة جيني، خادمة، ولكنها تتحدث كما لو كانت امرأة متعلمة ولديها حصيلة معقولة من المفردات، فقد استخدمت كلمة: محتم؛ عندما كانت تتحدث عن موتها، عن قتلها. ثم قالت لي: *لن يوجد من يساعدني إذن، حتى وإن وجد، فإني لا أستحق ذلك*. إنها امرأة قادرة على استخدام اللغة كما يجب أن تُستخدم. لذا، يا صديقي..."، ثم تمهل واقفًا مرة أخرى، وتابع قائلاً: "لذا، إن كنت محقًا وكانت جيني تعني بقولها: لا تدع أحدًا يفتح أفواههم: أن لا تدع أحدًا يدلي بأية معلومات للشرطة، لِمَ لم تقل: من فضلك، لا تدع أيًا منهم ينبس ببنت شفة؟ إن عبارة أي منهم تتطلب المفرد وليس الجمع".

حدقت به رافعًا رأسي لأعلى لدرجة أن رقبتي بدأت تؤلمني، وقد شعرت بالكثير من الارتباك والإنهاك لدرجة أني لم أتمكن من الرد. ألم يخبرني بنفسه بأن جيني كانت في حالة ذعر شديدة؟ من منطلق خبرتي، لا أعتقد أن من يصابون بالذعر الشديد سيمتلكون الوقت الكافي للاهتمام بالقواعد اللغوية.



لقد اعتبرت أن بوارو أحد أذكى من قابلتهم في حياتي، ولكن، ربما كنت مخطئًا بشأنه. إن كان هذا هو نوع الهراء الذي يتفوه به طوال الوقت، فلا عجب في أنه قد قرر أن الوقت قد حان ليعطي عقله قسطا من الراحة.

تابع بوارو حديثه قائلاً: "ستخبرني الآن بأني قلت لك إن جيني كانت في حالة من الذعر وأنه من المستحيل أن تكون قادرة على تخير كلماتها بتلك الدقة. إلا أنها تحدثت بقواعد لغوية صحيحة تمامًا بغض النظر عما تقصده – حتى يتبين إن كنت محقًا أو مخطئًا. في كلتا الحالتين لم تتفوه جيني بأية كلمة خاطئة لغويًا".

صفق بيديه وبدا مسرورًا بذلك الإعلان الأخير الذي قاله، مما دفعني إلى التحدث بحدة قائلاً: "هذا رائع يا بوارو. هناك رجل وامرأتان قد قتلوا، وعليّ أن أكتشف قاتلهم، ولكني سعيد للغاية بأن جيني، أيًا كانت، لم تخطئ في استخدام اللغة".

قال صديقي الذي من الصعب تثبيط عزيمته: "بوارو أيضًا سعيد للغاية لأنه حقق تقدمًا صغيرًا، اكتشاف جديد". ثم اختفت ابتسامته وأصبح وجهه أكثر جدية وقال: "الآنسة جيني لم تخطئ في القواعد اللغوية، فقد كانت تعني: لا تدع أحدًا يفتح أفواه القتلى – أفواههم".

غمغمت قائلاً: "لك هذا، إن كنت مصرًا".

قال بوارو: "ستعود صباح الغد، بعد أن تتناول إفطارك، إلى فندق بلوكسهام، وسأنضم إليك لاحقًا بعد أن أبحث عن جيني".

قلت في انزعاج: "أنا؟". تكونت الكثير من عبارات الاعتراض داخل عقلي، إلا أنني كنت أعلم أنها لن تصل حتى إلى أذني بوارو. سواءً كان محققًا شهيرًا أم لا، فإن فكرته عن تلك القضية، بكل صراحة، سخيفة، ولكن إن كان يعرض رفقته لي، فإني لن أرد طلبه. لقد بدأت أشعر بدعمه منذ الآن بفضل اهتمامه الشديد بالقضية.



قال بوارو: "نعم. ثلاث جرائم قتل حدثت وهناك قاسم مشترك غريب بينها: الأزرار الذهبية التي تحمل الحروف المزخرفة داخل أفواههم. لا شك في أني سأذهب إلى فندق بلوكسهام".

سألته: "أليس من المفترض أن تتجنب المثيرات وأن تريح عقلك؟".

نظر بوارو نحوي وقال: "نعم، بالضبط. لن يريحني أن أجلس في هذا المقعد طوال اليوم مفكرًا في أنك ستمتنع عن ذكر لقائي مع الآنسة جيني لأي شخص، وهو من التفاصيل ذات الأهمية القصوى. لن يريحني أن أفكر في أن جيني تعدو في جميع أرجاء لندن لتوفر الفرصة بعد الأخرى ليتمكن ذلك القاتل من قتلها، وأن يضع الزر الرابع في فمها".

مال بوارو للأمام في مقعده وقال: "أخبرني من فضلك أنك قد فكرت على الأقل في الأمر: أن هذه الأزرار تأتي في أزواج. هناك ثلاثة أزرار في أفواه الضحايا في فندق بلوكسهام، فأين سيكون الرابع إن لم يكن في جيب القاتل منتظرًا وضعه في فم الآنسة جيني بعد قتلها؟".

انفجرت ضاحكًا، كما كنت أخشى، وقلت: "بوارو، هذا سخيف. إن أزرار الأكمام تأتي في أزواج بالفعل، ولكن الأمر بسيط: لقد أراد قتل ثلاثة أشخاص، فاستخدم ثلاثة أزرار، ولا يمكنك استخدام فكرة وجود زر رابع وهمي لإثبات أي شيء – خاصة اختراع صلة بين جرائم القتل في الفندق وبين تلك المدعوة جيني".

ظهر العناد على وجه بوارو وقال: "عندما تكون قاتلاً قرر استخدام أزرار الأكمام بهذه الطريقة، يا صديقي، فليس من المستبعد أن تستدعي فكرة الأزواج. إنه القاتل من وضع أمام أعيننا فكرة وجود زر رابع وضحية رابعة، وليس هيركيول بوارو".

قلت: "ولكن... كيف نعلم أنه لا ينوي قتل ست أو ثماني ضحايا؟ ومن الذي يمكنه الجزم بأن جيب القاتل لا يحتوي على خمسة أزرار أخرى تحمل الحروف نفسها؟".

لدهشتي، أومأ بوارو برأسه وقال: "أنت على حق".



قلت في يأس: "لا يا بوارو، لست محقاً. لقد خطرت لي هذه الفكرة فجأة، قد تكون استمتعت بتخيلاتي، ولكني أؤكد لك أن رؤسائي في سكوتلاند يارد لن يفعلوا".

قال: "رؤساؤك. هل لا يرغبون في أن تفكر في الاحتمالات؟". ثم أجاب نفسه قائلاً: "كلا. إنهم لا يرغبون في ذلك بالطبع، كما أنهم المسئولون عن القبض على القاتل، هم وأنت. ولهذا السبب، يجب على هيركيول بوارو الذهاب لفندق بلوكسهام صباح الغد".



الفصل ٣

في فندق بلوكسهام

في صباح اليوم التالي، في فندق بلوكسهام. لم أتمكن من منع نفسي عن الشعور بالقلق، مدركًا أن بوارو قد يصل في أية لحظة ليخبرنا، نحن رجال الشرطة البسطاء، كيف أننا نحقق في جريمة القتل الثلاثية تلك بحماقة. كنت الوحيد الذي يعلم بأنه قادم، الأمر الذي جعلني عصبيًا للغاية. إن وجوده سيكون مسئوليتي، وجل ما أخشاه أن يحبط رجال الشرطة الآخرين. أصدقكم القول، أخشى أن يحبطني أنا أيضًا. عندما حل ضوء النهار الرائع لهذا اليوم المشمس من فبراير، وبعد أن حظيت بقدر جيد من النوم، على غير المتوقع، لم أفهم لمَ لم أمنعه عن الاقتراب حتى من فندق بلوكسهام.

لم أعتقد حينها أن الأمر مهم، إلى جانب أنه لم يكن ليستمع لي إن طلبت منه ذلك.

كنت أقف في بهو الفندق الأنيق عندما وصل بوارو، وكنت أتحدث مع السيد لوكا لازاري، مدير الفندق. كان السيد لازاري شخصًا ودودًا ومتعاونًا ومتحمسًا بشكل مبهر وكان له شعر أسود مجعد وأسلوب موسيقي في الحديث، وشارب لا يمكن مقارنته بشارب بوارو. بدا أن لازاري كان مصرًا على أن أستمتع، وزملائي من رجال الشرطة، بكل لحظة نقضيها في فندق بلوكسهام مثلنا مثل نزلاء الفندق – الذين لم ينته بهم الأمر مقتولين.



عرفتـه على بوارو الـذي أومأ له برأسه هي اقتضاب. كان يبدو على بوارو أنه متعكـر المزاج، وسرعان ما عرفت السبب، فقد قـال لي: "لم أتمكن من العثور على جيني، لقد انتظرت نصف فترة الصباح في المقهى ولكنها لم تأتِ".

قلـت: "بوارو، نصـف فترة الصباح بالـكاد"، فقد كنت أعلم أنـه يميل إلى المبالغة.

قـال: "لم تكن الآنسة في هناك هي الأخرى، ولم تتمكن النادلات الأخريات من إخباري بأي شيء".

قلت ولـم تفاجئني الأخبـار: "يا له مـن حظ تعـس!". لم أكـن أتخيل، ولو للحظـة، أن تعـود جيني للمقهى مرة أخرى، وشعرت بالذنـب. ربما كان عليَّ أن أبذل المزيد من الجهد لكي أجعل بوارو يفكر بتعقل: لقد هربت منه ومن مقهى بليزانـت معلنة أن ثقتها بـه كانت خطأ. فلم ستعود إلى هنـاك في اليوم التالي وتتركه يتولى مسئولية حمايتها؟

نظر لي بوارو متسائلاً وقال: "بم ستخبرني إذن؟".

قال السيـد لازاري وابتسامة عريضة تملأ وجهه: "أنا هنا أيضًا من أجل أن أمـدك بالمعلومات التـي قد تحتاج إليها. لوكا لازاري في خدمتك يا سيدي. هل زرت فندق بلوكسهام من قبل يا سيد بوارو؟".

قال بوارو: "لا".

قال لازاري: "أليس رائعًا؟ ألا يشبه قصرًا من حقبة الجمال في فرنسا؟ إنه فخم. آمل أن تعجبك جميع التحف الرائعة التي تحيط بنا".

قال بوارو بحيوية، وقد اختفت جميع مظاهر الكآبة عن وجهه: "بالطبع، إنه أكثر فخامة من نزل السيدة بلانش أنسوورث، إلا أن هذا النزل تطل نوافذه على مشهد رائع".

ضـم لازاري يديـه معًا فـي سرور وقال: "نعـم، المشاهد مـن نوافذ فندقي الساحـر. نوافـذ الغرف في واجهـة الفندق تطل علـى حدائق الفنـدق الرائعة الجمـال، ونوافـذ الغرف فـي الجهة الأخـرى تطل على مدينة لنـدن الرائعة – مشهد رائع آخر. سأريك فيما بعد".



قال بوارو: "أفضل أن أرى الغرف الثلاث التي وقعت فيها جرائم القتل".

جعلت هذه الكلمات ابتسامة لازاري تضطرب ثم قال: "سيد بوارو، يمكنك أن تتأكد من أن هذه الجريمة البشعة - ثلاث جرائم قتل في ليلة واحدة، والتي لا يمكنني استيعابها على الإطلاق - لن تحدث مرة أخرى أبدًا في فندق بلوكسهام الشهير في جميع أنحاء العالم".

تبادلت وبوارو النظرات، فلم تكن الفكرة تدور حول أن الحادثة لن تتكرر مرة أخرى، بل عن حقيقة أنها حدثت بالفعل.

قررت أن أتولى زمام الأمور وألا أسمح لـ لازاري بقول المزيد من السخافات، فقد كان شارب بوارو يرتعش من فرط غضبه.

قلت لـ بوارو: "أسماء الضحايا هي: السيدة هارييت سيبيل، والآنسة أيدا جرانسبري والسيد ريتشارد نيجوس. جميعهم كانوا من نزلاء الفندق وكان كل منهم يقيم بمفرده في غرفته".

قال: "أتقول: كل منهم؟ في غرفته؟". ثم ابتسم على دعابته الصغيرة، وقد لاحظت تحسنًا في مزاجه منذ أن صمت لازاري، ثم استطرد قائلاً: "لم أقصد مقاطعتك يا كاتشبوول، أكمل".

قلت: "وصل الضحايا الثلاث إلى الفندق يوم الأربعاء، في اليوم السابق لمقتلهم".

قال بوارو: "هل حضروا معًا؟".

قلت: "لا".

قال السيد لازاري: "لا، بكل تأكيد. لقد حضر كل منهم بمفرده، واحدًا تلو الآخر، وحجزوا الغرف واحدًا بعد الآخر".

قال بوارو: "وقتلوا واحدًا بعد الآخر". كان ما قاله هو ما أفكر فيه بالضبط، ثم سأل لازاري: "هل أنت واثق من هذا؟".

قال لازاري: "تمام الثقة. لقد أخبرني بالأمر أحد موظفيّ، السيد جون جوود، أحد أكفأ أعضاء طاقمي على الإطلاق، ستلتقيه بنفسك. إننا لا نوظف إلا أكثر الناس كفاءة في فندق بلوكسهام يا سيد بوارو، وعندما يخبرني أحد



الموظفين بأمر ما، فأنا على يقين من أنه كما أخبرني به. يأتي الناس من جميع أرجاء البلاد ومن جميع أنحاء العالم طالبين العمل في فندق بلوكسهام، ولا أقبل إلا أفضلهم".

من الغريب أني لم أدرك مدى معرفتي بـ بوارو حتى هذه اللحظة — حتى رأيت لازاري لا يعرف كيفية التعامل معه على الإطلاق. إذا ما أحضر لافتة كبيرة وكتب عليها: "اشتبه في هذا الرجل بارتكابه للقتل"، وعلقها حول عنق السيد جون جوود، لم يكن ليتمكن من إثارة شبهات بوارو حوله مثلما فعل. لن يسمح هيركيول بوارو لأي شخص بأن يملي عليه رأيه في أحد، بل سيعتقد العكس، يا له من رجل عجوز ماكر!

قال بوارو: "إنها مصادفة استثنائية إذن. أليس كذلك؟ ضحايانا الثلاث — السيدة هارييت سيبيل، والآنسة أيدا جرانسبري والسيد ريتشارد نيجوس — وصل كل منهم بمفرده ولم يبدُ أن هناك أية صلة بينهم. ولكن، لم يتشارك ثلاثتهم تاريخ وفاتهم فحسب، والذي كان أمس، بل أيضًا في يوم وصولهم لفندق بلوكسهام: الأربعاء".

سألته: "ما الأمر المميز في هذا؟ هنالك الكثير من النزلاء وصلوا يوم الأربعاء، في فندق بهذا الحجم، أعني، النزلاء الذين لم يُقتلوا".

اتسعت عينا بوارو بشدة لدرجة أني اعتقدت أنهما ستقفزان من محجريهما، ولم أر أنني قلت أي شيء صادم لهذه الدرجة، لذا، تجاهلت تعبير الهلع ذاك الذي ظهر على وجهه، وتابعت إخباره ببقية ملابسات القضية.

قلت، وقد أصبحت أكثر وعيًا باستخدامي لعبارة "كل منهم": "كل من الضحايا وجد داخل غرفة نومه المغلقة، فقد أغلق القاتل الغرف الثلاث وفر ومعه المفاتيح ——".

قاطعني بوارو قائلاً: "مهلاً، هل تعني أن المفاتيح مفقودة؟ لا يمكنك أن تعرف ما إذا كان القاتل قد أخذها أم هي معه الآن".

أخذت نفسًا عميقًا وقلت: "إننا نعتقد أن القاتل أخذها معه، لقد فتشنا الفندق بدقة، ومن المؤكد أنها ليست هناك، ولا في أي مكان آخر من الفندق".



قال لازاري: "وقد بحث طاقمي الماهر وأكد على هذا".

قال بوارو إنه يرغب في تفتيش الغرف الثلاث بنفسه. ووافقه لازاري بسعادة غامرة كما لو أن بوارو قد اقترح إقامة حفل شاي يتبعه الرقص.

قلت: "فتش كيفما شئت، ولكنك لن تعثر على مفاتيح الغرف الثلاث. أقول لك إن القاتل أخذها معه، ولا أعلم ما فعله بها، ولكن ———".

قال بوارو بهدوء: "ربما وضعها في جيب معطفه إلى جانب زر أو ثلاثة أو خمسة من أزرار الأكمام الذهبية التي تحمل الحروف المزخرفة".

قال لازاري، رغم أنه لم يستوعب ملاحظة بوارو: "أدركت الآن لمَ يقولون إنك أكثر المحققين روعة يا سيد بوارو، يقولون إنك تتمتع بقدر كبير من الذكاء!".

قلت، غير مستعد للحديث مطولاً عن عبقرية بوارو: "يبدو أن سبب الوفاة هو التسمم. إننا نعتقد أنه استخدم سم السيانيد، والذي لن يستغرق الكثير من الوقت في التسبب بالموت إن كانت الكمية المستخدمة كافية. سيخبرنا التحقيق بكل شيء دون أدنى شك، ولكن... الأمر شبه المؤكد هو أن شرابهم قد سُمم. في حالة هارييت سيبيل وأيدا جرانسيري، فقد كان المشروب عبارة عن قدحين من الشاي، أما في حالة ريتشارد نيجوس، فقد كان الشراب كوبًا من العصير".

سألني بوارو: "كيف علمت هذا؟ المشروبات لا تزال في الغرفة، أليس كذلك؟".

قلت: "القدحان والكوب ما زالت في مكانها، ويحتوي كل منها على بضع قطرات من المشروبات، ولكن من السهل التفرقة بين الشاي والقهوة. سنعثر على سم السيانيد في هذه القطرات، أراهنك على ذلك".

قال بوارو: "ما وقت الوفاة؟".

قلت: "طبقًا لطبيب الشرطة، جميعهم قتلوا في الفترة التي تتراوح ما بين الرابعة بعد الظهر والثامنة والنصف مساءً. وتمكنا، لحسن الحظ، من تقليل الفترة أكثر لتتراوح ما بين السابعة والنصف والثامنة إلا عشر دقائق".



وافقني لازاري قائلاً: "لحسن الحظ دون شك... آه... فكل من الضحايا تمت رؤيتهم على قيد الحياة في السابعة والربع. بواسطة موظفين أكفاء من موظفي الفندق – لذا فإننا نعلم أن هذا حقيقي! كنت أنا من عثر على الضحايا – وكان الأمر مريعًا ومؤسفًا – ما بين الثامنة والربع والثامنة والثلث مساءً".

قلت لـ بوارو: "ولكن، يبدو أنهم كانوا قد ماتوا جميعًا قبل الثامنة إلا عشر دقائق عندما وصلت الرسالة التي تعلن عن مقتلهم عند مكتب الاستقبال".

قال بوارو: "مهلاً من فضلك، سنعود إلى هذه النقطة مرة أخرى لاحقًا. سيد لازاري، أتقول إن موظفي الفندق قد رأوا كل واحد من ضحايا جريمة القتل أحياء في *تمام السابعة والربع*؟".

أومأ لازاري بقوة لدرجة أنني خشيت أن يسقط رأسه عن كتفيه: "نعم، هذا صحيح، صحيح تمامًا. فقد طلب ثلاثتهم تقديم العشاء في تمام السابعة والربع. وقد تم توصيل الطعام إليهم في غرفهم في الموعد المحدد. هذه هي طريقة عمل فندق بلوكسهام".

استدار بوارو نحوي وقال: "هذه مصادفة كبيرة أخرى. لقد وصل كل من هاريت سيبيل وأيدا جرانسبري وريتشارد نيجوس في اليوم نفسه، اليوم السابق ليوم مقتلهم. ثم في يوم مقتلهم يطلبون جميعًا *أن يصل العشاء لغرفهم في تمام السابعة والربع*؟ لا تبدو هذه مصادفة".

قلت: "بوارو، لسنا بصدد الحديث عن احتمالية حدوث أمر ما نعلم أنه حدث بالفعل".

قال بوارو: "لا، ولكن هناك مغزى من التأكد من أنه حدث بالطريقة نفسها التي رويت لنا. سيد لازاري، أنا على يقين من أن فندقك يحتوي على غرفة واحدة كبيرة على الأقل. اجمع من فضلك جميع العاملين في الفندق في تلك الغرفة، وسأتحدث معهم جميعًا في تلك الغرفة – ومعك أيضًا – في أقرب وقت يناسبكم. بينما تفعل ما أخبرتك به، سأبدأ والسيد كاتشبوول في فحص غرف الضحايا".

قلت: "نعم. ويجدر بنا أن نسرع، قبل أن يحضروا لأخذ الجثث. ففي الظروف العاديـة، ربما يكونون قد أخذوا الجثث الآن". لم أذكر له أن تأخير أخذ الجثث كان بسبب عدم قيامي بواجبي. ففي خضم محاولتي الحثيثة للابتعاد عن فندق بلوكسهـام الليلـة السابقـة، والتفكير في أمر مـا - أي شـيء - أكثر لطفًا من جريمة القتل الثلاثية، كنت قد أهملت القيام بالترتيبات اللازمة.

*

أملـت أن يتحسن مزاج بوارو قليلاً بمجرد أن يتركنا لازاري بمفردنا، ولكني لم أر أي تغير على سلوكه الصارم، وأدركت أنه ربما يتصـرف بهذه الطريقة مادام "يعمل"، إذا جاز التعبير - إن التعبير يبدو مبالغًا فيه قليلاً حيث إن هذا عملي وأنا وليس عمله، ولم يكن يفعل أي شيء ليرفع من معنوياتي.

حصلـت على المفتاح العمومـي، وزرنا الغرف الثلاث واحـدة بعد الأخرى. بينمـا كنا بانتظـار باب المصعـد الذهبي الأنيـق لينفتح، قال بـوارو: "يمكننا الاتفاق على أمر واحد، على ما آمل: لا يمكننا الاعتماد على كلام السيد لازاري فيمـا يتعلق بالعاملين في الفنـدق. إنه يتحدث عنهم كما لـو كانوا فوق مستوى الشبهـات، الأمر الـذي لا يمكنني التسليم به طالما كانوا هنا أمس وقت ارتكاب الجريمة. إن ولاء السيد لازاري لموظفيه يستحق الاحترام، ولكنه سيكون أحمق إن اعتقد أن جميع موظفي بلوكسهام ملائكة".

كان هنـاك أمـر ما يزعجنـي، لذا، قلت لـه صراحة: "أتمنـى ألا تعتقد أني أحمق أنا أيضًا. إن ما قلته عن وصول الكثير من النزلاء يوم الأربعاء... كان هذا تسرعًا مني، إن أي نزلاء وصلوا إلى الفنـدق يوم الأربعاء ولم يقتلوا يوم الخميس لا علاقة لهم بالجريمة، أليس كذلك؟ أعني، قد يكون من محض المصادفة أن يصل ثلاثة نزلاء أو أي عدد آخر من النزلاء، لا تربطهم أية علاقة ظاهرية، إلى الفندق في اليوم نفسه حتى وإن كانوا سيقتلون في الليلة ذاتها".

ابتسم لي بوارو بود بينما كنا نخطو خارج المصعد، وقال: "نعم، لقد استعدت ثقتي بفطنتك يا صديقي. لقد أصبت كبد الحقيقة بقولك: لا تربطهم أية علاقة

ظاهرية. سيتضح فيما بعد أن هناك صلة تربط بين الأشخاص الثلاثة. لم يقع عليهم الاختيار من بين نزلاء الفندق بشكل عشوائي. لقد قُتلوا لسبب ما – سبب يتصل بالأحرف المحفورة على أزرار الأكمام "ب. أ. ج" وأعتقد أنه السبب نفسه الذي حضروا من أجله إلى الفندق في اليوم ذاته".

قلت بجرأة: "يبدو الأمر كما لو كانوا قد تلقوا دعوات لتسليم أنفسهم للموت، وقد كُتب في الدعوات: احضروا من فضلكم في اليوم السابق، حتى يتسنى لنا أن نقتلكم بكل حرية يوم الخميس".

ربما كان مزاحي عن أمر كهذا لا ينم عن الاحترام، ولكني أخشى أن المزاح هو ما أفعله عندما أشعر باليأس. كنت أنجح أحيانًا في إقناع نفسي بأن الأمور لا تقودني للجنون، ولكني لم أتمكن من هذا في هذا الموقف.

غمغم بوارو: "بكل حرية... نعم، هذه هي الفكرة يا صديقي. أعلم أنك لم تكن جادًا، إلا أنك عرضت فكرة مثيرة للغاية".

لم أعتقد أني فعلت. لقد كانت مزحة بلهاء ولا أكثر. يبدو أن بوارو ينوي تهنئتي على أكثر أفكاري غرابة.

قال بوارو بينما كان المصعد يصعد بنا إلى الأعلى: "واحد، اثنان، ثلاثة. هارييت سيبيل في الغرفة ١٢١، وريتشارد نيجوس، في الغرفة ٢٣٨، وأيدا جرانسيري في الغرفة ٣١٧. يحتوي الفندق على طابق رابع وخامس أيضًا، ولكن وقعت الجرائم الثلاث في تلك الطوابق المتعاقبة، الأول والثاني والثالث. يا له من نظام!". لطالما كان بوارو يعجب بالنظام، ولكنه بدا قلقًا من ذلك النظام الذي بين أيدينا.

تفحصنا الغرف الثلاث، والتي كانت متطابقة في كل شيء تقريبًا، فقد كانت كل منها تحتوي على فراش، خزانة، حوض به كوب مقلوب في أحد الأركان، العديد من المقاعد الوثيرة، طاولة ومكتب، مدفأة مبنية من القرميد، مبرد، طاولة كبيرة بجوار النافذة، وحقيبة، وملابس وبعض المتعلقات الشخصية، وجثة.

أغلق باب كل غرفة بشدة، حابسًا إياي في الداخل...

"أمسك بيده يا إدوارد".

لـم أتحمل النظر إلـى الجثث عن قرب، فقد كانت الجثـث الثلاث مستلقية على ظهورها، في وضع منبسط، والذراعان بجانب الجسم، وتتجه الأقدام نحو الباب. تم إعدادها للموت بطريقة رسمية.

(إن كتابة هـذه الكلمات التي تصـف وضعية الجثـث، تورثنـي إحساسًا لا يُحتمـل. هل من الغريـب ألا أتحمل النظر إلى وجـوه الضحايا الثلاث عن قرب لأكثـر من ثوان معـدودة في كل مرة؟ لـون البشرة الأزرق، والسكـون، والألسنة الثقيلة، والشفاه المجعدة؟ إلا أنه كان يجب عليَّ أن أفحص وجوههم بدقة بدلاً من النظر إلى أيديهم الخالية من الحياة، وكان يجب عليَّ فعل أي شيء بدلاً من التساؤل الذي لم أتمكن من منع نفسي عن التفكير فيه: هل كان كل من هارييت سيبيـل وأيـدا جرانسبري وريتشـارد نيجوس يرغبون في شخص مـا ليمسك بأيديهـم عندما ماتـوا، أم أن الفكرة ذاتها أرعبتهم؟ للأسـف، العقل البشري عنيد، عضو لا يمكن التحكم به، وقد آلمني التفكير في هذا الأمر كثيرًا).

تم إعدادهم للموت بشكل رسمي...

صدمتنـي تلك الفكرة بشدة، وكان هذا هو الأمر الغريب بشأن تلك الجرائم الثـلاث، فقد لاحظـت: أن الجثث تم وضعها على الأرض كمـا يفعل الأطباء مع مرضاهـم المتوفيـن، بعدما حاولوا علاجهـم مما ألم بهم مـن أمراض طوال أشهر. تم وضع جثث كل من هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري وريتشارد نيجوس بعنايـة شديـدة – أو هذا ما بدا لي، وربما قام القاتـل بممارسة طقوس العناية بالموتـى عليهـم بعد موتهـم. الأمر الذي يبعـث القشعريرة فـي الجسد هو أنه قتلهم بمثل هذا البرود.

بمجـرد أن جابـت هـذه الأفكار بخاطـري، أخبـرت نفسي على الفـور بأني مخطـئ، لم تكن العناية بالموتى هي ما حدث هنا، بل أمر بعيد عن هذا تمامًا. كنـت أخلط بين الماضـي والحاضر، أخلـط بين بلوكسهـام وذكريات طفولتي التعسـة. أجبرت نفسي على التفكير فقط فيما يقع أمام ناظريَّ، ولا شيء آخر.

حاولت أن أرى المشهد بأكمله عبر عينيّ بوارو، دون أي تأثير من تجاربي السابقة.

كانت كل جثة موضوعة بين مقعد وثير وطاولة صغيرة، وكان على طاولتين منها كوبان من الشاي وطبقان (يخصان هاربيت سيبيل وأيدا جرانسبري)، وكوب من العصير (يخص ريتشارد نيجوس). في غرفة أيدا جرانسبري رقم ٣١٧، كانت هناك صينية على الطاولة الأكبر حجمًا بجوار النافذة محملة بأطباق فارغة وكوب آخر من الشاي وطبقه، وكان الكوب فارغًا أيضًا، ولم يكن هناك أي شيء على الأطباق سوى فتات الطعام.

قال بوارو: "أها، لدينا في هذه الغرفة كوبان من الشاي والكثير من الأطباق. من المؤكد أن الآنسة أيدا جرانسبري كانت بصحبة شخص ما يتناول معها العشاء، ربما كانت بصحبة القاتل. ولكن، لماذا ظلت الصينية هنا رغم أنها أخذت من غرف كل من هاربيت سيبيل وريتشارد نيجوس؟".

قلت: "ربما لم يكونا قد طلبا الطعام، ربما طلبا المشروبات فقط – الشاي والعصير – ولم تكن هناك أية صواني في غرفهم من الأساس، كما أن أيدا جرانسبري أحضرت معها ضعف كمية الملابس التي أحضرها كل من الضحيتين الأخريين". نظرت إلى الخزانة التي كانت تحتوي على مجموعة رائعة من الأثواب، وقلت: "انظر هناك – لا يوجد مكان لتضع حتى معطف صغير، لقد أحضرت معها عددًا كبيرًا من الملابس. لا شك في أنها كانت ترغب في الظهور في أبهى صورها".

قال بوارو: "إنك محق. قال لازاري إنهم جميعًا طلبوا العشاء، ولكننا سنتقصى ما طُلب في كل غرفة بالضبط. لن يقع بوارو في خطأ الافتراض طالما لم تغب جيني عن تفكيره – جيني التي لا يعرف مكانها. جيني التي في نفس عمر الضحايا التي لدينا هنا تقريبًا – بين الأربعين والخامسة والأربعين على ما أظن".

أدرت وجهي بعيدًا بينما كان بوارو يفحص الأفواه وأزرار الأكمام، فبينما كان يجري فحوصاته ويصدر الكثير من التساؤلات، كنت أنظر أنا إما إلى

المدفأة أو خارج النافذة، متجنبًا التفكير في الأيدي التي لن يمسك بها أحد بعد الآن، متأملاً في الكلمات المتقاطعة التي أحاول حلها وأتساءل عن الخطأ الذي وقعت فيه. طوال أسابيع، كنت أحاول أن أعد أحد ألغاز الكلمات المتقاطعة الذي يستحق أن أرسله إلى واحدة من الصحف لتنشره، ولكن لم تكلل محاولاتي بالنجاح.

بعد أن ألقينا نظرة على الغرف الثلاث، أصر بوارو على العودة إلى الغرفة التي تقع في الطابق الثاني – غرفة ريتشارد نيجوس رقم ٢٣٨. تساءلت، هل سيكون من السهل عليّ دخول هذه الغرف كلما أكثرت من دخولها؟ كانت الإجابة، لا، حتى الآن، عند دخولي غرفة نيجوس، شعرت كما لو كنت أجبر قلبي على صعود أكثر جبال العالم خطورة وهو يعلم بأنه سيُدلى بحبل بمجرد الوصول إلى قمة الجبل.

كان بوارو – الذي لم يكن يعلم أي شيء عن معاناتي، والتي أخفيتها جيدًا، كما آمل – واقفًا في منتصف الغرفة، حيث قال: "جيد، هذه الغرفة مختلفة عن الغرفتين الأخريين، أليس كذلك؟ كانت غرفة أيدا جرانسبري تحتوي على الصينية وعلى كوب الشاي الإضافي، ولكن هنا نجد كوب العصير بدلاً من كوب الشاي، ونجد أيضًا أن هناك نافذة مفتوحة على مصراعيها، في حين نجد النوافذ في الغرفتين الأخريين مغلقة بإحكام. إن غرفة السيد نيجوس باردة للغاية".

قلت: "كانت على هذه الحال عندما دخل السيد لازاري إليها واكتشف جثة نيجوس، لم يتغير أي شيء فيها".

سار بوارو نحو النافذة المفتوحة وقال: "ها هو المشهد الرائع الذي وعدني به السيد لازاري – مشهد حدائق الفندق. تقع غرفة كل من هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري على الجانب الآخر من الفندق ونطلان على لندن الرائعة. هل ترى هذه الأشجار يا كاتشبوول؟".

أخبرته بأني أراها متسائلاً إن كان يظنني أحمق. كيف تفوتني رؤية الأشجار التي تقع أمام النافذة مباشرة؟

قال بوارو: "هناك اختلاف آخر، وهو وضع أزرار الأكمام. هل لاحظت ذلك؟ في فم كل من هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري، كانت الأزرار نائتة قليلاً من بين الشفاه. أما في حالة ريتشارد نيجوس، فإن الزر موجود على عمق أكبر داخل الفم، عند مدخل حلقه تقريبًا".

فتحت فمي لأعترض، ولكني عدلت عن ذلك. ولكن سبق السيف العذل، فقد رأى بوارو التساؤل في عيني فسألني: "ما الأمر؟".

قلت: "أعتقد أنك تتحذلق، فقد كانت هناك أزرار أكمام تحمل أحرفًا مزخرفة داخل أفواه الضحايا الثلاث – نفس الأحرف الأولى على كل منها "ب. أ. ج". هذا القاسم المشترك بينها، وليست وجها من أوجه الاختلاف، بغض النظر عن أي من أسنانهم توجد الأزرار بجوارها".

سار بوارو حتى أصبح في مواجهتي وقال: "ولكن هذا يعتبر فارقًا كبيرًا! الشفاه، مدخل الحلق – إنها أماكن مختلفة تمام الاختلاف. كاتشبوول، تذكر من فضلك ما أنا على وشك إخبارك به. في حالة وجود ثلاث جرائم قتل متطابقة، فإن أي اختلاف، مهما كان ضئيلاً، يكون على قدر كبير من الأهمية".

هل من المفترض أن أتذكر تلك الكلمات الحكيمة حتى وإن كنت لا أوافق عليها؟ ليس على بوارو أن يقلق، فأنا أتذكر جيدًا كل كلمة يقولها في حضوري، والكلمات التي تثير غضبي هي أكثر كلماته التي أتذكرها على الإطلاق.

رددت في إصرار: "كانت أزرار الأكمام الثلاثة جميعها في أفواه الضحايا، وهذا يكفيني".

قال بوارو في كآبة: "فهمت، هذا كاف بالنسبة لك، وكاف بالنسبة للمائة شخص الذين ستستجوبهم، ولا شك في أنه سيكون كافيًا لرؤسائك في سكوتلانديارد، ولكنه ليس كافيًا بالنسبة لـ بوارو".

ذكرت نفسي بأنه يتحدث عن تفسيرات تتعلق بالتشابه والاختلاف وليس بي شخصيًا.

قال: "ماذا عن النافذة المفتوحة، بينما جميع نوافذ الغرف الأخرى مغلقة؟ هل هذا اختلاف لا يستحق الذكر؟".

قلت: "من غير المرجح أن يكون له علاقة بالأمر. ربما يكون ريتشارد نيجوس قد فتحها بنفسه، ولم ير القاتل أن هناك سببًا لإغلاقها. لقد قلت هذا بنفسك يا بوارو – إننا معشر الإنجليز نفتح النوافذ في منتصف الشتاء لأننا نظن أن هذا سيفيد شخصياتنا".

قال بوارو بصبر: "صديقي العزيز، فكر في ذلك: لقد تناول الضحايا الثلاث السم، ثم سقطوا عن مقاعدهم على الأرض ورقدوا بشكل طبيعي على ظهورهم وأذرعهم بجانب أجسادهم وأقدامهم تتجه إلى جهة الباب. هذا مستحيل. لِمَ لم يترنح أي منهم عبر الغرفة؟ لِمَ لم يسقط أي منهم على جانبه؟ إنه القاتل، لقد عدل من وضعية الجثث بحيث تكون جميعها على الوضعية نفسها، وعلى المسافة نفسها من المقعد ومن الطاولة الصغيرة. جيد، إن كان مهتمًا لهذه الدرجة بترتيب مسرح كل جريمة لتبدو جميعًا متطابقة، فلِمَ لم يغلق هذه النافذة التي، نعم، ربما يكون ريتشارد نيجوس هو من فتحها – ولكن، لِمَ لم يغلقها القاتل لكي تتفق مع هيئة النوافذ في الغرفتين الأخريين؟".

كان عليَّ التفكير في هذا الأمر. كان بوارو محقًا: لقد تم وضع الجثث في تلك الوضعية عن عمد، يبدو أن القاتل كان يرغب في أن تبدو جميعها على الوضعية ذاتها.

إعداد الجثث للموت...

قلت بسرعة، بينما كان عقلي يجرني إلى ذكرى الغرفة المظلمة من طفولتي: "أعتقد أن هذا يعتمد على المكان الذي سترسم فيه إطارك حول الغرفة، ويعتمد على ما إذا كنت ترغب في أن يمتد وصولاً إلى النافذة".

قال بوارو: "إطار؟".

قلت: "نعم، ليس إطارًا حقيقيًا، بل إطار نظري، ربما لم يكن الإطار الذي رسمه القاتل لمسرح جرائمه يتعدى مربعًا مثل هذا". قلتها وسرت حول جثة ريتشارد نيجوس، ودرت حول الأركان عند الضرورة، وقلت: "أرأيت؟ لقد سرت حول إطار صغير يحيط بـ نيجوس، والنافذة خارج الإطار".

كان بـوارو يبتسـم محاولاً إخفاء ابتسامته خلف شاربـه وقال: "إطار نظري حـول مسرح الجريمة. نعم، لقد فهمت. أين يبـدأ مسرح الجريمة وأين ينتهي؟ هذا هو السؤال. هل سيكون أصغر من الغرفة التي يوجد بداخلها؟ إن ما فكرت به يليق بفيلسوف".

قلت: "شكرًا لك".

قـال بوارو: "معذرة، كاتشبوول، هـل تخبرني من فضلك بم تعتقد أنه حدث هنا في فندق بلوكسهام ليلة أمس؟ دعنا نُزِح الدافع جانبًا لبعض الوقت. أخبرني بما تعتقد أن القاتل فعله. منذ البداية وما يليها وما يليها وهكذا".

قلت: "ليس لديَّ أدنى فكرة".

قال: "حاول التفكير في الأمر يا كاتشبوول".

قلت: "حسنًا... أعتقد أنه دخل إلى الفندق، وأزرار الأكمام في جيبه، وتوجه إلـى كل من الغرف الثلاث واحدة بعد الأخرى. ربمـا بدأ مثلما بدأنا، في غرفة أيـدا جرانسبري رقم ٣١٧، وشق طريقه هبوطًا حتى يتمكن من مغادرة الفندق بسرعـة بعد أن يقتـل الضحية الأخيـرة – هاربيت سيبيل فـي الغرفة ١٢١ في الطابق الأول، حيث يهبط طابقًا واحدًا ويتمكن من النجاة بفعلته".

قال بوارو: "وماذا فعل في كل من الغرف الثلاث؟".

تنهدت وقلـت: "أعلم ما فعله. ارتكب جرائم القتل وعدل من وضعية الجثث فـي وضعية مستقيمة، ووضـع أزرار الأكمام في فم كل منهـم، ثم أغلق الأبواب ورحل".

قـال: "وتمكن من دخول كل غرفـة دون أن يعترضه أحد، أليس كذلك؟ وفي كل غرفـة، وجد ضحيتـه تنتظره وأعدت له شرابها من أجـل أن يضع لها السم به – المشروبات التي أوصلها طاقم الفندق لهم في تمام السابعة والربع، أليس كذلـك؟ ثم وقف إلى جانـب كل ضحية منتظرًا أن تشـرب مشروبها، ثم انتظر حتـى ماتـت كل ضحية، أليس كذلك؟ ثـم توقف ليتناول العشـاء مع واحدة من الضحايـا، أيـدا جرانسبري، والتي طلبـت كوبًا من الشاي من أجلـه هو أيضًا،

أليس كذلك؟ لقد زار جميع الغرف، وارتكب جميع جرائم القتل ووضع أزرار الأكمام في أفواه الضحايا وعدل من وضعيتها بهذه الصورة الرسمية في وضعية مستقيمة وكذلك أقدامهم جميعًا تتجه نحو الباب، وتمكن من كل هذا في الفترة ما بين السابعة والربع والثامنة وعشر دقائق، أليس كذلك؟ هذا يبدو احتمالا بعيدًا يا صديقي، بعيدًا للغاية".

قلت: "نعم، إنه كذلك، ولكن، لديك أفكار أفضل من هذا يا بوارو؟ لقد حضرت لهذا الغرض – لكي تخرج بأفكار أفضل من أفكاري. ابدأ في أي وقت يناسبك، من فضلك". ندمت على اندفاعي بمجرد أن انتهت جملتي.

قال بوارو، والذي، ولحسن الحظ، لم يأخذ الأمر على محمل الإهانة: "لقد بدأت منذ فترة طويلة. أنت تقول إن القاتل ترك رسالة عند مكتب الاستقبال تعلن عن جرائمه – أعطني إياها".

أخرجتها من جيبي وسلمتها له. كان جون جوود – مثال كمال موظفي الفنادق من وجهة نظر السيد لازاري – هو من عثر على الرسالة على مكتب الاستقبال في الثامنة وعشر دقائق. كانت الرسالة تحمل العبارة التالية: "أتمنى ألا يرقدوا في سلام. ١٢١، ٢٣٨، ٣١٧".

قال بوارو: "إذن، القاتل، أو شريكه، امتلك قدرًا كافيًا من الجرأة ليقترب من مكتب الاستقبال – المكتب الرئيسي في بهو الفندق – حاملاً رسالة ستدينه إن رآه أي شخص يتركها عند مكتب الاستقبال. إنه بالغ الجرأة. إنه لم يتوار في الظلال مستخدمًا الباب الخلفي".

قلت: "بعد أن قرأ لازاري الرسالة، ذهب إلى الغرف الثلاث ووجد الجثث، ثم فحص جميع غرف الفندق، كان فخورًا للغاية وهو يخبرني بهذا الأمر، ولكنه لم يعثر على جثث أخرى، لحسن الحظ".

كنت أعلم أنه لا يجب عليّ استخدام ألفاظ جارحة، ولكنها كانت تجعلني أشعر بشعور أفضل. إن كان بوارو إنجليزيًا، فمن المحتمل أن أبذل المزيد من الجهد لانتقاء ألفاظي.

قال بوارو: "وهل تبادر إلى ذهن السيد لازاري أنه من المحتمل أن يكون القاتل أحد نزلائه الذين ما زالوا على قيد الحياة؟ لا، لم يفعل، لأن كل من يختار الإقامة في فندق بلوكسهام يجب أن يكون شخصًا مستقيمًا ونزيهًا".

سعلت وأملت رأسي في اتجاه الباب، واستدار بوارو ناظرًا إلى الباب، ووجد لازاري قد تسلل إلى الغرفة ووقف على عتبته، ولم يبدُ أكثر سعادة من قبل وهو يقول: "هذا صحيح، صحيح للغاية يا سيد بوارو".

قال له بوارو عابسًا: "كل شخص كان متواجدًا الفندق يوم الخميس يجب أن يتحدث مع السيد كاتشبوول وأن يخبره بتحركاته. كل نزيل، وكل العاملين، بلا استثناء".

انحنى لازاري في احترام قائلاً: "مع بالغ سروري، يمكنك التحدث مع كل من ترغب يا سيد كاتشبوول، وستكون غرفة الطعام في الفندق تحت إمرتك في القريب، بمجرد أن نرفع أطباق الإفطار، وسأجمع الجميع هناك".

قال بوارو: "شكرًا لك، وحتى تفعل، سأجري تفتيشًا دقيقًا للغرف الثلاث"، فاجأني ما قاله بشدة، فقد كنت أعتقد أن هذا ما فعله للتو، ثم تابع حديثه قائلاً: "كاتشبوول، اعثر على عناوين هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري وريتشارد نيجوس، واعرف مَن مِن موظفي الفندق قام بحجز الغرف لهم، وأنواع الطعام والشراب التي طلبوا توصيلها لغرفهم، ومتى كان هذا، ومن الذي قام بتوصيلها".

توجهت نحو الباب، وكنت أخشى أن يبتكر بوارو المزيد من المهام ليضيفها للقائمة.

نادى عليَّ بوارو قائلاً: "اكتشف ما إذا كانت هناك أية امرأة تُدعى جيني تقيم في الفندق أو تعمل به؟".

قال لازاري: "لا توجد موظفة تُدعى جيني هنا في فندق بلوكسهام يا سيد بوارو. بدلاً من أن تسأل السيد كاتشبوول، اسألني أنا. إني أعرف جميع موظفي الفندق. إننا عبارة عن أسرة كبيرة سعيدة هنا في فندق بلوكسهام".



الفصل ٤

الإطار يزداد اتساعًا

قد تتذكر، أحيانًا، شيئًا قاله لك شخص ما منذ أشهر، أو ربما سنوات، مضت ويجعلك تضحك كلما تذكرته، وهذا ما حدث معي عندما قال لي بوارو أمرًا ما في وقت لاحق من ذلك اليوم، حيث قال: "من الصعب على أكثر المحققين ذكاءً أن يدرك ما عليه فعله عندما يرغب في التخلص من السيد لازاري. إن لم يكن إطراء المرء على فندقه كافيًا، يظل بجانبه ويكمل الإطراء بنفسه، وإن كان إطراء المرء على فندقه كافيًا ووافيًا، فإنه يظل بجانبه ليستمع".

كُللت جهود بوارو بالنجاح، أخيرًا، فقد تمكن من إقناع لازاري بتركه وحده مع ما يفعله في الغرفة ٢٣٨، حيث توجه نحو الباب الذي خرج منه مدير الفندق للتو وأغلقه، وتنفس الصعداء. كم من السهل على المرء أن يفكر بوضوح عندما يخلو المكان من الأصوات.

توجه مباشرة نحو النافذة، وفكر بينما وقف أمامها، النافذة المفتوحة التي ربما فتحها القاتل ليهرب منها بعد أن قتل ريتشارد نيجوس، وربما تسلق الشجرة هبوطًا إلى الأرض.

لماذا هرب بهذه الطريقة؟ لمَ لم يغادر الغرفة بالطريقة المتوقعة، عبر الردهة؟ ربما سمع القاتل أصواتًا خارج غرفة نيجوس ولم يكن يرغب في المغامرة بأن يراه أحد. نعم، هذا احتمال وارد. ولكنه، عندما توجه إلى مكتب

الاستقبال ليترك رسالته التي أعلن فيها عن جرائمه. كان يغامر بأن يراه الكثيرون. بل أكثر من مجرد أن يراه أحد - بل كان يغامر بأن يُقبض عليه متلبسًا ومعه دليل إدانته.

نظر بوارو إلى الجسد المسجى على الأرض. لم يكن هناك بريق معدني يصدر من بين الشفتين. كان ريتشارد نيجوس الوحيد الذي كان زر الأكمام موضوعًا في عمق فمه. إنه أمر يشذ عن القاعدة التي وضعها القاتل لمسرح جرائمه، كانت هناك الكثير من الأمور في تلك الغرفة شذت عن القواعد التي وضعها القاتل. لهذا السبب، قرر بوارو أن ينقب في الغرفة ٢٣٨ أولاً. لقد كان... نعم، لا سبيل لإنكار هذا - لقد كان يشك في هذه الغرفة. من بين الغرف الثلاث. كانت هذه الغرفة هي الأقل تفضيلاً بالنسبة له، فقد كان هناك أمر ما غير منظم بها، أمر غريب.

وقف بوارو إلى جانب جثة نيجوس وقطب حاجبيه مفكرًا، فحتى من خلال معاييره بالغة الدقة، فإن وجود نافذة واحدة مفتوحة لا يعني وجود اختلاف كبير في تلك الغرفة. ما الذي يعطيه هذا الانطباع إذن؟ نظر حوله واستدار حول نفسه ببطء في دورة كاملة. لا، لابد أنه مخطئ. لم يكن بوارو يخطئ كثيرًا، ولكن قد يحدث هذا أحيانًا، ولابد أنه الآن أمام إحدى هذه الحالات، لأنه لا شك في أن الغرفة رقم ٢٣٨ غرفة منظمة للغاية. لم تكن هناك فوضى أو أشياء مبعثرة. فقد كانت منظمة مثل غرف كل من هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري.

قال بوارو لنفسه: "سأغلق النافذة وأرى إن كان سيختلف أمر ما"، وفعل، وبدأ في تفتيش الغرفة من جديد، ولكن استمر شعوره بأن هناك خطأً ما، فلم يكن يحب الغرفة رقم ٢٣٨. لم يكن ليشعر بالراحة إذا ما وصل إلى فندق بلوكسهام ورأى هذا...

قفز حل المشكلة فجأة أمام عينيه، واضحًا جدًا لتأملاته. المدفأة! كانت واحدة من حجارة القرميد نافرة عن الأخريات، لم تكن مصطفة بمحاذاة الأخريات بل كانت ناتئة قليلاً. قرميدة سائبة، لم يكن بوارو ليتمكن من النوم

في غرفة بها مثل هذا الشيء. نظر إلى جثة ريتشارد نيجوس وقال لها: "إن كنت في الوضع الذي كنت أنت فيه، نعم، وليس العكس".

كان كل ما يفكر فيه بينما انحنى ليلمس القرميدة أنه قد يعدل من وضعها ويدفعها للخلف حتى تستوي مع بقية أحجار القرميد، حتى يرحم النزلاء القادمين من معاناة التفكير في أن أمرًا ما خاطئًا قد وقع في هذه الغرفة دون أن يتمكنوا من تخمين ما هو – يا لها من خدمة جليلة لهم! وللسيد لازاري أيضًا!

عندما لمس بوارو القرميدة، سقطت على الأرض، وسقط معها شيء ما: مفتاح منقوش عليه رقم: ٢٣٨. همس بوارو لنفسه قائلاً: "يا للمفاجأة! تبين الآن أن البحث الدقيق لم يكن دقيقًا في النهاية".

أعاد بوارو المفتاح إلى مكانه، وبدأ في تفتيش بقية أرجاء الغرفة، ولكنه لم يعثر على شيء آخر ذي أهمية، لذا، توجه إلى الغرفة رقم ٣١٧، ثم إلى الغرفة رقم ١٢١، حيث وجدته عندما عدت حاملاً بعضًا من الأخبار المشوقة.

لن يتغير بوارو، فقد أصر على أن يخبرني بأخباره أولاً، عن عثوره على المفتاح. كل ما يمكنني التعليق عليه هو أنه قد لا يعتبر، في بلجيكا، أنه من غير اللائق أن تعبر عن بهجتك، فقد كان بوارو مزهوًا وهو يقول: "هل أدركت ما يعنيه هذا يا صديقي؟ إن ريتشارد نيجوس لم يفتح النافذة، لأنها فُتحت بعد وفاته، وقد أغلقت الغرفة رقم ٢٣٨ من الداخل، وكان على القاتل أن يهرب، وقد فعل هذا عبر تسلق الشجرة التي خارج نافذة غرفة السيد نيجوس، بعدما أخفى المفتاح خلف واحدة من الأحجار المائلة من المدفأة، وربما يكون هو من حررها من مكانها".

سألته: "لمَ لم يخفِ المفتاح في ملابسه ويأخذه معه ويغادر الغرفة بالطريقة العادية؟".

قال بوارو: "هذا هو السؤال الذي كنت أطرحه على نفسي – ولكني لم أتوصل إلى إجابته بعد. لقد توصلت إلى عدم وجود مفتاح مختفٍ في هذه الغرفة، الغرفة رقم ١٢١، ولا في الغرفة رقم ٣١٧. لابد أن القاتل قد أخذ المفتاحين

معــه وغادر فندق بلوكسهام، لماذا ترك المفتاح الثالث إذن؟ لماذا عامل غرفة ريتشارد نيجوس بطريقة مختلفة؟".

قلت: "ليست لديَّ أدنى فكرة. اسمع، كنت أتحدث مع جون جوود، موظف ـــــ".

قال بوارو وعيناه تلمعان: "أكثر الموظفين كفاءة".

قلت: "نعم، حسنًا... سواءً كان كفئًا أم لا فإنه سيفيدنا كثيرًا فيما يتعلق بالحصول على المعلومات. لقد كنت محقًا: هناك صلة بين الضحايا الثلاث. لقد رأيت عناوينهم بعيني. تعيش كل من هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري في مكان يُدعى جريت هولينج في وادي كولفر".

"رائع، وماذا عن ريتشار نيجوس؟".

قلت: "لا، إنه يعيش في ديفون – في مكان يُدعى بوورثي. ولكن هنالك صلة بينه وبين الأخريات، فقد كان هو من حجز الغرف الثلاث – غرفة أيدا، وغرفة هارييت، وغرفته – وقد دفع ثمن الإقامة مقدمًا".

غمغم بوارو وهو يداعب شاربه: "حقًا؟ هذا أمر مشوق...".

قلت: "ولكنه محير، في رأيي. الأمر الرئيسي المحير: لماذا، إذا كانوا قد حضروا من القرية ذاتها في اليوم ذاته، فلِمَ لم تسافر كل من هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري معًا؟ ولِمَ لم تصلا معًا إلى الفندق؟ لقد راجعت الأمر عدة مرات مع جون جوود، ولكنه أصر على أن هارييت وصلت يوم الأربعاء قبل أيدا بساعتين – ساعتين كاملتين".

قال بوارو: "وماذا عن ريتشارد نيجوس؟".

قررت أن أخبر بوارو بجميع التفاصيل المتعلقة بـ نيجوس في أقرب فرصة حتى لا أسمعه يقول: "وماذا عن نيجوس؟"، مرارًا وتكرارًا.

قلت: "وصل نيجوس قبل هارييت سيبيل بساعة. كان أول من يصل إلى الفندق منهم، ولكن لم يكن جون جوود هو من تعامل معه، بل موظف جديد، السيد توماس برينجل. اكتشفت أيضًا أن جميع ضحايانا الثلاث حضروا إلى

لنــدن بالقطار، وليس السيارة. لست واثقًا مــن أن هذا الأمر ذو أهمية بالنسبة لك، ولكن ـــــــ".

قال بوارو: "يجب أن أعرف كل شيء".

جعلتــي رغبته الواضحة في تولي زمام الأمور وجعـل هذا التحقيق تحقيقه الخاصـ أشعـر بالضيـق والطمأنينة فـي الوقت ذاتـه، فقلت له: "لـدى فندق بلوكسهام بعض السيارات التي يتم إرسالها لإحضار النزلاء من محطة القطار. إنهـا ليست بخسة الثمن، ولكنهـم سعداء بتقديم هذه الخدمـة لنزلائهم. منذ ثلاثـة أسابيـع، رتب ريتشـارد نيجوس مع جون جـوود إرسال سيـارات الفندق لنقله وهارييت سيبيل وأيدا جرانسبري، كل منهم في سيارة منفصلة، وقد دفع نيجوس مقابل كل شيء – الغرف والسيارات – مقدمًا".

قال بوارو بصوت عال: "ربما كان رجلاً ثريًا. عادة ما تُرتكب الجرائم بسبب المال. ما رأيك يا كاتشبوول بعدما توافر لدينا المزيد المعلومات؟".

قـررت أن ألقـي بثقلي في الأمر، فقد طلب رأيـي، وتخيلت ما قد يبدو جيدًا لـ بوارو. لـذا، سمحت لنفسي بـأن أبتكر نظرية مستخدمًـا الحقائق المتوافرة لدينـا كنقطـة بداية. فقلت: "حسنًا... لابد وأن ريتشـارد نيجوس كان يعلم عن المحجوزات الثلاثة، لأنه من قام بحجز الغرف ودفع مقابلها، ولكن من المرجح أن هارييـت سيبيل لـم تكن تعلم أن أيـدا جرانسبري ستصل هـي الأخرى إلى فندق بلوكسهام، وربما لم تكن أيدا تعلم أيضًا بوصول هارييت".

قال بوارو: "نعم، هذا احتمال وارد".

تشجعت وتابعت حديثي قائلاً: "ربما كان من الضروري لنجاح خطة القاتل ألا تعلـم كل مـن هارييـت وأيدا بوجود الأخـرى في الفندق، ولكـن إن كان هذا صحيحًـا، وإن كان ريتشـارد نيجوسـ، فـي الوقت ذاتـه، يعلم بأنـه والمرأتين الأخريـين سيكونـون من ضمن نزلاء فنـدق بلوكسهام..."، عنـد هذه النقطة، نضب بئر أفكاري عن آخره.

تولـى بوارو زمـام الحديث قائلاً: "إننا نفكر في الأمـر ذاته يا صديقي، هل شـارك ريتشـارد نيجوس في قتـل نفسه دون أن يقصد؟ ربمـا أقنعه القاتل بأن

يستدرج الضحيتين الأخريين إلى فندق بلوكسهام لسبب آخر، ولكنه كان يضمر طوال الوقت أن يقتل ثلاثتهم. السؤال هنا هو: هل كان من الضروري ألا تعلم كل من هاريت وأيدا بوجود الأخرى في الفندق؟ وإذا كان هذا صحيحًا، هل كان هذا ضروريًا من أجل ريتشارد نيجوس أم من أجل القاتل، أم من أجلهما معًا؟".

قلت: "ربما كان ريتشارد نيجوس يخطط لأمر ما، في حين كان القاتل يخطط لأمر آخر، أليس كذلك؟".

قال بوارو: "صحيح تمامًا. ما علينا فعله الآن، هو معرفة كل ما يمكننا معرفته عن كل من هاريت سيبيل وأيدا جرانسبري وريتشارد نيجوس، من كانوا عندما كانوا على قيد الحياة؟ ماذا كانت آمالهم وأحزانهم وأسرارهم؟ القرية، جريت هولينج – إنها المكان الذي سنبحث فيه عن الإجابات التي نريدها، وربما نعثر على جيني هناك، و الشخص الغامض صاحب الأحرف الأولى – " ب. أ. ج ".

قلت: "لقد تحريت عن الأمر. لا توجد هنا نزيلة تحمل اسم جيني، لا الآن ولا الليلة السابقة".

قال بوارو: "كنت أعلم أنك لن تجد نزيلة بهذا الاسم، فقد أخبرتني في سبرينج، النادلة، بأن جيني تعيش في أحد المنازل على جانب المدينة المقابل لمقهى بليزانت، وهذا يعني أنه يقع في لندن – وليس ديفون ولا في وادي كولفر. لن تكون جيني بحاجة لاستئجار غرفة في فندق بلوكسهام بينما تعيش على الجانب الآخر من المدينة".

قلت: "بالمناسبة، هنري نيجوس، شقيق ريتشارد نيجوس، في طريقه إلى هنا قادمًا من ديفون. إن ريتشارد نيجوس كان يعيش مع هنري وعائلته. كما أني كلفت بعضًا من أفضل رجالي بالتحقيق مع جميع نزلاء الفندق".

ربت بوارو ذراعي قائلاً: "لقد اضطلعت بالأمر بكفاءة عالية يا كاتشبوول".

شعرت بأني ملزم بإخبار بوارو بفشلي في إحدى المهام، فقلت: "لم أتمكن من إتمام المهمة المتعلقة بوجبات العشاء التي تم توصيلها إلى الغرف، حيث إني لم أتمكن من العثور على من تلقى الطلبات أو أوصل الوجبات للغرف. لابد من وجود التباس في الأمر".

قال بوارو: "لا تقلق. سأقوم بالتحديد اللازم عندما نتجمع في غرفة الطعام، ولكن حتى يحدث هذا، دعنا نتجول قليلاً في حدائق الفندق، ففي بعض الأحيان قد يساعد بعض التنزه على طفو بعض الأفكار الجديدة على السطح".

•

بمجرد أن خرجنا من الفندق، بدأ بوارو يشكو من الطقس الذي أصبح سيئًا، فاقترحت عليه قائلاً: "هل نعود للداخل؟".

قال بوارو: "لا، ليس الآن. إن تغير الطقس جيد لخلايا المخ، ربما تقينا الأشجار من الرياح. أنا لا أمانع الشعور بالبرد، ولكن هناك نوعًا جيدًا ونوعًا سيئًا من البرد، واليوم أشعر بوجود النوع السيئ من البرد".

توقفنا بمجرد وصولنا إلى مدخل حدائق فندق بلوكسهام والتي لم يكن لوكا لازاري يبالغ عندما كان يصف مدى جمالها مع صفوف أشجار الزيزفون المتشابكة وعلى الجانب الآخر من الحديقة، كانت هناك أجمل شجرة منحوتة بشكل فني رأيتها في لندن. كانت الحدائق دليلاً على عدم استئناس الطبيعة فحسب، بل وعلى إجبارها على الاستسلام والخضوع التامين. حتى في خضم هذه الريح شديدة البرودة، كانت الحدائق ممتعة للعيان.

سألت بوارو: "ماذا سنفعل الآن؟ هل سندخل أم لا؟". فكرت أنه من الرائع أن نتجول في هذه الممرات الخضراء التي تقع بين الأشجار والتي كانت تمتد في خطوط مستقيمة وممهدة بالحجارة مثل الطرق الرومانية القديمة.

قطب بوارو حاجبيه وقال: "لا أعلم، هذا الطقس...". ثم ارتعد من أثر البرد.

أكملت جملته بنفاد صبر قائلاً: "... سيمتد، دون شك، وصولاً إلى الحدائق، هناك مكانان فقط يمكننا التواجد بهما يا بوارو، إما داخل الفندق أو خارجه، أيهما تفضل؟".

قال بوارو بظفر: "لديَّ فكرة أفضل. سنستقل حافلة!".

قلت: "حافلة؟ إلى أين؟".

قال: "ليس إلى مكان محدد، أو إلى مكان ما، لا يهم. سرعان ما سنخرج من الحافلة ونعود في واحدة أخرى، إنها ستمنحنا تغيير المشهد دون وجود برد، هيا، سنشاهد معالم المدينة عبر نوافذ الحافلة، ومن يدري ما قد نلاحظه؟"، قالها ثم انطلق بإصرار.

تبعته وأنا أهز رأسي، وقلت: "أنت تفكر في جيني، أليس كذلك؟ من غير المرجح أن نراها ______".

قال بوارو بحماس: "إنه أكثر ترجيحًا من وقوفنا هنا لنشاهد العشب وأغصان الأشجار".

بعد عشر دقائق، وجدنا نفسينا في حافلة اعتلى الضباب نوافذها لدرجة استحالت معها رؤية أي شيء عبرها، ولم تساعدنا كثيرًا محاولة تنظيفها بالمنديل.

حاولت أن أقنع بوارو ببعض المنطق، فبدأت حديثي قائلاً: "بالنسبة لـ جيني...".

قال: "ماذا عنها؟".

قلت: "ربما تكون في خطر محدق، ولكني لا أعتقد أن هناك صلة بينها وبين جرائم القتل التي حدثت في بلوكسهام. لا يوجد دليل واحد على وجود صلة بينها وبين الجرائم، لا توجد صلة على الإطلاق".

قال بوارو بأسف: "أختلف معك يا صديقي. لقد أصبحت أكثر قناعة بوجود صلة".

قلت: "حقًا؟ قل لي يا بوارو – لماذا؟".

قال: "بسبب السمتين الغريبتين المشتركتين بين المواقف".

قلت: "وما هما؟".

قال: "ستدركهما يا كاتشبوول. لن تفوتهما إذا ما فتحت عقلك وفكرت فيما تعرفه".

في المقعد من خلفنا، كانت هناك امرأة مسنة وابنتها في منتصف العمر تتناقشان حول الفارق بين الحلوى الجيدة والحلوى الممتازة.

همس لي بوارو: "هل سمعت هذا يا كاتشبوول؟ *الفارق!* دعنا لا نصب تركيزنا على الأمور المتشابهة، بل على الفوارق – هذا ما سيجعلنا نعرف القاتل".

سألته: "أي نوع من الفوارق؟".

قال: "الفوارق بين جريمتي قتل من الجرائم التي ارتكبت في الفندق والثالثة. لماذا كانت التفاصيل الطرفية مختلفة في حالة ريتشارد نيجوس؟ لماذا أغلق القاتل الغرفة من الداخل بدلاً من إغلاقها من الخارج؟ لماذا أخفى المفتاح خلف حجر سائب من أحجار المدفأة بدلاً من أخذه معه؟ لماذا فر من النافذة، هابطًا على الشجرة، بدلاً من الخروج عبر الردهة وكأن شيئًا لم يحدث؟ تساءلت في البداية عما إذا كان سمع أصواتًا خارج الغرفة ولم يكن يرغب في المغامرة بأن يراه أحد يخرج من غرفة السيد نيجوس".

قلت: "يبدو هذا منطقيًا".

قال: "لا، ولكني لا أرى هذا".

قلت: "ولم لا؟".

قال: "بسبب مكان وجود زر الأكمام في فم ريتشارد نيجوس، والذي كان مختلفًا أيضًا في حالته: كان داخل فمه بالكامل، بالقرب من الحلق، بدلاً من أن يكون بين الشفتين".

تجاهلت ما قاله وقلت: "ليس هذا الأمر مجديًا. لا أعتقد أنه ——".

قال: "انتظر يا كاتشبوول، ودعنا نر...".

توقفت الحافلة، ومد بوارو عنقه ليفحص الركاب الجدد الذين استقلوا الحافلة، ثم تنهد عندما دخل آخر الركاب – والذي كان رجلاً نحيفًا يرتدي حلة صوفية وينمو الشعر من أذنيه أكثر مما ينمو في رأسه.

قلت: "أشعرت بخيبة الأمل لأن جيني ليست بين الركاب الجدد". وأعتقد أني قلتها بصوت عال حتى أصدق ما قلته.

قال بوارو: "لا يا صديقي. أنت محق بشأن ما شعرت به، ولكنك لست محقًا بشأن ما شعرت بخيبة الأمل حياله. إني أشعر بخيبة الأمل كلما أفكر في أنه من غير المرجح، في مدينة هائلة مثل لندن، أن أرى جيني مرة أخرى، ولكني... لم أفقد الأمل بعد".

قلت: "مع كل حديثك عن الأسلوب العلمي في التفكير، ما أنت إلا مجرد حالم، أليس كذلك؟".

قال: "هل تعتقد أن الأمل عدو العلم وليس قوته الدافعة؟ أختلف معك في هذا، كما أختلف معك بشأن أزرار الأكمام. إنه فارق كبير بين حالة ريتشارد نيجوس والمرأتين. إن الاختلاف في مكان وجود زر الأكمام داخل فم ريتشارد نيجوس لا يمكن تفسيره بسماع القاتل لبعض الأصوات خارج الغرفة ورغبته في تفادي رؤيتهم له. لذا، لابد من وجود تفسير آخر، وحتى نعلم ما هو التفسير الآخر، لا يمكننا أن نثق بأنه لا ينطبق أيضًا على النافذة المفتوحة، وعلى المفتاح المخبأ في الغرفة، وعلى الباب المغلق من الداخل".

هنا، وجدت نفسي في تلك الحالة، التي تتكرر في أغلب القضايا – ولا شك تلك القضايا التي يورط هيركيول بوارو نفسه فيها – التي يبدأ المرء بالشعور بأنه سيشعر بالمزيد من الارتياح، وسيكون أكثر فاعلية، إن تحدث مع نفسه فقط، مستغنيًا عن جميع محاولات التواصل مع العالم الخارجي.

في عقلي، حيث يوجد مشاهدي الوحيد المتعقل والمقدر، أصررت على الفكرة التالية: إن وجود زر الأكمام داخل فم ريتشارد نيجوس في موضع مختلف عن الضحيتين الأخريين لا أهمية له. إن الفم ما هو إلا فم، وهذا كل ما في الأمر. في عقل القاتل، كان قد قام بالأمر ذاته مع الضحايا الثلاث: فتح أفواههم ووضع أزرار الأكمام الذهبية التي تحمل الحروف المزخرفة داخلها.

لم أتمكن من التوصل لأي تفسير بشأن إخفاء المفتاح خلف حجر المدفأة السائب، فقد كان من الأسهل والأسرع بالنسبة للقاتل أن يأخذه معه، أو أن يلقيه على السجادة بعد أن يمسح عنه بصمات أصابعه جيدًا.

خلفنا، كانت الأم وابنتها قد انتهيتا من الحديث عن الحلوى وبدأتا التحدث عن الشحوم.

قال بوارو: "أعتقد أنه علينا التفكير في العودة للفندق".

اعترضت قائلاً: "ولكننا ركبنا الحافلة للتو".

قال: "نعم، هذا صحيح، ولكن لا يجب أن نبتعد كثيرًا عن بلوكسهام،

فسرعان ما سيرغبون في وجودنا في غرفة الطعام".

نفخت ببطء، عالمًا بأنه لا داعي للسؤال عن السبب، ففي هذه الحالة، كان هو من شعر بضرورة مغادرتنا للفندق في المقام الأول.

قال بوارو: "علينا أن نهبط من هذه الحافلة ونستقل حافلة أخرى، فربما أمكننا مشاهدة المدينة من الحافلة الأخرى أفضل من هذه الحافلة".

وقد كان. رغم أن بوارو لم ير أثرًا لـ جيني، الأمر الذي أزعجه كثيرًا، إلا أنني رأيت بعض المناظر الرائعة التي جعلتني أتذكر سبب عشقي للندن: رجل يرتدي زي المهرجين، ويحاول القيام بالحركات البهلوانية بشكل سيئ للغاية، إلا أن المارة ظلوا يلقون بالعملات المعدنية داخل القبعة التي بين قدميه. ومن بين المناظر الأخرى، كلب يشبه إلى حدٍّ كبير أحد الساسة البارزين، وشحاذ يجلس على الرصيف وبجواره حقيبة ملابس مفتوحة يأكل الطعام من داخلها كما لو كانت متجر أطعمته المتنقل. قلت: "انظر يا بوارو. إن هذا الرجل لا يأبه بالبرد – إنه سعيد مثل القطة التي حصلت على الحليب. يجدر بي القول، المتسول الذي حصل على الحليب. بوارو، انظر إلى ذلك الكلب – ألا يذكرك بشخص ما؟ شخصية شهيرة. هيا، انظر، ستعرفه على الفور".

قال بوارو بحدة: "كاتشبوول، راقب الطريق وإلا سنفوت مكان هبوطنا، إنك تنظر دائمًا بعيدًا بحثًا عن اللهو".

نهضت، بمجرد أن خرجنا من الحافلة قلت: "أنت من اصطحبني في نزهة لمشاهدة معالم لندن لا هدف منها، ولا يمكنك أن تلقي باللوم عليَّ بينما جذبت انتباهي بعض من المناظر الجميلة".

توقف بوارو عن السير وقال: "أخبرني، لماذا لم تلق نظرة على الجثث الثلاث في الفندق؟ ما الذي لا تقوى على رؤيته فيها؟".

قلت: "لا شيء، لقد نظرت إلى الجثث مثلما نظرت أنت – لقد قمت بجل فحوصاتي، في الواقع، قبل أن تصل".

قال: "إن لم تكن ترغب في التحدث عن الأمر معي، فكل ما عليك فعله هو أن تقول لي ذلك يا صديقي".

قلت: "لا يوجد ما أتحدث عنه، فأنا لا أعلم أن هناك من يحب النظر للجثث أكثر من الضروري. هذا كل ما في الأمر".

قال بوارو بهدوء: "لا، ليس هذا كل ما في الأمر".

أقر بأنه كان يجب عليَّ أن أخبره بالأمر، ولكني لا أعلم لماذا لم أفعل. توفي جدي عندما كنت في الخامسة من عمري، وكان يحتضر، لفترة طويلة قبل ذلك، في إحدى غرف منزلنا. لم أكن أحب أن أزوره في غرفته يوميًّا، ولكن أصر والدي على أن هذا كان مهمًّا بالنسبة له، لذا كنت أفعل لأرضيه، ومن أجله أيضًا. راقبت بشرته وهي تتحول إلى اللون الأصفر بالتدريج، وسمعت أنفاسه وهي تخفت ورأيت عينيه وهما تزيغان. لم يكن ما أشعر به حينها هو الخوف، ولكني أتذكر الأمر. يوميًّا، كنت أعد الثواني التي عليَّ أن أقضيها في تلك الغرفة عالمًا بأنه ستتسنى لي المغادرة في النهاية، وأن أغلق الباب خلفي وأتوقف عن العد.

عندما توفي، شعرت كما لو أني قد تحررت من السجن، وأنه سيمكنني الاستمتاع بحياتي مرة أخرى. سيرحل جدي، ولن يموت أحد آخر في المنزل، ثم أخبرتني أمي بأنه يجب عليَّ الذهاب لرؤية جدي للمرة الأخيرة، في غرفته، وقالت لي إنها ستأتي معي، وأن كل شيء سيكون على ما يرام.

كان الطبيب قد عدل من وضعية جسده، وشرحت لي أمي سبب تعديل وضع الجسد. ظللت أعد الثواني في صمت، وكانت الثواني أطول من المعتاد، مائة وثلاثون على أقل تقدير، وكنت أقف بجوار أمي محدقًا بجسد جدي الهامد المنكمش. قالت لي أمي: "أمسك بيده يا إدوارد"، وعندما قلت إني لا أرغب في هذا، بدأت في البكاء بشدة كما لو كانت لن تتوقف أبدًا.

لذا، أمسكت بيد جدي بارزة العظام، وجل ما أردته حينها هو أن أتركها وأعدو مبتعدًا، ولكني ظللت ممسكًا بها حتى توقفت أمي عن البكاء وأخبرتني بأنه يمكننا العودة مرة أخرى إلى الطابق السفلي.

أمسك بيده يا إدوارد. أمسك بيده.

الفصل ٥

التحقيق مع مائة شخص

لاحظت بالكاد تجمع عدد كبير من الأشخاص في قاعة طعام فندق بلوكسهام عندما دخلت إليها بصحبة بوارو، فقد كانت الغرفة ضخمة للغاية لدرجة أني لم أتمكن من منع نفسي عن التعجب بمدى ضخامتها، فقد توقفت على عتبة بابها وحدقت في السقف المرتفع الأنيق المزين بالكثير من الشعارات والمنحوتات. تعجبت من فكرة أن يتناول الناس أطعمة عادية كالخبز والمربى تحت تحفة فنية مثل تلك – ربما دون أن ينظروا إلى الأعلى حتى بينما يقشرون البيض المسلوق الذي سيتناولونه.

حاولت أن أستوعب التصميم بأكمله، وكيف أن هناك أجزاء من السقف تتصل بأجزاء أخرى منه، عندما اقترب مني لوكا لازاري المزعج قاطعًا إعجابي بالتناسق الفني الرائع الذي يعلو رأسي بصوته العالي حينما قال: "سيد كاتشبوول، سيد بوارو. أقدم لكما بالغ اعتذاري. كنت قد أسرعت لمساعدتكما على مهمتكما بالغة الأهمية، وبينما كنت أفعل، كذبت. كنت قد سمعت الكثير من الآراء، وفشلت محاولتي الأولى للموازنة بينها. إني أتحمل مسئولية حماقتي، دون أن تقع أدنى مسئولية على عاتق أي شخص آخر. آه ــــــــ".

توقف لازاري عن الحديث، ونظر خلفه إلى المائة شخص أو يزيد، من رجال ونساء، المجتمعين في الغرفة، ثم تحرك نحو يساره حتى أصبح يقف أمام بوارو

تمامًا، ثم أبرز صدره بطريقة مضحكة، ثم وضع يديه على فخذيه. أعتقد أنه كان يأمل إخفاء طاقمه بأكمله عن عيني بوارو المستنكرتين من منطلق أنه إن لم يرهم أحد، فلن يُلقي باللوم عليهم.

سأله بوارو: "ما الخطأ الذي وقعت فيه يا سيد لازاري؟".

قال لازاري: "لقد كان خطأ جسيمًا، لقد كنت ترى أن هذا الأمر مستحيل وقد كنت محقًا، ولكني أرغب في أن تدرك أن طاقمي الممتاز، الذي تراه أمامك، أخبروني بحقيقة ما حدث، وكنت أنا من حرف الحقيقة لتصبح مضللة – ولكني لم أفعل هذا عن عمد".

قال بوارو: "فهمت، والآن، ماذا ستفعل لتصحح الخطأ...؟".

كان أفراد الطاقم "الممتاز" يجلسون في صمت حول طاولة كبيرة مستديرة يستمعون بحرص لكل لكمة، وكان مزاجهم يدل على الكآبة، فقد تفحصت وجوههم جميعًا ولم أر ابتسامة واحدة على وجه أي منهم.

قال لازاري: "لقد أخبرتك بأن كلًا من النزلاء الراحلين الثلاثة طلب أن يحصل على العشاء في غرفته في تمام السابعة والربع مساء أمس – كل على حدة. هذا ليس صحيحًا. كان الثلاثة معًا. لقد تناولوا العشاء معًا في غرفة واحدة، غرفة أيدا جرانسبري رقم ٣١٧؛ وقد رأى نادل واحد ثلاثتهم أحياء ومعافين في السابعة والربع. أرأيت يا سيد بوارو؟ لم تكن مصادفة نادرة تلك التي نقلتها إليك، بل تجمع في مكان واحد: ثلاثة نزلاء يتناولون العشاء معًا في غرفة أحدهم!".

بدا بوارو راضيًا وهو يقول: "جيد، هذا يجعل الأمر منطقيًا، ومن هو هذا النادل؟".

نهض رجل بدين أصلع الرأس واقفًا، وبدا أنه في حوالي الخمسين من عمره، كان وجهه عريض الفكين ذا عينين حزينتين، وقال: "هذا أنا يا سيدي".

قال بوارو: "ما اسمك يا سيدي؟".

قال النادل: "رافائل بوباك يا سيدي".

سأله بوارو: "هل قدمت العشاء إلى كل من هاربيت سيبيل وأيدا جرانسبري وريتشارد نيجوس في الغرفة رقم ٣١٧ في تمام السابعة والربع مساء أمس؟".

قال بوباك: "ليس العشاء يا سيدي، بل شاي ما بعد الظهر – كان هذا ما طلبه السيد نيجوس. شاي ما بعد الظهر في وقت العشاء. وسأل عما إذا كان هذا متاحًا أم عليه أن يطلب ما أطلق عليه: نوعًا خاصًا من العشاء. وأخبرني أنه وصديقتيه اتفقوا على أنهم ليسوا في مزاج يسمح بتناول العشاء، وقال إنهم يفضلون الحصول على شاي ما بعد الظهر. أخبرته بأنه سيحصل على أي شيء يرغب فيه يا سيدي. طلب بعض الشطائر – لحم وجبن وسلمون وخيار – وتشكيلة من الكعك، وبعض الكعك المستدير يا سيدي مع المربى والكريمة".

سأله بوارو: "وماذا عن المشروبات؟".

قال بوباك: "الشاي يا سيدي، من أجل ثلاثتهم".

قال بوارو: "حسنًا، وماذا عن العصير الذي طلبه السيد نيجوس؟".

هز رافال بوباك رأسه نفيًا وقال: "لا يا سيدي، لا يوجد عصير. لم يطلب السيد نيجوس العصير مني، ولم آخذ كوبًا من العصير إلى الغرفة رقم ٣١٧".

قال بوارو: "هل أنت واثق من هذا؟".

قال بوباك: "تمام الثقة يا سيدي".

أشعرني وجودي أمام كل هذا العدد من الأعين بالارتباك، كنت أدرك جيدًا بأنني لم أطرح أية أسئلة حتى الآن تاركًا بوارو يتولى زمام الأمور، ولكن إن لم أشارك في الأمر على الإطلاق، فقد أبدو أمام الجميع ضعيفًا. سعلت ثم وجهت حديثي لكل من في الغرفة قائلاً: "هل أخذ أي منكم قدحًا من الشاي إلى غرفة هارييت سيبيل رقم ١٢١، في أي وقت من اليوم؟ أو كوبًا من العصير إلى غرفة ريتشارد نيجوس؟ إما أمس أو يوم الأربعاء، أول أمس؟".

بدأت الرءوس تهتز أن لا. إن لم يكن هناك كاذب بينهم، بدا أن الشيء الوحيد الذي تم توصيله لغرف الضحايا الثلاث هو شاي ما بعد الظهر الذي تم توصيله في وقت العشاء بواسطة رافال بوباك إلى الغرفة ٣١٧ في تمام السابعة والربع مساء الخميس.

حاولت أن أفكر في الأمر: لم يكن قدح الشاي في غرفة هارييت سيبيل هو المشكلة، فربما كان أحد الأقداح الثلاثة التي أحضرها بوباك، حيث إننا لم

نعثر في غرفة أيدا جرانسبري إلا على قدحين فقط بعد وقوع جرائم القتل، ولكن كيف وصل كوب العصير إلى غرفة ريتشارد نيجوس دون أن يحضره أحد النُّدُل؟

هل وصل القاتل إلى فندق بلوكسهام حاملا زجاجة من العصير في يده، وجيبه مليء بأزرار الأكمام التي تحمل الحروف المزخرفة والسم؟ يبدو هذا احتمالاً بعيدًا.

بدا أن المشكلة ذاتها تواجه بوارو، فقلت: "لتوضيح الأمر أكثر: لم يحمل أي منكم كوبًا من العصير إلى السيد ريتشارد نيجوس سواءً في غرفته أو في أي مكان آخر من الفندق؟".

مرة أخرى اهتزت الرءوس أن لا.

قال بوارو: "سيد لازاري، هل يعود كوب العصير الذي عُثر عليه في غرفة السيد نيجوس إلى فندق بلوكسهام؟".

قال لازاري: "نعم يا سيد بوارو. إنه أمر محير. أظن أنه ربما يكون أحد الندل من غير المتواجدين اليوم هو من أحضر كوب العصير إلى السيد نيجوس يوم الخميس أو يوم الأربعاء، ولكن كل من كان موجودًا حينها حاضر هنا في هذه الغرفة".

وافقه بوارو قائلاً: "إنه أمر محير بالفعل. سيد بوباك، أخبرنا من فضلك عما حدث عندما حملت شاي ما بعد الظهر إلى غرفة أيدا جرانسبري".

قال بوباك: "وضعته على الطاولة وغادرت يا سيدي".

قال بوارو: "هل كان ثلاثتهم في الغرفة؟ السيدة سيبيل والآنسة جرانسبري والسيد نيجوس؟".

قال بوباك: "نعم يا سيدي".

قال بوارو: "صف لنا المشهد".

قال بوباك: "المشهد يا سيدي؟".

عندما رأيت رافال بوباك متحيرًا، بادرت بالقول: "من فتح لك الباب؟".

قال بوباك: "السيد نيجوس يا سيدي".

سألته: "وأين كانت السيدتان؟".

قال بوباك: "كانتا جالستين على مقعدين بجوار المدفأة تتحدثان، لم أتحدث إليهما، تحدثت فقط مع السيد نيجوس، ووضعت كل ما أحمله على الطاولة بجوار النافذة ورحلت يا سيدي".

سأله بوارو: "هل يمكنك أن تتذكر ما كانت السيدتان تتحدثان عنه؟".

خفض بوباك عينيه وقال: "في الوقع يا سيدي...".

قال بوارو: "هذا أمر على قدر كبير من الأهمية يا سيدي، إن جميع التفاصيل التي يمكنك أن تخبرني بها عن هؤلاء الأشخاص الثلاثة على قدر كبير من الأهمية".

قال بوباك: "حسنًا... لقد كانتا تتحدثان عن شخص ما، وتضحكان على الأمر يا سيدي".

قال بوارو: "هل تعني أنهما كانتا تغتابان شخصًا ما؟ كيف هذا؟".

قال بوباك: "واحدة منهما فقط يا سيدي، نعم، وكان يبدو أن السيد نيجوس يستمتع بحديثهما. كان حوارهما يدور حول امرأة ورجل يصغرها سنًا. لم يكن الأمر يخصني، لذا لم أستمع لما يُقال".

قال بوارو: "هل تتذكر ما قيل بالتحديد؟ على من كانتا تتحدثان؟".

قال بوباك: "لا أعرف يا سيدي، أنا آسف. كانتا تتحدثان عن امرأة مسنة وقعت في حب شاب صغير، هذا ما وصلني يا سيدي. كان الأمر يبدو كالنميمة بالنسبة لي".

قال بوارو بصوته الجهوري: "سيدي، إن تذكرت أي شيء آخر يتعلق بهذه المحادثة، أي شيء أيًا كان، أخبرني به على الفور من فضلك".

قال بوباك: "سأفعل يا سيدي، تذكرت الآن أن الشاب الصغير ربما هجر المرأة المسنة وفر مع امرأة أخرى، مجرد نميمة، هذا كل ما في الأمر".

قال بوارو بصوت انتشر في جميع أرجاء الغرفة: "إذن..."، وكان من الغريب أن ترى مائة رأس تستدير ببطء نحوه ثم تعود إلى وضعها السابق بمجرد أن تابع

حديثه قائلاً: "لدينا كل من ريتشارد نيجوس وهارييت سيبيل وأيدا جرانسبري – رجل وامرأتان – يجلسون في الغرفة رقم ٣١٧ ليقتلوا رجلاً وامرأتين!".

سألته: "ولكن، ما أهمية هذا يا بوارو؟".

قال بوارو: "قد لا يكون هذا مهمًا، ولكنه مثير للاهتمام. كما أن النميمة والضحكات وشاي ما بعد الظهر... كلها أمور تخبرنا بأن ضحايانا الثلاث لم يكونوا غريبين عن بعضهم البعض، بل يعرفون بعضهم الآخر جيدًا، وربما كانوا أصدقاء، غير مدركين لما يحمله لهم القدر".

حدثت حركة مفاجئة استرعت انتباهي، فعلى الطاولة التي تقع مباشرة أمام المكان الذي كنت أقف فيه وبوارو، قفز شاب صغير أسود الشعر شاحب الوجه من مقعده كما لو كان مجبرًا على ذلك، كنت سأعتقد أنه يرغب بشدة في قول شيء ما لولا تعبير الرعب الجامد الذي ظهر على وجهه.

قال لازاري مقدمًا الشاب لنا بتلويحة من يده: "هذا أحد صغار الموظفين لدينا، السيد توماس بريجنل".

قال بريجنل بعد فترة قصيرة من الصمت: "لقد كانوا أكثر من مجرد أصدقاء يا سيدي". لم يسمع أحد من حوله ما قاله، فقد كان صوته خافتًا للغاية، ثم تابع قائلاً: "لقد كانوا أصدقاء مقربين، فقد كانوا يعرفون بعضهم البعض حق المعرفة".

قال لازاري مخاطبًا كل من في الغرفة: "لا شك في أنهم كانوا أصدقاء مقربين، فقد تناولوا الطعام معًا".

قال بوارو: "هناك الكثير من الناس يتناولون الطعام مع أشخاص لا يحبونهم. تابع يا سيد بريجنل إذا سمحت".

همس لنا توماس بريجنل قائلاً: "عندما قابلت السيد نيجوس ليلة أمس، كان قلقًا بشأن المرأتين كما يفعل المرء مع أصدقائه المقربين فقط".

قلت: "هل قابلته؟ متى؟ وأين؟".

أشار نحو الباب المزدوج لغرفة الطعام، ولاحظت أن ذراعه كانت ترتعش، وقال: "في السابعة والنصف يا سيدي، هناك خارج هذا الباب، كنت خارجًا من

الغرفة ورأيته يتجه نحو المصعد، ثم توقف عندما رآني ونادى عليَّ. افترضت أنه يتجه عائدًا لغرفته".

سأله بوارو: "ماذا قال لك؟".

قال بريجنل: "طلب مني أن أتأكد من تحمله تكاليف الوجبة وليس أي من السيدتين، حيث قال، إنه قادر على تحمل تكلفتها، أما السيدة سيبيل والآنسة جرانسبري فلن يمكنهما ذلك".

قال بوارو: "هل هذا كل ما قاله يا سيدي؟".

قال بريجنل: "نعم"، وبدا كما لو كان سيفقد الوعي إن تفوه بكلمة أخرى.

قلت بأكبر قدر ممكن من الود: "شكرًا لك سيد بريجنل. لقد كنت مفيدًا لنا بدرجة كبيرة". وشعرت على الفور بالذنب لأنني لم أقدم الشكر ذاته إلى رافال بوبالك، فأضفت على الفور: "وأنت أيضًا يا سيد بوبالك. شكرًا لكم جميعًا".

غمغم بوارو: "كاتشبوول، إن أغلب من في الغرفة لم يقولوا أي شيء".

قلت: "لقد استمعوا بانتباه، وأعدوا عقولهم للتفكير في المشكلة المعروضة عليهم. أعتقد أنهم يستحقون بعض الثناء".

قال بوارو: "هل تثق بعقولهم؟ ربما يكون هؤلاء هم المائة شخص الذين عليك استدعاءهم عندما نختلف في الرأي، أليس كذلك؟ حسنًا، إن كان علينا أن نستجوب هؤلاء المائة..."، التفت بوارو نحو الجمع، وقال: "سيداتي سادتي، سمعنا بأن كلًا من ريتشارد نيجوس وهارييت سيبيل وأيدا جرانسبري كانوا أصدقاء، وأنهم تناولوا الطعام معًا في الغرفة ٢١٧ في تمام السابعة والربع، إلا أن السيد بريجنل رأى ريتشارد نيجوس في السابعة والنصف في هذا الطابق من الفندق، وهو يسير باتجاه المصعد. لابد من أن السيد نيجوس كان عائدا إما إلى غرفته، رقم ٢٣٨، أو الغرفة رقم ٣١٧، لينضم إلى صديقتيه، أليس كذلك؟ ولكنه كان عائدًا من أين؟ كانت شطائره وكعكاته قد قدمت للغرفة منذ ربع الساعة فحسب! هل ترك صديقتيه على الفور وذهب إلى مكان ما؟ أم تناول حصته من الطعام في حوالي ثلاث أو أربع دقائق قبل أن ينطلق؟ وإلى أين انطلق؟ ما السبب المهم الذي دفعه لمغادرة الغرفة ٣١٧؟ هل ذهب ليتأكد من

أن الطعـام لن يُسجل على فاتورة أي من هاربيت سيبيل أو أيدا جرانسبري؟ لمَ لـم ينتظر لعشرين أو ثلاثين دقيقة، أو حتى الساعة، قبل أن ينطلق ليعالج هذا الأمر؟".

نهضـت امرأة متينة البنيان، بنيـة الشعر ولها حاجبان كثيفان، من مقعدها فـي مؤخرة الغرفة وقالـت: "إنك تواصل طرح هذه الأسئلـة كما لو كنت أعرف إجابتهـا. كمـا لو أننا جميعًا نعـرف إجابتها، ولكننا لا نعـرف أي شيء". كانت عيناهـا تدوران فـي أنحاء الغرفة وهي تنظر لشخص بعـد الآخر، ولكنها كانت توجـه حديثهـا إلى بوارو، ثم صاحـت قائلة: "أرغب في العـودة لمنزلي يا سيد لازاري. أنا بحاجة للعودة من أجل الاطمئنان على أطفالي".

أمسكـت امرأة أصغر سنًا من المرأة متينة البنيان تجلس بجوارها بذراعها محاولة تهدئتها، قائلة: "اجلسي يا تيسي. إن الرجل يحاول المساعدة. لن يمس أطفالك أي سوء طالما ظلوا بعيدين عن بلوكسهام".

مـع هذه الملاحظة الأخيرة، التي كان يُقصد بها التهدئة، بدأ كل من السيد لازاري وتيسي متينة البنيان في إصدار بعض الضوضاء.

قلـت: "لـن نحتجزك طويلاً يا سيدتي، وأنا على يقيـن من أن السيد لازاري سيدعك تذهبين لرؤية أطفالك طالما كان هذا ما تحتاجين إليه".

أشار لازاري إلى أن هذا ممكن، فجلست تيسي وقد هدأت قليلاً.

التفـت إلى بوارو قائـلاً: "لم يغـادر ريتشارد نيجوس الغرفـة رقم ٢١٧ من أجل موضوع الفاتورة، بل التقى بـ توماس بريجنل في أثناء عودته من مكان ما، لـذا، فقد انتهى، في ذلك الوقت، مما انطلق من أجل فعله. ثم تصادف أن رأى السيد بريجنل فقرر أن يخبره بأمر الفاتورة". أملت، عندما ألقيت هذه الخطبة القصيـرة، أن يرى الجميع أننا نمتلك الإجابات عن الأسئلة التي نطرحها. ربما لا نمتلك جميع الأجوبة، ولكن بعضها على الأقل، والبعض أفضل من لا شيء.

قال بوارو: "سيد بريجنل، هل اعتقدت أن السيد نيجوس رآك مصادفة وقرر انتهـاز هذه الفرصـة، كما شرح السيـد كاتشبوول؟ وأنه لم يكـن يبحث عنك؟

كنت أنت من قام بحجز الغرفة له عندما وصل إلى الفندق يوم الأربعاء، أليس كذلك؟".

بدا بريجنل سعيدًا بالتحدث في أثناء الجلوس وهو يقول: "هذا صحيح يا سيدي. لا، لم يكن يبحث عني بشكل خاص. لقد استغل فرصة رؤيتي وفكر: آوه، إنه هذا الشاب مرة أخرى؛ إن كنت تفهم ما أعنيه يا سيدي".

رفع بوارو صوته قائلاً: "بالطبع. سيداتي سادتي. بعد أن ارتُكبت ثلاث جرائم قتل في هذا الفندق ليلة أمس، قام القاتل، أو شخص يعرف هويته وشارك معه في الجريمة، بترك رسالة عند مكتب الاستقبال تقول: "أرجو ألا يرقدوا في سلام. ١٢١، ٢٣٨، ٣١٧. هل تصادف أن رأى أي منكم شخصًا يترك هذه الرسالة التي أعرضها أمامكم الآن؟". وأخرج بوارو البطاقة البيضاء الصغيرة ورفعها عاليًا في الهواء وقال: "كان أحد الموظفين، السيد جون جوود، من عثر عليها في تمام الثامنة إلا عشر دقائق. هل لاحظ أي منكم وجود شخص، أو عدة أشخاص، يتجول حول مكتب الاستقبال بشكل مريب؟ فكروا جيدًا! لابد من أن شخصًا ما قد رأى شيئًا".

أغلقت تيسي البدينة عينيها واتكأت على صديقتها، في حين امتلأت الغرفة بالهمسات والشهقات، ولكن كان هذا بسبب صدمة رؤية خط يد القاتل – الأمر الذي جعل جريمة القتل الثلاثية تبدو واقعية.

لم يكن لدى أي متهم ما يقال، وتبين أنه عندما تقوم باستجواب مائة شخص، فمن المرجح أن تشعر بخيبة الأمل.

الفصل ٦

لغز كوب العصير

بعد نصف ساعة، جلست وبوارو نحتسي القهوة أمام نار المدفأة المستعرة داخل ما أطلق عليه لازاري "مخبأنا السري"، وكان عبارة عن غرفة تقع خلف قاعة الطعام ولا يمكن الوصول إليها عبر أي من ممرات الفندق. كانت حوائط الغرفة مليئة باللوحات التي حاولت تجاهلها. يمكنك أن تعرض أمامي لوحة لمنظر طبيعي مشمس في أي وقت، أو حتى منظر طبيعي ملبد بالغيوم، إلا أن ما يزعجني في اللوحات هو الأعين، أيًا كان من رسمها. لم أر لوحة حتى الآن لم يخالجني الشعور عند النظر إليها بأن الشخص المرسوم بها يرمقني بازدراء.

بعد أدائه الرائع كرئيس للتجمع الذي حدث في قاعة الطعام، غرق بوارو مرة أخرى في الصمت، فسألته: "هل تفكر في أمر جيني مرة أخرى؟".

أقر بأنه يفكر بها بالفعل، ثم قال: "لا أرغب في أن أعرف أنه تم العثور عليها وفي فمها زر أكمام يحمل أحرف "ب. أ. ج" المزخرفة. إنه الخبر الذي أخشاه كثيرًا".

نصحته قائلاً: "طالما لا يمكنك فعل أي شيء من أجل جيني في الوقت الحالي، أقترح عليك أن تفكر في أمر آخر".

قال بوارو: "يا لك من شخص عملي يا كاتشبوول!. حسنًا، دعنا نفكر في أمر أقداح الشاي".

قلت: "أقداح الشاي؟".

قال: "نعم، ما رأيك في أمرها؟".

بعد أن فكرت قليلاً، قلت له: "أعتقد أنني لا أمتلك أي رأي حيال موضوع أقداح الشاي".

أصدر بوارو صوتًا ينم عن نفاد صبره، ثم قال: "أحضر النادل رافال بوباك ثلاثة أقداح شاي إلى غرفة أيدا جرانسبري. ثلاثة أقداح شاي من أجل ثلاثة أشخاص، كما قد يتوقع أي شخص، ولكن عندما عثر على الجثث، لم يكن بالغرفة سوى قدحين فقط".

قلت: "كان القدح الثالث في غرفة هارييت سيبيل مع جثتها".

قال بوارو: "بالضبط، وهذا هو الغريب في الأمر، أليس كذلك؟ هل حملت السيدة سيبيل قدحها وطبقه معها إلى غرفتها قبل أم بعد وضع السم به؟ في كلتا الحالتين، من سيسير في ردهات فندق ما حاملاً قدحًا من الشاي، أو يستقل به المصعد أو يهبط به طابقين على الدرج حاملاً إياه في يده؟ سواءً كان مليئًا وقد ينسكب أو شبه فارغ، أو فارغًا، ولا يستحق النقل من مكان إلى آخر. عادة ما يتناول المرء قدح الشاي في الغرفة التي يُصب فيها الشاي، أليس كذلك؟".

قلت بحدة: "عادة، نعم. إن هذا القاتل يذهلني بعدم اتباعه الطرق التقليدية في أي شيء".

قال بوارو: "وماذا عن ضحاياه؟ هل هم أناس عاديون؟ ماذا عن تصرفاتهم؟ هل تطلب مني أن أصدق أن هارييت سيبيل قد حملت قدح الشاي خاصتها وصولاً إلى غرفتها، ثم جلست على مقعدها لتتناوله، ثم على الفور قام القاتل بدق باب غرفتها وسنحت له الفرصة لوضع سم السيانيد فيه؟ ثم هناك ريتشارد نيجوس، الذي غادر غرفة أيدا جرانسبري لهدف غير معلوم، ثم يعود إلى غرفته بعد ذلك، ومعه كوب من العصير لم يعطه له أحد من الفندق".

قلت: "أعتقد، عندما عرضت الأمر بهذا الشكل أن...".

تابع بوارو حديثه دون أن يعير أي اهتمام لما قلته: "آه، نعم. هناك ريتشارد نيجوس أيضًا، والذي كان جالسًا في غرفته بمفرده حاملاً شرابه عندما زاره القاتل،

حيث قال هو الآخر: "ضع سمك في شرابي بكل سرور". وكذلك أيدا جرانسيري التي جلست في غرفتها رقم ٣١٧ بمفردها تنتظر بصبر وصول القاتل؟ حيث ظلت ترتشف الشاي ببطء شديد. فمن غير الملائم أن تنهي الشاي قبل وصول القاتل – وإلا لن يتمكن من تسميمها. أليس كذلك؟ أين سيضع سم السيانيد؟".

قلت: "تبًا يا بوارو. ما الذي تحاول قوله؟ أنا لا أستوعب الأمر مثلما تفعل أنت. اسمع، يبدو لي أنه نشبت مشاجرة بين الضحايا الثلاث، وإلا لِمَ يخططون لتناول العشاء معًا ثم يذهب كل منهم في حال سبيله؟".

قال بوارو: "لا أعتقد أن هناك امرأة تغادر الغرفة غاضبة ستحمل معها قدحًا نصف مليء بالشاي. ألن يكون قد برد عند وصولها إلى الغرفة رقم ١٢١؟".

قلت: "أنا عادة ما أشرب الشاي باردًا، فأنا أحبه باردًا".

رفع بوارو حاجبيه وقال: "إن لم أكن أعلم أنك رجل صادق، لم أكن لأصدق أن هذا ممكن. شاي بارد! يا له من أمر مقزز!".

أضفت مدافعًا عن نفسي: "حسنًا، يجدر بي القول إن حبه تنامى داخلي، فلا حاجة للعجلة مع الشاي البارد. يمكنك أن تتناوله في الوقت الذي يناسبك، ولن يحدث له أي شيء إن استغرقت بعض الوقت قبل تناوله. لا توجد قيود زمنية أو ضغط. إن هذا أمر بالغ الأهمية، بالنسبة لي".

سمعنا طرقًا على الباب، فقلت: "لابد أن هذا لازاري قد حضر ليتأكد من أن أحدًا لم يقاطعنا خلال محادثتنا المهمة".

قال بوارو بصوت عالٍ: "تفضل".

لم يكن الطارق لوكا لازاري، بل كان توماس بريجنل، الموظف الصغير الذي قال إنه رأى السيد ريتشارد نيجوس بجوار المصعد في السابعة والنصف. قال بوارو: "سيد بريجنل، تفضل. كان ما قلته عن ليلة الأمس مفيدًا لنا للغاية. يشعر السيد كاتشبوول، وأنا، بالكثير من الامتنان نحوك".

قلت بصدق: "نعم، بالامتنان الشديد". كنت قد قلت تقريبًا كل شيء لتسهيل الأمر على بريجنل ليخبرنا بما يزعجه، وكان من الجلي أن هناك ما يزعجه. لم يبدُ أن الشاب المسكين قد تزايدت ثقته بنفسه أكثر مما كان في قاعة الطعام،

حيث أخذ يفرك كفيه معًا صعودًا وهبوطًا، وأمكنني أن أرى قطرات العرق تتكون على جبهته، وكان أكثر شحوبًا مما مضى.

قال: "خذلتكما وخذلت السيد لازاري، والذي كان عطوفًا معي للغاية. لم أكن... في قاعة الطعام في وقت سابق، لم أكن...". ثم بدأ يفرك كفيه معًا مرة أخرى.

قال بوارو: "إنك لم تخبرنا بالحقيقة، أليس كذلك؟".

قال توماس بريجنل: "لقد قلت لكما الحقيقة. لم أكن لأختلف كثيرًا عن القاتل إن كذبت على الشرطة في أمر على هذا القدر من الأهمية".

قال بوارو: "ولكني لا أعتقد أنك ستكون مذنبًا بقدره يا سيدي".

قال بريجنل: "هناك أمران أهملت ذكرهما، ولا يمكنني أن أعبر لكما عن مدى أسفي يا سيدي. كما تعلم، فإن التحدث أمام غرفة مليئة بالناس ليس من الأمور التي أجيدها، لطالما كنت كذلك، وما جعل من الصعب عليَّ، من قبل" — ثم أومأ ناحية قاعة الطعام — "أني كنت مترددًا في قول الأمر الآخر الذي قاله لي السيد نيجوس لأنه أطرى عليّ".

قال بوارو: "أي إطراء؟".

قال بريجنل: "لم يكن إطراءً أستحقه يا سيدي، أنا واثق من هذا. لست إلا رجلًا عاديًا، ولا يوجد ما يميزني. أقوم بعملي، الذي أحصل على أجر مقابل القيام به، وأحاول أن أبذل أقصى ما في وسعي، ولكن لا يوجد سبب لأي شيء يجعله يخصني بالإطراء".

سأله بوارو: "وقد فعل السيد نيجوس، أليس كذلك؟ خصك بالإطراء؟".

جفل بريجنل وقال: "نعم يا سيدي، كما قلت: لم أطلبه كما أني لم أفعل أي شيء أستحق الإطراء عليه. ولكن عندما رآيته ورآني قال لي: سيد بريجنل، يبدو أنك موظف على قدر كبير من الكفاءة. أثق بأنه يمكنني أن أثق بك فيما سأخبرك به. ثم تابع حديثه عن الأمر الذي ذكرته من قبل يا سيدي — عن الفاتورة، وعن أنه يرغب في تحملها".

قلـت: "ولم تكن ترغب في أن تكرر هذا الإطراء أمام بقية الموظفين، أليس كذلك؟ هل خشيت أن تبدو متفاخرًا بنفسك؟".

قال بريجنل: "نعم يا سيدي، هذا صحيح. هناك أمر آخر. بمجرد أن اتفقنا علـى موضوع الفاتورة، طلب منـي السيد نيجوس أن أحضر لـه بعض العصير. كنت أنا من أعطاه كوب العصير. وكنت قد عرضت عليه أن أحمله لغرفته ولكنه أخبرني بأنه سينتظر. أحضرته له، ثم استقل المصعد".

انحنى بوارو في مقعده نحو الأمام وقال: "ولكنك لم تقل شيئًا عندما سألت الجميـع إن كان هنـاك شخص في القاعة قد أعطى ريتشـارد نيجوس كوبًا من العصير؟".

بـدا بريجنل مرتبـكًا ومحبطًا – كما لو كانت الإجابـة الصادقة على طرف لسانه ولكنها تتملص منه بشكل ما، وقال: "كان عليَّ هذا يا سيدي. كان عليَّ أن أخبرك بكل ما حدث بمجرد أن سألت. أشعر بالندم الشديد على أني فشلت في القيام بواجبي نحوكما ونحو الأشخاص الثلاثة المتوفين، رحمهم الله. آمل أني قد أصلحت من خطئي إلى حدٍّ ما بحضوري لكما الآن".

قال بوارو: "بالفعل، ولكن سيدي، ما زلت أشعر بالفضول حيال عدم تحدثك عـن الأمر في قاعة الطعام عندما سألـت: من هنا أحضر كوبًا من العصير إلى ريتشارد نيجوس؟. ما الذي جعلك تلتزم الصمت؟".

بـدأ الموظف المسكين يرتعد، وقال: "أقسم بقبر أمي الراحلة يا سيد بوارو إن كل مـا قلتـه لكما الآن هو كل مـا حدث بيني وبين السيـد نيجوس ليلة أمس، بجميع تفاصيله. لن يمكنكما معرفة ما حدث بشكل أكثر تفصيلاً من هذا – ثقا بهذا!".

فتح بوارو فمه ليطـرح سؤالًا آخر، ولكني قفزت أمامه قائلاً: "شكرًا جزيلاً لك سيد بريجنل. لا تقلق بشأن عدم إخبارك لنا بالأمر في وقت مبكر. أعلم كم من الصعب أن يقف المرء ليتحدث أمام جمع كبير من الناس. أنا لا أحب ذلك أيضًا".

بمجـرد أن تركته ينصرف، أسـرع بريجنل نحو الباب كالثعلب الذي تطارده الكلاب.

قلت بعدما انصرف: "أنا أصدقه. لقد أخبرنا بكل ما يعرفه".

قـال بوارو: "فيمـا يتعلق بلقائه بـ ريتشارد نيجوس بجانـب المصعد، نعم، حيـث إن التفاصيل التي أخفاها تتعلق به، ولكن، لمَ لم يتحدث في قاعة الطعام عن كوب العصير؟ لقد طرحت عليه السؤال مرتين، ولكنه لم يجبني، وعبر عن ندمـه بصدق. إنه لم يكذب، ولكنه لم يقل الحقيقة كاملة. إن إخفاء أمر ما نوع من أنواع الكذب – نوع خطر للغاية، نوع لا يضاهيه عدم قول الحقيقة".

ضحك بوارو فجأة وقـال: "وأنت يا كاتشبوول، سعيت لحمايته من هيركيول بوارو، والذي كان سيضغط عليه مرة بعد أخرى حتى يحصل على المعلومات".

قلت: "بدا أنه لن يتحمل المزيد من الضغط، وبصراحة، إن كان يخفي أمرًا مـا، فلابـد من أنه أمر يرى بأنه غير مهم بالنسبـة لنا وقد يسبب له الكثير من الإحـراج. إنه من النوع العصبـي حي الضمير. إن حسـه بالواجب سيدفعه لأن يخبرنا بأي شيء يعتقد أنه ذو أهمية".

قـال بوارو بصوت عـالٍ: "والآن، وبعد أن صرفته بعيدًا، فاتت عليَّ فرصة أن أوضح له أن المعلومات التي يخفيها قد تكون مهمة للغاية"، وحدق بي ليتأكد من أني قد لاحظت انزعاجه، ثم تابع: "حتى أنا، هيركيول بوارو، ما زلت لا أعلم ما هـي الأمور المهمة والأمور التي لا صلة لها بالأمر. لهذا السبب، يجب أن أعرف كل شـيء". ثم نهض واقفًا، وقال فجـأة: "والآن، سأعود إلى مقهى بليزانت. إن القهوة هناك أفضل من قهوة السيد لازاري بكثير".

عارضتـه قائلاً: "ولكن هنري، شقيق ريتشـارد نيجوس في طريقه إلى هنا. كنت أعتقد أنك ترغب في التحدث معه".

قـال بوارو: "أنا بحاجة لتغيير المشاهد التي أراها أمامي يا كاتشبوول. عليَّ أن أعيد تنشيط خلايا مخي الرمادية، حيث إنها ستخمل إن لم آخذها إلى مكان آخر".

قلت: "هراء، إنك تأمل في أن تعثر على جيني، أو تسمع أي أخبار عنها. بوارو، أعتقد أنك تطارد سرابًا فيما يتعلق بموضوع جيني، وأنت تعلم هذا أيضًا، وإلا لكنت اعترفت بأنك ذاهب إلى مقهى بليزانت على أمل العثور عليها".

قال بوارو: "ربما كان الأمر كذلك، ولكن إن كان هناك قاتل طليق، ماذا على المرء أن يفعل؟ أحضر السيد هنري نيجوس إلى مقهى بليزانت، سأتحدث معه هناك".

قلت: "ماذا؟ لقد سافر لمسافة طويلة من ديفون إلى هنا، إنه لن يوافق على المغادرة مرة أخرى على الفور من أجل ــــــــ".

قال بوارو: "ولكن، هل يرغب في المزيد من القتلى؟ اسأله عن ذلك".

قررت ألا أسأل هنري نيجوس عن أي شيء خوفًا من أن يفر عائدًا من حيث أتى معتقدًا بأن سكوتلاند يارد تُدار بواسطة مجموعة من المجانين.

الفصل ٧

مفتاحان

وصـل بوارو إلـى المقهى ليجده مزدحمًا بشدة ويعبقـه مزيج من روائح الطعام إلـى جانـب رائحة نوع من الحلوى مثل سائل الكعك المركز. قال لـ في سبرينج، التـي كانـت قد وصلت للتـو هي أيضًا وظلـت واقفة إلى جانـب حامل المعاطف الخشبـي ومعطفهـا معلـق على ذراعهـا: "أريد طاولـة، ولكن جميـع الطاولات مشغولـة". عندمـا خلعت قبعتها، طار شعرها الناعم فـي الهواء لبضع لحظات قبل أن ينسدل على كتفيها بفعل الجاذبية، وفكر بوارو أن مشهدها كان مضحكًا.

قالـت في مبتهجة: "لا يمكن تحقيق مطلبك، أليـس كذلك؟ لا يمكنني طرد الزبائـن إلـى الشارع، ليس حتى مـن أجل محقق شهير مثلـك. ثم خفضت من صوتهـا وقالت هامسة: "السيـدة والسيدة أوه، سيسيل سيغـادران في القريب، ويمكنك أن تجلس على طاولتهما".

قال بوارو: "السيد والسيدة أوه، سيسيل؟ يا له من اسم غريـب!".

ضحكـت في وهمست لـه مرة أخرى قائلة: "أوه، سيسيل – هذا كل ما تقوله الزوجـة طوال اليوم. أما زوجها، الرجل المسكيـن، فلا يمكنه قول كلمتين قبل أن تصحح له ما يقـول. قد يقول إنه يريـد البيض المخفـوق والخبز، فتتدخل فـي الأمر على الفـور قائلة: أوه، سيسيل، لا تأخذ البيض المخفوق والخبز. ولا تتوقـع أن يقول أي شيء لتصمت. قـد يجلس على الطاولة الأولى التي يصادفها

لـدى دخولـه، فتقول: أوه سيسيل، ليس هذه الطاولـة. لا شك في أنه مجبر على أن يرغـب فيمـا لا يريد وألا يرغب فيما يريد. هذا ما سأفعله لو كنت في مكانه. طالمـا انتظرت أن يقول شيئًا مـا ليخرسها، ولكنه رجل عجوز لا أمل منه. عقله مثل الملفوف العفن، وأظن أن هذا ما جعلها تتمادى في كبته".

قـال بـوارو: "إن لم يغادر فـي القريب فقد أذهـب وأقول لـه: أوه، سيسيل؛ بنفسي"، كانت قدما بوارو قد بدأتا تؤلمانه بسبب كل من الوقوف الطويل وعدم قدرته على تحقيق رغبته في الجلوس.

قالت في: "سيغادران قبل أن تجهز قهوتك. لقد انتهت من وجبتها كما ترى، وستأمـره بالمغـادرة علـى الفور. ما الـذي تفعله هنا في موعد الغـداء على أية حال؟ مهلاً، أعلم ما الذي جاء بك إلى هنا. أنت تبحث عن جيني، أليس كذلك؟ سمعت أنك حضرت إلى هنا في الصباح الباكر أيضًا".

سألها بوارو: "من أين سمعتِ هذا؟ لقد وصلتِ للتو، أليس كذلك؟".

قالت في بغموض: "أنا لا أبتعد عن هنا أبدًا. لم ير أحد جيني، ولكن، أتعلم يا سيد بوارو، إنها تشغل تفكيري مثلما تشغل تفكيرك".

قال بوارو: "هل تشعرين بالقلق أنتِ أيضًا؟".

قالت: "ليس بسبب تعرضها للخطر، حيث إني لست قادرة على حمايتها".

قال بوارو: "لا".

قالت في: "ولا يمكنك أنت أيضًا ذلك".

قـال بوارو: "آه، ولكـن، أنقذ هيركيول بوارو حياة الكثيريـن من قبل، وأنقذ الكثير من الأبرياء من الإعدام شنقًا".

قالت جذلة، كما لو أن الفكرة قد أسعدتها: "ربما كان نصفهم مذنبين".

قال بوارو: "لا يا آنسة، لا تحكمي على الآخرين".

قالت في: "كما تقول. كل ما أعلمه هو إن كنت سأقلق على كل من يدخل إلى هنا، فلن يهنأ لي بال أبدًا. إن المآزق تتوالى وتنبع أغلبها من عقولهم، ولا تكون مشكلات حقيقية".

قال بوارو: "إن كان الشيء داخل عقل المرء، فسيكون حقيقيًا".

قالت في: "إن لم يكن مجرد هـراء يتخيلونه دون أساس من الصحة، وهذا مـا يحدث فـي الغالب. لا، ما أعنيه بالنسبة إلى جيني هـو أني لاحظت شيئًا ما ليلة أمس... إلا أني لست قادرة على تبينه. أذكر أني فكرت: من الغريب أن تفعل جينـي هذا، أو تقـول ذاك... المشكلة أني لا أستطيـع أن أتذكر ما جعلني أفكر فـي هذا – ما فعلتـه أو ما قالته. حاولت التذكر مرة بعد أخرى حتى دار رأسي. انظـر، ها هما يرحلان، السيد والسيدة أوه، سيسيل. اذهب واجلس. هل ترغب في قدح من القهوة؟".

قال بوارو: "من فضلك يا آنسة. هل تمانعين لو طلبت منكِ أن تواصلي جهود تذكر ما فعلته أو قالته جيني؟ إن الأمر مهم أكثر مما يمكنني التعبير عنه".

سألتـه في بحدة مفاجئة: "هل هو أكثر أهميـة من الرفوف المستقيمة؟ هل هو أكثر أهمية من أدوات المائدة التي توضع في شكل مربع على الطاولة؟".

سألها بوارو: "آه، هل تعتقدين أن هذه الأمور من محض خيالي؟".

احمر وجه في، وقالت: "آسفة إن تحدثت معك بأسلوب غير لائق. كل ما في الأمر... حسنًا، ستكـون أكثر سعادة إن توقفت عن الحديث عن وضعية الشوكة على مفرش المائدة، أليس كذلك؟".

ابتسم لها بوارو ابتسامة بالغة التهذيب وقال: "سأكون أكثر سعادة إن تمكنتِ من تذكر ما تحاولين تذكره عن الآنسة جيني"، بهذه الطريقة تمكن من الخروج بأدب من المحادثة وجلس إلى طاولته.

انتظـر في المقهى طـوال ساعة ونصف الساعة، تنـاول خلالها وجبة غداء شهية، ولكنه لم ير أثرًا لـ جيني.

كانـت الساعة تشيـر إلى الثانيـة تمامًا عندمـا وصلت إلى مقهـى بليزانت بصحبـة رجل اعتقد بوارو مـن النظرة الأولى أنه هنري نيجوس، أخو ريتشارد. حدث بعض الالتباس عندما قلت إني تركت الشرطي ستانلي بيير ينتظر نيجوس ليصطحبـه إلى هنا بمجرد وصوله، وأني فعلت ذلك لأن الشخص الوحيد الذي فكرت فيه في تلك اللحظة هو الشخص الذي يقف بجانبي.

قدمته إلى بوارو – السيد صامويل كيد، صانع الفلايات – وراقبت بوارو باستمتاع وهو يجفل من قميص الرجل ذي الأزرار المفقودة والذي تعلوه آثار الطين، ومن وجهه شبه الحليق. لم يكن السيد كيد يملك شاربًا أو لحية بالشكل الطبيعي الذي نعرفه، فقد كان من الجلي أنه يواجه مشكلة في استخدام شفرة الحلاقة. الدليل على ذلك، هو أنه بدأ الحلاقة، ثم جرح نفسه جرحًا بليغًا، فقرر أن يتوقف عن الحلاقة. نتيجة لهذا، كان أحد جانبي وجهه حليقًا وخاليًا من الشعر، ولكنه مجروح، والجانب الآخر كان خاليًا من الجروح ولكنه مغطى بالشعر. أي من الجانبين كان أكثر قبحًا، لم يكن سؤالًا من السهل الإجابة عنه. قلت: "لدى السيد كيد قصة مثيرة يرغب في أن يقصها علينا، كنت خارج فندق بلوكسهام أنتظر هنري نيجوس عندما ــــــــ".

قاطعني بوارو قائلًا: "آه، هل أتيت والسيد كيد الآن من فندق بلوكسهام؟".

قلت: "من أين تظن أني قد حضرت؟ من تمبكتو؟".

قال بوارو: "كيف حضرتما إلى هنا؟".

قلت: "أعطاني لازاري واحدة من سيارات الفندق".

قال بوارو: "كم استغرقت الرحلة؟".

قلت: "ثلاثين دقيقة بالضبط".

قال بوارو: "كيف كانت الطرق؟ هل كانت مزدحمة بالسيارات؟".

قلت: "لا، لم تكن هناك الكثير من السيارات في واقع الأمر".

سألني بوارو: "هل تعتقد أنه يمكنك أن تقطع هذه المسافة في وقت أقل في ظل ظروف مختلفة؟".

قلت: "ليس إن نما لي جناحان. إن ثلاثين دقيقة وقت جيد للغاية".

قال بوارو: "جيد، سيد كيد، تفضل بالجلوس، وأخبر بوارو بقصتك المثيرة".

لدهشتي، بدلًا من أن يجلس الرجل، ظل صامويل كيد واقفًا يضحك وهو يردد الكلمات نفسها التي قالها بوارو بلهجة فرنسية مبالغ فيها، أو لهجة بلجيكية، أو أيًا كانت اللهجة التي تحدث بها بوارو: "سايد كييد، تافاضل بالجلووس وأخبير بواروو بقيصتيك المثيرا".

شعر بوارو بالإهانة من تقليد الرجل لطريقة كلامه، وشعرت بالتعاطف معه حتى سمعته يقول: "إن السيد كيد ينطق اسمي أفضل مما تفعل يا كاتشبوول".

قهقه الرجل الأشعث قائلاً: "سايد كييد، اعذرني يا سيدي، إني أمتع نفسي قليلاً، سايد كييد".

قلت له وقد فاض بي الكيل من سلوكه: "لم نأتِ هنا لنمتع أنفسنا. أعد من فضلك ما أخبرتني به عند الفندق".

استغرق كيد عشر دقائق في قص قصة يمكن أن تتعلق بالضحايا الثلاثة، ولكنها كانت تستحق. عندما كان يسير بجانب فندق بلوكسهام بعد أن دقت الساعة الثامنة مساءً بقليل في الليلة السابقة، رأى امرأة تعدو خارج الفندق، وهبطت الدرج الأمامي نحو الشارع. كانت تلهث وبدا عليها الفزع الشديد. كان على وشك التوجه نحوها ليسألها عما إذا كانت بحاجة للمساعدة، إلا أنها كانت تعدو بسرعة كبيرة وسرعان ما غابت قبل أن يصل إليها. بينما كانت تعدو، سقط منها شيء ما على الأرض: مفتاحان ذهبيان. عندما أدركت أن المفتاحين سقطا منها، توقفت واستدارت من أجل التقاطهما، وبعدما أخذتهما بيدها التي تختفي داخل القفاز، اختفت تحت جنح ظلام الليل.

قال صامويل كيد: "أخبرت نفسي بأن هذا أمر غريب، أخذها للمفتاحين بهذه الطريقة. ثم رأيت الشرطة، صباح اليوم، منتشرة في كل مكان وسألت أحد رجال الشرطة عما حدث. عندما سمعت عن حالات القتل، فكرت في نفسي: ربما كنت قد رأيت القاتل يا سامي. كانت تبدو مفزوعة، المرأة – مفزوعة".

كان بوارو يحدق في واحدة من البقع الكثيرة المنتشرة على قميص الرجل وهو يقول: "مفزوعة، إن قصتك مثيرة للاهتمام يا سيد كيد. هل قلت مفتاحين؟".

قال كيد: "هذا صحيح. مفتاحان ذهبيان يا سيدي".

قال بوارو: "هل كنت قريبًا بدرجة كافية لتراهما؟".

قال كيد: "نعم يا سيدي – كان الشارع مضاء جيدًا خارج بلوكسهام. لم تكن هناك مشكلة في رؤيتهما".

قال بوارو: "هل هناك أي شيء آخر لتخبرني به عن هذين المفتاحين عدا لونهما الذهبي؟".

قال كيد: "نعم، كانت هناك أرقام عليهما".

قلت: "أرقام؟". لم يخبرني كيد بهذه المعلومة عندما كان يقص عليَّ القصة عند الفندق في المرة الأولى، ولا في المرة الثانية عندما كان يقصها عليَّ في طريقنا إلى هنا في السيارة. و... بعيدًا عن كل هذا، كان عليَّ أن أسأله. لقد رأيت مفتاح غرفة ريتشارد نيجوس الذي عثر عليه بوارو خلف أحجار المدفأة، والذي كان يحمل الرقم ٢٣٨.

قال كيد: "نعم يا سيدي، أرقام، مثل مائة، مائتين...".

قلت بحدة: "أعلم ما هي الأرقام".

سأله بوارو: "هل كانت هذه هي الأرقام التي رأيتها على المفتاحين يا سيد كيد؟ مائة ومائتان؟".

قال كيد: "لا يا سيدي، كان أحدهما عليه رقم مائة وشيء ما، أما الثاني..."، حك كيد رأسه بقوة، فأدار بوارو بصره بعيدًا، ثم قال كيد: "أعتقد أنه كان ثلاثمائة وشيئًا ما يا سيدي، ولكني لست واثقًا من هذا، ولكن هذا ما أراه الآن بعين عقلي: مائة وشيء ما، ثلاثمائة وشيء ما".

الغرفة ١٢١، غرفة هارييت سيبيل، والغرفة ٣١٧، غرفة أيدا جرانسبري.

شعرت بانزعاج شديد في معدتي، وتعرفت على ذلك الشعور: إنه الشعور نفسه الذي انتابني عندما رأيت الجثث الثلاث للمرة الأولى عندما أخبرني طبيب الشرطة بأن هناك أزرار أكمام ذهبية تحمل حروفًا مزخرفة في أفواهها.

يبدو الآن أن صامويل كيد كان يبعد بضع بوصات عن مسرح الجريمة. *امرأة تبدو عليها أمارات الفزع*، ثم اقشعر بدني.

قال بوارو: "هل كانت المرأة التي رأيتها شقراء وترتدي قبعة ومعطفًا بنيين؟".

لا شك في أنه كان يفكر في جيني، كنت ما زلت مقتنعًا بعدم وجود صلة بينها وبين الحادث، ولكني تمكنت من رؤية ما يفكر فيه بوارو: جيني تعدو في شوارع لندن بفزع شديد، أو ربما كانت سيدة أخرى، من المحتمل أن تكون كلتاهما الشخص ذاته.

قال كيد: "لا يا سيدي، كانت ترتدي قبعة بالفعل ولكنها كانت زرقاء، وكان شعرها داكنًا، أسود ومجعدًا".

قال بوارو: "كم كان عمرها؟".

قال كيد: "أنا لا أحب تخمين أعمار النساء يا سيدي، أعتقد أنها بين عمر الشباب والشيخوخة".

قال بوارو: "ماذا كانت ترتدي أيضًا بخلاف القبعة؟".

قال كيد: "لم ألتفت إلى هذا يا سيدي، فقد كنت مشغولاً بالنظر إلى وجهها عندما سنحت لي الفرصة لذلك".

سألته: "هل هي جميلة؟".

قال كيد: "نعم، ولكني لم أكن أنظر لها لهذا السبب، لقد نظرت إليها لأني أعرفها يا سيدي، عندما نظرت إليها فكرت قائلا لنفسي: سامي، أنت تعرف هذه المرأة".

عدل بوارو من جلسته في المقعد، ونظر نحوي، ثم عاد لينظر إلى كيد وقال: "إن كنت تعرفها يا سيد كيد، أخبرنا من هي من فضلك".

قال كيد: "لا يمكنني هذا يا سيدي، هذا ما كنت أحاول أن أتذكره عندما فرت مسرعة، لا أعلم من أين أعرفها، أو اسمها، أو أي شيء من هذا القبيل، لم أرها في مجال صناعة الغلايات، أنا واثق من هذا، كانت تبدو امرأة مثقفة وراقية، لا أعرف أية امرأة من هذه الطبقة، ولكني أعرفها، هذا الوجه — ليس مجرد وجه رأيته ليلة أمس للمرة الأولى في حياتي، لا يا سيدي"، ثم هز رأسه، وتابع قائلاً: "هذا أمر محير، كنت سأسألها إن لم تعدُ مبتعدة".

تساءلت، من جميع الأشخاص الهاربين، كم منهم فر لهذا السبب: أنه لم يتم سؤالهم، أيًا كان هذا السؤال.

بعد وقت قصير من صرف صامويل كيد حاملاً أوامري بأن يحاول تذكر اسم هذه المرأة الغامضة وكذلك تفاصيل أين ومتى تعرف عليها، وصل الشرطي ستانلي بيير، بصحبة هنري نيجوس، إلى مقهى بليزانت.

كان السيد نيجوس أكثر أناقة من صامويل كيد بكثير؛ كان رجلاً وسيمًا في حوالي الخمسين من عمره ذا شعر أشيب لامع ووجه ينم عن الحكمة. كان يرتدي ملابس أنيقة ويتحدث بأسلوب لا يقل عن ملابسه أناقة. أعجبني على الفور. كان حزنه على مصابه باديًا، إلا أنه كان مثالاً على تمالك النفس خلال محادثتنا.

قال بوارو: "تقبل تعازيّ يا سيد نيجوس. أنا أشعر بالأسف الشديد. إنه من الصعب جدا فقدان شخص مقرب منك للغاية مثل أخيك".

أومأ نيجوس معبرًا عن امتنانه وقال: "إن كان هناك أي شيء أقدمه للمساعدة – أي شيء – فسأفعله عن طيب خاطر. يقول السيد كاتشبول إنك ترغب في طرح بعض الأسئلة عليّ، أليس كذلك؟".

قال بوارو: "نعم يا سيدي. هل اسما هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري مألوفان بالنسبة لك؟".

قال هنري نيجوس: "هل هما السيدتان اللتان كانتا...؟"، ثم توقف عن الحديث عندما اقتربت منا في سبرينج حاملة قدحًا من الشاي طلبه منها عندما وصل.

بمجرد أن غادرت في، قال بوارو: "نعم، هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري قتلتا أيضًا ليلة الأمس في فندق بلوكسهام."

قال نيجوس: "أنا لا أعرف هارييت سيبيل، ولكن أيدا جرانسبري كانت خطيبة أخي وكانا على وشك الزواج منذ أعوام طويلة مضت".

قال بوارو: "أنت تعرف الآنسة جرانسبري إذن؟"، سمعت فورة الانفعال في صوت بوارو.

قال هنري نيجوس: "لا، أنا لم أقابلها في حياتي. أعرف اسمها فقط، عبر خطابات ريتشارد بالطبع. نادرًا ما كنا نري بعضنا الآخر منذ أن انتقل للعيش في جريت هولينج، لذا كنا نتراسل كتابة بدلاً من ذلك".

شعرت كما لو أن جزءًا آخر من اللغز قد وُضع في مكانه بشكل مُرض، فسألت محاولاً أن يكون صوتي طبيعيًا قدر الإمكان: "هل كان ريتشارد يعيش في جريت هولينج؟". إن كان بوارو يشعر بالانفعال نفسه الذي أشعر به بفضل هذا الاكتشاف، فلابد وأنه كبته في داخله.

قرية واحدة تربط بين القتلى الثلاثة. رددت اسمها عدة مرات داخل عقلي: جريت *هولينج*، جريت *هولينج*، جريت *هولينج*. يبدو أن جميع الدلائل تشير إلى هذا الاتجاه.

قال نيجوس: "نعم، كان ريتشارد يعيش هناك حتى عام ١٩١٣. كان لديه مكتب محاماة في كولفر فالي والتي تقع في سيلسفورد، حيث نشأ كلانا. ثم حضر ليعيش معي في ديفون منذ عام ١٩١٣، وظل معي منذ ذلك الحين. أعني... حيث عاش معي"، صحح حديثه وامتقع وجهه فجأة كما لو أن إدراك أن أخاه قد توفي قد جعله يشعر بالكثير من الحزن من جديد، وحطمه تمامًا.

سأله بوارو: "هل ذكر لك ريتشارد أية امرأة من كولفر فالي تُدعى جيني؟ أو أية امرأة تحمل هذا الاسم، ربما من جريت هولينج أو أي مكان آخر؟".

صمت هنري لبضع لحظات ثم قال: "لا".

قال بوارو: "وماذا عن شخص يحمل الحروف الأولى التالية: "ب. أ. ج"؟".

قال هنري: "كانت المرأة الوحيدة التي ذكرها لي ريتشارد من هذه القرية هي أيدا جرانسبري".

قال بوارو: "اسمح لي بطرح هذا السؤال الخاص يا سيدي: لمَ لم يتزوج أخوك من خطيبته؟".

قال هنري: "أخشى أني لا أعلم. كنت وريتشارد متقاربين ولكننا كنا نميل للنقاش حول الأفكار أكثر من أي شيء آخر. كنا نتحدث في الفلسفة أو السياسة أو الدين... ولم يكن أي منا يتدخل في خصوصيات الآخر. كل ما

أخبرني ريتشارد به عن أيدا هو أنه خطبها ليتزوجها، ثم في عام ١٩١٢، فسخا الخطبة".

قال بوارو: "مهلاً، فسخ خطبته من أيدا في عام ١٩١٣، وفي العام نفسه انتقل للعيش في ديفون مغادرًا جريت هولينج، أليس كذلك؟".

قال هنري: "نعم، ومع زوجتي وأبنائي".

قال بوارو: "هل غادر جريت هولينج ليبتعد عن الآنسة جرانسبري؟".

فكر هنري نيجوس في السؤال ثم أجاب قائلاً: "أعتقد أن هذا كان جزءًا من السبب، ولكنه لم يكن كل شيء. كان ريتشارد يكره جريت هولينج عندما غادرها، وأعتقد أن أيدا جرانسبري وحدها لم تكن قادرة على فعل ذلك. كان يكره كل بوصة من تلك القرية، على حد قوله، ولكنه لم يخبرني بالسبب ولم أسأله عنه. كانت طريقة ريتشارد في الحديث أن يجعلك تعلم متى أخبرك بكل ما رغب في قوله لك. كان رأيه في تلك مصاغا كالتالي: "ليس هناك المزيد مما يمكن قوله حول تلك القرية" على ما أتذكر. إن كنت حاولت أن أعرف المزيد عن ——". توقف نيجوس عن الحديث، وظهر الأسى على وجهه.

قال بوارو: "لا يجب عليك أن تلقي باللوم على نفسك يا سيد نيجوس. إنك لست السبب في موت أخيك".

قال هنري نيجوس: "لا يمكنني منع نفسي عن التفكير في أن.... حسنًا، في أن أمرًا مخيفًا قد حدث له في هذه القرية، ولا يحب المرء أن يفكر أو يتحدث عن أمور مثل هذه طالما لن يمكنه المساعدة". تنهد هنري نيجوس ثم قال: "من المؤكد أن ريتشارد كان عازفًا عن الحديث عن هذا الأمر، أيًا كان، لذا حبذت أنا أيضًا عدم التحدث بشأنه. لقد كان صاحب السلطة، كما تعلم – الأخ الأكبر. كان الجميع يذعن له، فقد كان عبقريًا".

ابتسم بوارو بلطف قائلاً: "حقًا؟".

قال هنري نيجوس: "لم يكن أحد قادرًا على ملاحظة التفاصيل مثل ريتشارد، قبل أن تضعف مهارته تلك. كان شديد التدقيق في كل ما يفعله. كنت لتعهد إليه بفعل أي شيء – أي شخص كان ليفعل. لهذا السبب، كان محاميًا

ناجحًا، قبل أن تسوء أوضاعه. لطالما اعتقدت أن أحواله ستتحسن في يوم ما. بعدمــا استعاد عافيته منذ بضعة أشهــر، قلت لنفسي: "أخيرًا، لقد استعاد حبه للحيـاة." أملت أنه قد يفكر في العودة لمزاولـة العمل مرة أخرى، قبل أن تنفد أمواله عن بكرة أبيها ______".

قــال بوارو بإصرار مهذب: "سيد نيجوس، تمهـل قليلاً من فضلك. ألم يكن أخوك يعمل عندما انتقل للعيش معك؟".

قال هنري نيجوس: "لا، فكما ترك ريتشارد جريت هولينج وأيدا جرانسبري، تـرك أيضًـا مهنته عندما حضر إلـى ديفون، وبدلاً من أن يعمـل في المحاماة، أغلق غرفته على نفسه وبدأ يعاقر الشراب بشراهة".

قال بوارو: "الانتكاسة التي ذكرتها".

قال هنري نيجوس: "نعم، كان ريتشارد الذي وصل إلى منزلي مختلفًا تمامًا عـن ريتشارد الذي قابلته منذ فترة سابقة. كان منعزلاً وعنيدًا للغاية، وكان كما لو أنه بنى سورًا حول نفسه. كان لا يغادر المنزل مطلقًا، أو يلتقي بأحد أو يراسل أحدًا أو يتلقى خطابات من أي أحد. كل ما كان يفعله هو قراءة الكتب والتحديق في الفراغ. رفض أن يذهب معنا إلى دار العبادة، ولم يلن حتى من أجل زوجتي. فــي أحـد الأيام، بعدمــا قضى عامًا كامـلاً معنا، عثرت على كتــاب ديني ملقى علــى الأرض أمام باب غرفتــه. كان هذا الكتاب في أحد أدراج غرفة النوم التي أعطينـاه إياهـا. حاولت أن أعيده إلى مكانه مرة أخـرى، ولكن ريتشارد قال لي بوضوح إنه لا يرغب في وجوده داخل غرفته. عليَّ أن أقر بأنه بعد هذه الحادثة، استشـرت زوجتي عما إذا كان علينــا أن نطلب منه البحث عن مسكن آخر. كان من المربك وجوده معنا في المنزل، ولكن زوجتي – كلارا – لم توافقني الرأي، وقالت: "العائلة في المقام الأول. إننا كل ما يملكه ريتشارد. إنك لن تطرد أحد أفراد عائلتك للشارع"، وكانت على حق، دون شك".

قلت: "لقد أشرت إلى أن أخاك كان ينفق المال بإسراف، أليس كذلك؟".

قال هنري نيجوس: "نعم، لقد ورث كل منا الكثير من المال"، ثم هز هنري رأســه فــي أسف وقــال: "لم تخطر ببالــي أبدًا فكــرة أن أخي الأكبــر المسئول

ريتشـارد سيبـدد ثروته بهذه الرعونة... ولكن هذا مـا فعله. كان يبدو أن كل ما يرغـب فـي فعله هو تحويل المال الذي تركه له أبونا إلى شراب وتجرعه. جل ما خشيتـه هو أنه كان علـى وشك الإفلاس والإصابة بمرض عضال. كنت أصاب بـالأرق فـي بعض الليالـي بسبب التفكير فـي المصير الرهيب الـذي يخبئه له القدر. ولكن ليس القتل. لم أفكر أبدًا في أن ريتشارد قد يُقتل، إلا أنه كان يجب عليّ التفكير في هذا المصير".

نظـر بوارو للأعلى فجأة وقال: "لماذا قـد تفكر في أمر مثل هذا يا سيدي؟ إن أغلبنا لن يفترض أبدًا أن أقاربهم سيُقتلون، وهو افتراض منطقي، في جميع الحالات تقريبًا".

فكر هنري نيجوس قليلاً قبل أن يجيب قائلاً: "قد يكون من محض خيالي أن ريتشارد كان يعلم أنه سيُقتل، ولكن من يعلم؟ ولكن، منذ يوم انتقاله للعيش معي فـي منزلي، كان مزاجـه نكدًا وعابسًا كما لو كان رجلاً قد انتهت حياته بالفعل. هذه هي الطريقة الوحيدة لوصف الحالة التي كان عليها".

قال بوارو: "ولكنك تقول إن حالته تحسنت في الأشهر السابقة لوفاته، أليس كذلك؟".

قـال هنري: "نعم، وقـد لاحظت زوجتي هـذا أيضًا، وطلبت منـي أن أسأله عما حدث – النساء دائمًا ما يفعلن هذا، أليس كذلك؟ – ولكني كنت أعرف أن ريتشارد لن يتقبل أي تدخل منا في حياته".

سأله بوارو: "هل كان يبدو سعيدًا؟".

قـال هنـري: "كنت آمل أن أجيبك بالإيجاب عن هـذا السؤال يا سيد بوارو. إن أمكننـي أن أصـدق أن هنـري كان أكثر سعادة، في يـوم مقتله، مما كان قبل سنـوات، لكان في هذا تعزية لي، ولكن، لا، لم تكـن هذه سعادة، بل كانت أشبه بأنـه يخطـط لأمر ما. بدا أن هناك هدفًا جديدًا يسعـى إليه بعد أعوام قضاها دون هـدف. كان هذا انطباعي عن حالته، ولكنـي لا أعلم شيئًا عن هذا الهدف الذي كان يسعى إليه".

قال بوارو: "ولكنك واثق من أنك لم تتخيل هذا التغيير الذي طرأ عليه، أليس كذلك؟".

قال هنري: "نعم، أنا واثق من هذا. لقد ظهر ذلك التغيير بعدة صور. بدأ ريتشارد يستيقظ من النوم مبكرًا ويتناول معنا الإفطار بصورة متزايدة. وبدا وكأنه قد اكتسب المزيد من الحيوية والطاقة، وتحسنت نظافته الشخصية. أكثر أمر لاحظته هو أنه توقف عن معاقرة الشراب. لا يمكنني أن أعبر لك عن مدى سعادتي بهذا الأمر وحده. دعوت له وزوجتي بأن يوفقه الله فيما يخطط له، أيًا كان – واعتقدنا أن لعنة جريت هولينج قد فارقته أخيرًا ليبدأ الاستمتاع بحياة مثمرة".

قال بوارو: "أية لعنة يا سيدي؟ هل تعتقد أن القرية ملعونة؟".

احمر وجه هنري نيجوس وقال: "ليس بالضبط. لا. لا شك في أنه لا يوجد ما يسمى بلعنة، أليس كذلك؟ إنها عبارة اقتبستها عن زوجتي، فبعد أن حُرمت من فرصتها للتدخل في شئون أخي، ابتكرت فكرة اللعنة والتي بنتها على مغادرة ريتشارد للقرية وفسخ خطبته وحقيقة أخرى تعرفها عن جريت هولينج".

سألته: "أية حقيقة؟".

بدا هنري نيجوس مصدومًا وهو يقول: "أوه، لا، لا أعتقد أنكم تعرفون بشأنها، ولم ستفعلون؟ المأساة الرهيبة التي وقع ضحيتها رجل الدين الشاب وزوجته. كان ريتشارد قد كتب لي خطابًا يخبرني فيه عن هذه المأساة قبل بضعة أشهر من مغادرته القرية. لقد توفيا بفارق ساعات فيما بينهما".

سأله بوارو: "حقًا؟ وماذا كان سبب الوفاة؟".

قال هنري: "لا أعلم. لم يخبرني ريتشارد بهذا في خطابه، إن كان يعلمه. كل ما قاله إنها كانت مأساة رهيبة. في الواقع، سألته عنها فيما بعد، إلا أنه نهرني، فلم أعرف المزيد عنها. أعتقد أنه كان مشغولاً بندب حظه العثر لدرجة أنه لم يهتم بالتحدث عن الحظ العثر لأي شخص آخر".

الفصل ٨

جمع أفكارنا

قـال بوارو، بينما كنا نسيـر بحماس خارجين من مقهـى بليزانت متجهين نحو المنـزل الذي نقيـم فيه بعد نصف الساعـة: "والآ، ستكون جميـع هذه الأحداث المؤسفـة التي وقعت منذ ستة عشر عامًا متصلة فيمـا بينها: النهاية المأسوية لرجـل الدين وزوجتـه، فسخ خطبة ريتشـارد نيجوس وأيـدا جرانسبري، يقرر ريتشـارد نيجوس فجـأة أنه يكره جريـت هولينج ويفضل الفـرار إلى ديفون – والـذي يتحـول إلى رجل مسرف لا يفعـل شيئًا سوى معاقـرة الشراب في منزل أخيه".

قلت: "هل تعتقد بأن ريتشارد نيجوس بدأ بمعاقرة الشراب بسبب موت رجل الديـن؟ إنك دائمًا ما تميل لربط جميع الأمـور بعضها بالآخر. أليس من الأكثر ترجيحًا عدم وجود أية صلة بين هذه الأمور؟".

رمقني بوارو بنظرة حـادة وقال: "لا يمكنني أن أختلف معك. استنشق ذلك الهـواء المنعش لهذا اليـوم الشتوي الجميل يا كاتشبـوول، فربما يزيد هذا من نسبـة الأكسجين الواصلة لخلايا مخـك الرمادية الصغيرة. خذ نفسًا عميقًا يا صديقي".

أسعدتـه بـأن فعلت ما طلبه مني، فقـد كنت أتنفس على أيـة حال، لذا، بدا الأمر سخيفًا.

قال بوارو: "جيد، والآن، فكر في الأمر: ليس الأمر أن رجل الدين الشاب قد مات ميتة مأسوية، *بل إن زوجته ماتت بعد موته بساعات معدودة*، وهذا أمر بالغ الغرابة. ثم يذكر ريتشارد نيجوس الأمر في خطاب أرسله لأخيه هنري، ثم بعد عدة أشهر، يفسخ خطبته بـ أيدا جرانسبري، ثم يفر إلى ديفون، حيث تصيبه انتكاسة، *ولا يرغب في وجود الكتاب الديني في غرفته، ولا يذهب لدار العبادة حتى وإن كان من أجل خاطر سيدة المنزل*".

سألته: "لِمَ تعرض الأمر كما لو كان ذا أهمية خاصة؟".

قال بوارو: "آه، الأكسجين. إنه يستغرق بعض الوقت حتى يصل للخلايا الرمادية. لا عليك: ستستوعب الأمر عندما تكون في حاجة ماسة لذلك، في عقلك المثقوب هذا، دار عبادة، يا كاتشبوول، ورجل دين وزوجته يموتان ميتة مأساوية في جريت هولينج. بعد ذلك بقليل، يبدأ ريتشارد نيجوس في كره القرية ودار العبادة والكتاب الديني".

قلت: "نعم، لقد فهمت ما تقصده".

قال بوارو: "جيد، إلا أن ريتشارد نيجوس يذهب ليقيم في ديفون حيث يعاني من انتكاسة شديدة طوال سنوات، وطوال هذه الفترة، لم يحاول أخوه التدخل في شئونه بشكل قد لا يلقى ترحيبًا، والذي ربما كان من شأنه إنقاذ ريتشارد من الدمار الذي كان يجر نفسه نحوه ———".

قلت: "هل تعتقد بأن هنري نيجوس كان مهملاً في هذا الأمر؟".

قال بوارو ملوحًا بيده: "إنه ليس خطأه، إنه رجل إنجليزي. إنكم يا معشر الإنجليز تفضلون الجلوس في صمت بينما تقع أمام أعينكم جميع أنواع الكوارث التي يمكن تفاديها بدلاً من الوقوع في الخطأ الاجتماعي المسمى بالتدخل في شئون الغير".

رفعت صوتي فوق صوت الريح والضوضاء التي يصدرها المشاة في شوارع لندن المزدحمة ليسمعه بوارو، قائلاً: "لا أعتقد أن ما تقوله صحيح".

تجاهل بوارو اعتراضي، وتابع قائلاً: "طوال سنوات، ظل هنري نيجوس يشعر بالقلق على أخيه في صمت، آملاً، وبلا شك، داعيًا، وعندما أوشك على

فقدان الأمل. بدا وكأن الله قد استجاب لدعواته: بدأ التحسن يظهر على ريتشارد نيجوس منذ بضعة أشهر. بدا وكأنه يخطط لأمر ما. وربما كانت الخطة تتضمن حجز ثلاث غرف في فندق بلوكسهام في لندن من أجل نفسه وامرأتين كان يعرفهما منذ أيام إقامته في قرية جريت هولينج، حيث إننا نعلم ما فعله بالتحديد. ثم عثر عليه في الليلة الماضية مقتولاً وفي فمه زر أكمام يحمل حروفًا مزخرفة، على مقربة من خطيبته السابقة، أيدا جرانسبري، وهارييت سيبيل، واحدة من سكان القرية كانت جارته فيما مضى، واللتين قتلتا بالطريقة ذاتها".

توقف بوارو فجأة. فقد كان يسير بسرعة كبيرة وبدأ يلهث، بينما كان يمسح حاجبيه بمنديل أنيق أخرجه من جيبه، وهو يقول: "كاتشبوول، اسأل نفسك، ما الحلقة الأولى من سلسلة الأحداث التي عرضتها عليك. أليست الوفاة المؤسفة لرجل الدين وزوجته؟".

قلت: "نعم، ولكن إن أقررنا بأنها جزء من نفس قصة حالات القتل الثلاث في بلوكسهام. ولكن لا يوجد دليل على ذلك يا بوارو. ما زلت متمسكًا بأن رجل الدين هذا لا علاقة له بالأمر من قريب أو من بعيد".

قال بوارو: "الأمر ذاته بالنسبة لـ جيني المسكينة التي لا علاقة لها بالأمر من قريب أو من بعيد، أليس كذلك؟".

قلت: "بالضبط".

تابعنا سيرنا بطول الشارع.

قلت: "هل جربت من قبل إعداد لغز من الكلمات المتقاطعة يا بوارو؟ لأني... حسنًا، كما تعلم، أحاول أن أعد واحدًا في هذه اللحظة، واحدًا من إعدادي؟".

قال بوارو: "من المستحيل أن يعيش شخص ما بالقرب منك، مثلما أفعل، ولا أعلم عن الأمر شيئًا يا صديقي".

قلت: "نعم، لقد لاحظت أن أمرًا ما يحدث عندما تحاول فهم أحد مفاتيح حل الكلمات المتقاطعة. إنه أمر رائع. دعنا نفترض أنك تحاول حل المفتاح التالي: في المطبخ، من ثلاثة حروف. ووجدت حرف الطاء في أولها. من

السهل للغاية أن تخمن الكلمة: حسنًا، إنه طبق، كلمة من ثلاثة حروف وتبدأ بحرف الطاء، كما أنه في المطبخ. لذا تخبر نفسك بأن الإجابة لابد وأن تكون صحيحة، في حين تكون الإجابة الصحيحة هي طهي – كلمة من ثلاثة حروف أيضًا وفي المطبخ وتبدأ بحرف الطاء. هل فهمت؟".

قال بوارو: "إن المثال لم يخدمك جيدًا يا كاتشبوول، ففي الحالة التي عرضتها، كنت سأفكر في كل من "طبق" و"طهي" كإجابتين محتملتين وكلتاهما تحتمل أن تكون صحيحة بشكل متساو. الأحمق فقط من يفكر أن إجابة واحدة هي الصحيحة دون الأخرى".

قلت: "حسنًا، إذا كنت تريد احتمالين متساويين، فماذا عن تلك النظرية: كان ريتشارد نيجوس يرفض الذهاب لدار العبادة أو امتلاك كتاب ديني بسبب أحداث مؤسفة حدثت له في جريت هولينج، أيًا كانت، والتي زعزعت من إيمانه قليلاً. ألا يبدو هذا الاحتمال صحيحًا؟ وربما لا توجد علاقة لهذا الأمر بوفاة رجل الدين وزوجته. لن يكون ريتشارد نيجوس أول من يتزعزع إيمانه ويعتقد بأن القدر يعانده ويحابي الآخرين". صدرت مني هذه الكلمات بحماسة أكبر مما توقعت.

أمسك بوارو بذراعي ليوقفني عن السير، حيث إنني أنسى أحيانًا أن ساقيّ أطول من ساقيه، وقال: "هل حدث لك هذا يا كاتشبوول؟".

قلت: "في الواقع، لقد حدث، ولكنه لم يمنعني عن الذهاب لدار العبادة، ولكني رأيت من يستسلمون للأمر ويمتنعون عن زيارة دور العبادة". فكرت في نفسي، على سبيل المثال، أولئك الذين قد يعترضون على من يصف عقولهم بأنها مثقوبة بدلاً من أن يتلقوا الانتقاد بصمت. قلت لـ بوارو: "يعتمد هذا على ما إذا كنت تحمل مسئولية مشكلاتك على نفسك أم على القدر".

قال بوارو: "هل كانت تتضمن مشكلتك وجود امرأة؟".

قلت: "الكثير من السيدات الرائعات، وكان والداي يأملان بشدة في أن أتزوج أيًا منهن، ولكني عارضت الزواج من أي منهن بشدة ولم أوافق على أي منهن". ثم بدأت السير مرة أخرى بخطوات واسعة.

أسرع بوارو الخطى حتى يتمكن من اللحاق بي وهو يقول: "طبقًا لوجهة نظرك إذن، علينا أن ننسى أمر رجل الدين وزوجته، أليس كذلك؟ علينا أن نتظاهر بأننا لم نعرف بالأمر حتى نتفادى أن يقودنا إلى استنتاج خاطئ، أليس كذلك؟ وعلينا أن ننسى أمر جيني للسبب ذاته".

قلت: "لا، لن يكون هذا صحيحًا. أنا لا أقترح أن ننسى جميع المعلومات التي توافرت لنا، كل ما أقوله ـــــ".

قال بوارو: "سأخبرك بالأمر الصحيح الذي علينا أن نفعله. عليك أن تذهب إلى جريت هولينج، حيث إن كلًا من هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري وريتشارد نيجوس ليسوا مجرد قطع من اللغز، وليسوا مجرد قطع نحاول تحريكها يمينًا ويسارًا في محاولة منا لوضعها في المكان المناسب من اللغز. فقبل وفاتهم كانوا أشخاصًا لديهم حياتهم ومشاعرهم: توجهاتهم السخيفة، وربما لحظات الحكمة والفهم العميق التي مروا بها. عليك أن تذهب إلى القرية حيث كانوا يعيشون وحاول أن تعرف كل شيء عن حياتهم يا كاتشبوول".

قلت: "أنا، تعني نحن، أليس كذلك؟".

قال بوارو: "لا، يا صديقي، سيبقى بوارو في لندن. عليَّ أن أحرك عقلي فقط وليس جسدي حتى أحرز تقدمًا. لا، ستذهب بمفردك، وستعود لتقص عليَّ كل ما اكتشفته خلال رحلتك. سيكون هذا كافيًا. خذ معك قائمتين بالأسماء: قائمة أسماء نزلاء فندق بلوكسهام يومي الأربعاء والخميس، وقائمة أسماء موظفي الفندق، واعرف ما إذا كان أي من سكان هذه القرية الملعونة يعرف أيًا من هذه الأسماء. اسأل عن جيني والأحرف "ب. أ. ج". ولا تعد قبل أن تعرف القصة عن رجل الدين وزوجته ووفاتهم المأساوية عام ١٩١٣".

قلت في يأس: "بوارو، عليك أن تذهب معي. إنني لا أفهم شيئًا مما يحدث في قضية فندق بلوكسهام تلك، إنني أعتمد عليك".

قال بوارو: "وستظل تعتمد عليَّ يا صديقي. سنذهب إلى منزل السيدة بلانش أنسوورث، وهناك سنجمع أفكارنا معًا بحيث تصل إلى قرية جريت هولينج مستعدًا".

كان بوارو دائمًا ما يطلق على المنزل عبارة "منزل السيدة بلانش أنسوورث". في كل مرة أسمعه يقول هذه العبارة، أتذكر أني أيضًا كنت أفكر به بهذه الطريقة قبل أن أعتبره "منزلي".

*

تبيـن أن عبارة: "نجمع أفكارنا" ستعني أن يقف بوارو بجانب المدفأة في غرفة الاستقبال ذات الأثاث الذي يحمل الكثير من الزينة البنفسجية اللون، ويخبرني بمـا سأفعلـه، في حين جلسـت أنا على مقعد مجـاور له مدونًـا كل كلمة قالها. لـم أسمع من قبـل شخصًا يمكنه التحـدث بهذا الترتيب والتنميـق. حاولت أن أعترض على أنه جعلني أكتب بعض الأمور التي أعلمها بالفعل، واستفدت كثيرًا مـن المحاضـرة التي ألقاها علـى أسماعي عن موضوع "أهميـة الأسلوب". لم يكـن من المتوقع أن يتذكر عقلي المثقوب أي شيء، لذا، كنت بحاجة إلى سجل مكتوب لأعود إليه.

بعـد أن تناقشنـا حـول كل ما نعرفه، اتبع بـوارو الأسلوب ذاتـه مع كل ما لا نعرفـه ولكننا على أمل أن نعرفه. (فكرت في إيراد القائمتين ها هنا، ولكني لم أرغب في إزعاج أو إغضاب الآخرين مثلما كنت أشعر بالملل والغضب).

لكي أكون عادلاً مع بوارو، بمجرد أن دونت كل شيء وقرأت ما كتبته، تمكنت من فهم الأمور بشكل أوضح: رؤية واضحة، ومثبطة للعزيمة بشكل غير طبيعي، فوضعت قلمي وتنهدت قائلاً: "لا أرى أنه سيكون من اللائق أن أحمل معي قائمة طويلـة من الأسئلة لا يمكنني الإجابة عنها وربما لا يوجد أمل في أن أجيب عنها في يوم من الأيام".

قال بوارو: "إنك لا تثق بنفسك يا كاتشبوول".

قلت: "نعم، ما الذي يمكن للمرء فعله حيال هذا الأمر؟".

قـال بـوارو: "لا أعلم، إنها ليسـت مشكلة أعاني منها، كما أنـي أثق بأني لن أواجه مشكلة لا يمكنني حلها".

قلت: "هل تعتقد أنك قادر على العثور على حل لهذه المشكلة؟".

ابتسم بوارو وقال: "هل ترغب في أن أشجعك على الوثوق بي لأنك لا تثق بنفسك؟ صديقي، إنك تعلم أكثر مما تعتقد بأنك تعلمه. هل تتذكر دعابتك، في الفندق، عندما قلت إن الضحايا الثلاث وصلوا إلى الفندق يوم الأربعاء، قبل مقتلهم بيوم واحد؟ لقد قلت: يبدو الأمر كما لو كانوا تلقوا دعوة لكي يقتلوا، دعوة تقول: ندعوكم إلى الحضور قبل يوم من مقتلكم، حتى يمكننا أن نقتلكم بكل حرية يوم الخميس".

قلت: "نعم، وما الغريب في هذا؟".

قال بوارو: "أكدت دعابتك فكرة أن القتل نشاط كاف تمامًا ليوم واحد — السفر عبر البلاد بالقطار، وأن تُقتل في اليوم ذاته، سيكون هذا كثيرًا على أي شخص أيًا كان. ولم يكن القاتل يرغب في أن يجهد الضحايا أنفسهم بشدة! أمر غريب!".

داعب بوارو شاربه، كما لو كان يعتقد أن الضحك سيجعله أشمث.

قال بوارو: "لقد جعلتني كلماتك أتساءل يا صديقي: بينما لا يشكل القتل أي جهد يُذكر من جانب الضحية، وحيث إنه لا يوجد أي قاتل سيراعي مشاعر من ينوي تسميمهم، *فلِمَ لم يقتل الضحايا الثلاث ليلة الأربعاء؟*".

قلت: "ربما كان مشغولاً ليلة الأربعاء".

قال بوارو: "لِمَ لم يخطط إذن لوصول الضحايا إلى الفندق في صباح وظهر يوم الخميس بدلاً من صباح وظهر الأربعاء؟ كان القاتل سيظل قادرًا على قتلهم في تلك الحالة أيضًا، أليس كذلك؟ في ليلة الخميس في الفترة ما بين السابعة والربع والثامنة إلا عشر دقائق؟".

بذلت أقصى ما في وسعي لكي أبدو صبورًا حين قلت: "إنك تبالغ في تعقيد الأمور يا بوارو. إن كان الضحايا الثلاث يعرفون بعضهم البعض، الأمر الذي نعلمه جيدًا، فربما كان لديهم سبب ما لأن يقضوا ليلتين في لندن، سبب لا يتصل بالقاتل من قريب أو بعيد، والذي اختار أن يقتلهم في الليلة الثانية لأن هذا كان يناسبه أكثر. إنه لم يَدْعُهم إلى بلوكسهام، بل كان يعرف أنهم

سيكوتـون هناك وموعد وجودهـم، كما أن... صمت للحظة ثم قلت: "لا عليك، هذا أمر سخيف".

أمرني بوارو قائلاً: "أخبرني بالأمر السخيف".

قلـت: "حسنًـا، إن كان القاتل بارعًا في التخطيـط بطبيعته، فقد لا يخطط للقتـل فـي اليوم نفسه الذي يعلم بـأن ضحاياه سيصلون إلـى لندن فيه، فربما تتأخر قطاراتهم".

قال بوارو: "ربما كان على القاتل أيضا أن يسافر إلى لندن من جريت هولينج أو أي مـكان آخـر، من المحتمل أنه لم يحبذ – أو تحبـذ، إذا كانت امرأة – أن يقوم برحلة مرهقة ثم يرتكب الجرائم في اليوم ذاته".

قلـت: "إن كان هذا صحيحًا، كان من الممكن أن يصل الضحايا الثلاث إلى الفندق يوم الخميس، أليس كذلك؟".

قـال بـوارو ببساطة: "هذا ليـس صحيحًا، إننـا نعلم جيدًا أنهـم وصلوا في اليـوم السابق، يوم الأربعاء، لذا، بدأت أتساءل: هل هناك أمر تورط فيه القاتل والضحايـا الثلاث وحدث قبـل أن تُرتكب جرائم القتـل؟ إن كان هذا صحيحًا، فربما لم يحضر القاتل إلى لندن من مكان بعيد، بل ربما كان يعيش في لندن".

قلت: "هذا احتمال وارد، ولكنه يعود بنا إلى نقطة أننا لا نعلم أي شيء عما حدث أو عـن سبـب حدوثه. أتذكر أن هذا كان تقييمـي الأول للموقف، أوه، بوارو...؟".

قال بوارو: "نعم، يا صديقي".

قلـت: "لم أكن أملك الجرأة لأقول لك هذا قبل الآن، وأعلم أنك لن تحب ما سأقوله. أزرار الأكمام ذات الحروف المزخرفة...".

قال بوارو: "ماذا عنها؟".

قلت: "لقد سألت هنري نيجوس عن الحروف "ب. أ. ج"، ولا أعتقد أنها الحروف الأولـى لاسم الشخـص – أيًا كان – صاحب الأزرار بل أعتقـد أنها "ب. ج. أ" انظر"، رسمت الحروف كما ظهرت على أزرار الأكمام على ظهر واحدة من أوراقي معتصرًا ذاكرتي قدر الإمكان، وعرضتها على بوارو وقلت: "هل ترى أن حرف "أ" كبير وأن حرفي "ب" و"ج" على جانبيه أصغر منه؟ هذا أسلوب شهير في زخرفة

الحـروف، أن يدل الحرف الأكبر على اسم العائلـة وأن يوضع في المنتصف".

كان بـوارو مقطبًا حاجبيه ويهز رأسه. ثم قال: "لقد وضعت الحروف الأولى المزخرفـة بالترتيب الخاطئ عن قصـد. أليس كذلك؟ لم أسمع بهذا من قبل. من قد تراوده هذه الفكرة؟ إنها غير منطقية".

قلـت: "أخشى أنه أمر شائـع، ثق بي. إن زملائي في العمل يزخرفون أحرف أسمائهم الأولى بهذه الطريقة".

قـال بـوارو: "أمر غريب. إنكم يـا معشر الإنجليز لا تعرفـون معنى الترتيب الصحيح للأمور".

قلت: "نعم، صحيح، أيًا كان ما تقوله... سنسأل عن الشخص الذي تمثل "ب. أ. ج" الحروف الأولى من اسمه عندما نذهب إلى جريت هولينج وليس "ب. أ. ج"".

كان جهـدًا متواضعًـا مني والذي اكتشفه بـوارو على الفور، فقـال: "أنت يا صديقي من سيذهب. سيبقى بوارو في لندن".

الفصل ٩

زيارة إلى جريت هولينج

في صباح يوم الاثنين التالي، شددت الرحال إلى قرية جريت هولينج كما أمرت. كان انطباعي الأول عنها، بمجرد وصولي، هو أنها تشبه الكثير من القرى الإنجليزية الأخرى التي زرتها، ولا يوجد المزيد لأقوله عنها خلاف ذلك. أعتقد أن هناك المزيد من الاختلافات بين المدن أكثر من تلك بين القرى، كما أن هناك المزيد ليقال عن المدن. يمكنني التحدث عن تنوع لندن باستفاضة، ربما لأن الأماكن على غرار جريت هولينج لا تناسبني، حيث إنها تجعلني أشعر بأني لست في مكاني — إن كان لي مكان، ولا أعتقد أن لي مكانًا.

قيل لي إني لن أفشل في العثور على نزل كينجز هيد، حيث سأقيم، ولكني فشلت. لحسن الحظ، ساعدني شاب يرتدي نظارة ويغطي أنفه الكثير من النمش، ويضع جريدة تحت إبطه، حيث أتى من خلفي وجعلني أجفل عندما بادرني قائلاً: "هل ضللت الطريق؟".

قلت: "أعتقد هذا، نعم. أنا أبحث عن كينجز هيد".

ابتسم لي قائلاً: "لقد اعتقدت هذا بسبب الحقيبة التي تحملها والأشياء الأخرى بصحبتك. أنت لست من هنا إذن؟ يبدو نزل كينجز هيد كالمنزل من الشارع، لذا لن تميزه عن بقية المنازل، حتى تسير في ذلك الدرب هنا — هل تراه؟ سر في هذا الطريق، ثم استدر نحو اليمين وسترى لافتته ومدخله".

شكرته، وكنت على وشك اتباع إرشاداته عندما ناداني مرة أخرى قائلاً: "من أين أنت إذن؟".

أخبرته من أين أنا فقال: "لم أذهب إلى لندن من قبل. ما الذي جاء بك إلى قريتنا إذن؟".

قلت: "العمل. اسمع، آمل ألا تشعر بأني وقح، وسيسرني أن أتحدث معك في وقت لاحق، ولكني أود أن أستقر أولاً".

قال: "حسنًا، لن أعطلك إذن. ماذا تعمل؟ أوه، ها أنا ذا أطرح سؤالاً آخر، ربما سأطرحه عليك لاحقًا"، ثم لوح لي وانصرف.

توجهت مرة أخرى في طريقي نحو كينجز هيد عندما ناداني مرة أخرى قائلاً: "سر في الدرب ثم استدر لليمين"، ثم لوح لي مرة أخرى.

كان يحاول أن يكون ودودًا ومتعاونا، وكان يجب عليّ أن أكون ممتنًا له. كنت سأكون كذلك لولا...

حسنًا، أقر بذلك: أنا لا أحب الريف. لم أقل هذا لـ بوارو قبل أن أغادر، ولكني قلت هذا لنفسي عدة مرات خلال رحلتي بالقطار، ثم مرة أخرى عندما غادرت القطار في محطة القرية الصغيرة نسبيًا. لم أكن أحب ذلك الشارع الضيق الجميل الذي أقف به، والذي كان ينحني على شكل حرف "S" مع تلك الأكواخ الصغيرة على جانبيه والتي تصلح لكائنات الغابات أكثر من البشر.

لم أكن أحب أن يطرح عليّ الأغراب في الشارع أسئلة لا دخل لهم بها، رغم أني كنت أدرك جيدًا مدى نفاقي، فقد حضرت إلى جريت هولينج من أجل استجواب الأغراب.

كان الرجل ذو النظارات قد مضى في حال سبيله، ولم أكن أسمع أية أصوات سوى أصوات الطيور التي تصدح من وقت لآخر وصوت أنفاسي. خلف المنازل، كانت تقف من بعد الحقول والتلال التي جعلتني أشعر، مضافا إليها الصمت، بالوحدة. من شأن المدن أيضًا أن تجعل المرء يشعر بالوحدة، ففي لندن على سبيل المثال، تنظر إلى أولئك المارة الذين يمرون بجانبك دون أن تعلم ما يدور

في أذهانهم، حيث يبدو كل منهم منغلقًا أمامك ولغزًا بالنسبة لك. في الريف، ينطبق الأمر ذاته، مع اختلاف وحيد وهو أنك قد تعتقد بأن جميع العقول تفكر في أمر واحد فقط.

تبين أن مالك نزل كينجز هيد هو السيد فيكتور ميكن، والذي قد يتراوح عمره ما بين الخمسين والستين، وكان ذا شعر أشيب خفيف تبرز أذناه الحمراوان عبره على كلا الجانبين، والذي كان متحمسًا هو أيضًا للحديث عن لندن حيث قال: "هل ولدت بلندن، إن لم تمانع سؤالي يا سيد كانتشبوول؟ كم نسمة يعيشون فيها الآن؟ كم عدد السكان؟ هل شوارعها قذرة؟ ذهبت عمتي إلى هناك مرة من قبل وقالت إن الشوارع قذرة للغاية، إلا أنني طالما حلمت بأن أذهب إلى لندن في يوم ما. لم أخبر عمتي بهذا أبدًا – حيث كانت ستتشاجر معي، رحمها الله. هل يمتلك جميع من يعيشون في لندن سيارات خاصة؟".

شعرت بالارتياح لأن أسئلته المتلاحقة لم تسمح لي بالإجابة، ولكن نفد حظي عندما وصل إلى سؤال يثير اهتمامه بشدة، حيث سألني قائلاً: "ما الذي جاء بك إلى جريت هولينج يا سيد كانتشبوول؟ لا يمكنني أن أتخيل السبب الذي جئت من أجله إلى هنا".

توقف عن الحديث عند هذه النقطة، ولم أجد بدًا من إجابته، فقلت: "أنا شرطي من سكوتلاند يارد".

قال: "رجل شرطة؟"، حافظ الرجل على ابتسامته، ولكنه بدأ يرمقني الآن بنظرة مختلفة تمامًا عما سبق: نظرة حادة ومتفحصة ومحتقرة – كما لو كان يتأملني ويتخيل استنتاجات عني لا ترمي في صالحي، ثم قال: "شرطي"، قال الكلمة لنفسه أكثر مما وجهها لي؛ "ولِمَ يأتي شرطي إلى هنا؟ بل وشرطي مهم من لندن أيضًا". وحيث بدا أنه لم يوجه السؤال لي مباشرة، امتنعت عن الرد عليه.

بينما كان يحمل حقائبي صاعداً الدرج الخشبي الملتوي، توقف ثلاث مرات ليحدق بي دون سبب واضح.

كانت الغرفة التي خصصها لي ضيقة وباردة بشكل محبب، وتختلف عن الغرفة في منزل السيدة بلانش أنسوورث المزخرفة المبالغ في أناقتها، ولم

تكن هناك، لحسن الحظ، زجاجة مياه ساخنة ذات غطاء محبوك لأستخدمها. لا يمكنني تحمل هذه الأشياء، ولا حتى النظر لها. فلطالما اعتقدت أن أدفأ شيء يجب أن يكون في الفراش هو الشخص الذي ينام فيه.

أشار ميكن إلى بعض محتويات الغرفة والتي كنت قد لاحظتها بنفسي، مثل الفراش والخزانة الخشبية الضخمة، وحاولت أن أجيبه بمزيج مناسب من الدهشة والسعادة. بعد ذلك، ولأني كنت أعلم أنه سيكون عليَّ أن أخبره بالأمر في وقت ما، فقد أخبرته بطبيعة العمل الذي جئت من أجله إلى جريت هولينج آملاً في أن أرضي فضوله ولكي أمنعه عن النظر لي بهذه النظرات المتفحصة في المستقبل. لقد أخبرته بشأن جرائم القتل في فندق بلوكسهام.

ارتعش فم الرجل بينما كان يستمع إليَّ، وبدا كما لو كان يحاول منع نفسه عن الضحك، إلا أنني اعتقدت بأني مخطئ. ثم قال: "أتقول إنهم قتلوا؟ في فندق فخم في لندن؟ هذا أمر مثير للاهتمام. السيدة سيبيل والآنسة جرانسبري قتلتا؟ والسيد نيجوس أيضًا؟".

قلت بينما كنت أخلع معطفي وأعلقه داخل الخزانة: "أنت تعرفهم إذن؟".

قال: "نعم، أعرفهم".

قلت: "لقد فهمت أنهم لم يكونوا أصدقاءك، أليس كذلك؟".

قال ميكن: "لم يكونوا أصدقاء ولا أعداء. هذا ما أفضله في إدارة النزل. إن الأصدقاء والأعداء قد يسببون لك المشكلات، مثلما وقعت المشكلات للسيدة سيبيل والآنسة جرانسبري، والسيد نيجوس أيضًا".

ما هذا الذي أسمعه في صوته — هل هو تأكيد غريب؟ أم كان تلذذًا؟

قلت: "اعذرني يا سيد ميكن، ولكن... هل يسعدك أن تعلم بوقوع حالات القتل الثلاث تلك؟ أم أنني أتخيل هذا؟".

أنكر بكل ثقة قائلا: "إنك تتخيل هذا يا سيد كاتشبوول، لا شك في هذا".

تبادلنا النظرات لبضع لحظات، فرأيت عيناه يملؤهما الشك، وقد خلت تمامًا من أي ود.

قال ميكن: "لقد أخبرتني ببعض الأخبار، وكل ما فعلته أنها أثارت اهتمامي، كما سأفعل مع ما يقوله أي من نزلائي، هذا ما يجب عليك فعله عندما تدير نزلاً، فماذا لو كان ما تخبرني به جرائم قتل!".

أشحت ببصري بعيدًا عنه وقلت بصرامة: "شكرًا لك على إيصالي لغرفتي، لقد ساعدتني كثيرًا".

قال ميكن: "أعتقد أنك سترغب في أن تطرح عليّ الكثير من الأسئلة، أليس كذلك؟ أنا أملك كينجز هيد منذ عام ١٩١١، ولن تجد أحدًا أفضل مني لتسأله".

قلت: "أوه، نعم، بمجرد أن أفرغ حقائبي وأتناول بعض الطعام، وأريح ساقيّ قليلاً". لم أكن أرغب في التحدث مع هذا الشخص لفترة أطول، ولكن يبدو أنه لن يكون هناك مفر من ذلك، فقلت له: "هناك أمر آخر يا سيد ميكن، أمر بالغ الأهمية: إن لم تقل لأحد ما أخبرتك به الآن، فسأكون ممتنًا لك غاية الامتنان".

قال: "هل هو سر؟".

قلت: "لا، على الإطلاق، ولكني أفضل أن أخبر الجميع بالأمر بنفسي".

قال: "ستستجوب الناس، أليس كذلك؟ لن يخبرك أي شخص في جريت هولينج بأي أمر يستحق الاهتمام".

قلت: "أنا واثق من أن هذا ليس صحيحًا، لقد عرضت أن تتحدث معي".

هز ميكن رأسه وقال: "لا أعتقد أني قلت هذا يا سيد كاتشبوول، لقد قلت إنك سترغب في أن تطرح عليّ الكثير من الأسئلة، ولكني لم أقل إني سأكون على استعداد للإجابة عنها، ولكني سأقول لك هذا...". ثم أشار نحوي بأصبعه السبابة بارز العظام ذي المفاصل المتورمة وقال: "إن كنت قد تعثرت في جريمة قتل ثلاثية في أحد فنادق لندن الفاخرة، فمن الأفضل أن تطرح أسئلتك هناك وليس هنا".

قلت: "هل تقول إنك تفضل أن أرحل يا سيد ميكن؟".

قال: "على الإطلاق، إن وجودك شأنك الخاص، وسيكون مرحبًا بك في هذا المبنى طالما رغبت في البقاء، لا يهمني أمرك من قريب أو بعيد". وبعدما قال هذا، استدار وانصرف.

هززت رأسي حائرًا، فلم أكن أتخيل أن يكون ذلك الرجل الذي كنت أتحدث معه الآن هو نفسه السيد ميكن الذي استقبلني عندما دخلت إلى كينجز هيد والذي كان يثرثر ببهجة عن لندن وعن عمته التي كانت تنفر من شوارعها القذرة.

جلست على الفراش، ثم نهضت فجأة واقفًا، فقد كنت بحاجة ماسة إلى بعض الهواء النقي. أتمنى لو كان هناك مكان آخر غير كينجز هيد يمكنني الإقامة به في جريت هولينج.

ارتديت معطفي الذي خلعته منذ بضع دقائق، وأغلقت غرفتي وهبطت الدرج. كان فيكتور ميكن يجفف بعض الأكواب خلف الطاولة، فانحنى بمجرد أن دخلت إلى الغرفة.

في الركن، على كلا جانبي واحدة من الطاولات التي كانت مغطاة بالكثير من الأكواب المليئة والفارغة، كان هناك رجلان جالسان ينويان شرب أكبر كم ممكن من الشراب. وكانا يجيدان فن الترنح من وضع الجلوس. كان أحد هذين الرجلين رجلاً بلغ من العمر عتيًا ذا لحية بيضاء تذكرك بحكماء العصور القديمة. كان الرجل الآخر متين البنيان عريض الفك ولم يكن يزيد عمره عن العشرين عامًا. وكان يحاول التحدث مع الرجل المسن، ولكن فمه كان ممتلئًا بالشراب ولم يتمكن من تفسير ما يقوله، ولحسن الحظ، لم يكن رفيقه في الشراب في حالة تسمح له بالاستماع، ومن حسن الحظ أيضًا أن ما كان يقوله عبارة عن هراء وليس حديثًا مهمًا.

أفزعتني رؤية الشاب، كيف انحدرت به الحال بهذه الطريقة؟ كان يبدو كما لو كان يجرب عادة جديدة عليه، وإن لم يغيرها، فقد تظل تلازمه للأبد.

سأل ميكن: "هل ترغب في شراب يا سيد كاتشبوول؟".

ابتسمت له بود: "ربما في وقت لاحق، شكرًا لك". كنت أحب أن أبدو ودودًا قدر الإمكان مع أولئك الذين لا يروقون لي أو الذين لا أثق بهم، الأمر الذي لا ينجح دائمًا ولكنهم يردون عليّ بلطف في بعض الأحيان، قلت: "سأتمشى قليلاً أولاً".

نهض الشاب الثمل على قدميه مترنحًا، وبدا غاضبًا وقال أمرًا ما بدأ بكلمة: "لا"، ولكنني لم أفهم كلمة من بقية الجملة، ثم مر بجانبي مترنحًا وخرج إلى الشارع. رفع الرجل المسن ذراعه – الأمر الذي استغرق منه عشر ثوانٍ كاملة – حتى أشار لي بأصبعه، وقال: "أنت".

لم يكن قد مر على وجودي في جريت هولينج أكثر من ساعة، ولكن أشار رجلان نحوي بطريقة فظة. ربما كان هذا أسلوب سكان القرية في الترحيب بالأغراب، ولكني لم أكن واثقًا من هذا. قلت: "معذرة؟".

أصدر الرجل المسن بعض الأصوات التي فسرتها على أنها: "نعم، أنت، يا صديقي، تعال واجلس معي، على هذا المقعد هنا، بجانبي. المقعد الذي لم يعد ذلك الشاب عديم النفع بحاجة له، هنا".

في الأحوال العادية، كان هذا التكرار سيزعجني، ولكن حيث إني كنت منخرطا في ترجمة ما يقول، فقد رحبت به.

قلت له: "في الحقيقة، كنت بصدد التجول في القرية قليلاً..."، ولكن الرجل قرر أنه لا يجب عليَّ هذا.

قال الرجل المسن: "سيتوافر لك الكثير من الوقت لتفعل ذلك، أما الآن، فستأتي لتجلس معي لنتحدث قليلاً"، ولدهشتي بدأ يغني:

"تعال واجلس معي

تعال واجلس معي

أيها الشرطي من مدينة لندن".

نظرت نحو ميكن الذي كان يصب ناظريه على الأكواب بين يديه. شعرت بغضب شديد فقلت له: "أعتقد أني أخبرتك من عشر دقائق فقط ألا تتحدث عما جئت من أجله إلى هنا مع أحد".

قال ميكن: "لم أقل شيئًا لأحد"، ولم يجرؤ حتى على النظر إليَّ.

قلت: "سيد ميكن، كيف اكتشف هذا الرجل كوني شرطيًا من لندن إن لم تكن قد أخبرته بالأمر؟ لا يوجد أحد في القرية يعلم هويتي غيرك".

قال ميكن: "لا تقفز إلى استنتاجات خاطئة يا سيد كاتشبوول، فهذا لن يؤدي بك إلى مكان على ما أعتقد. أنا لم أتحدث عنك مع أي أحد على الإطلاق".

كان يكذب، وكان يعلم أني أعرف أنه يكذب، ولكنه لم يكن يهتم بذلك.

*

توجهت، مهزومًا، للجلوس مع الرجل المسن على طاولته في ركن الغرفة. كانت تبدو على قسمات وجهه علامات الصفاقة والقلق، وللحظة خيل إلي أنني أنظر إلى كائن غريب أبيض الشعر يقبع في عشه الأكثر غرابة.

بدأ حديثه معي كما لو كانت محادثتنا كانت بدأت من وهلة قائلاً: "... إنه ليس رجلاً نبيلاً، بل مجرد شاب عديم النفع، ووالداه مثله. إنهم لا يعرفون كيف يقرأون أو يكتبون أسماءهم. لا يعرفون حتى حروف الأبجدية. إنه في العشرين من عمره، ولكن انظر إليه. عندما كنت في مثل عمره – ولكن هذا كان منذ زمن طويل، منذ عهد سحيق. كنت من أفضل الشباب، ولكن الله هو من يهب النعم وهو من يمنعها. إنهم لا يعرفون أن العظمة تقع في متناول الجميع، إلا أنهم لا يحاولون الإمساك بها".

كان كل ما استطعت قوله هو: "لا يعرفون حروف الأبجدية، أليس كذلك؟". العظمة؟ كنت أجد نفسي محظوظًا كل مرة أتجنب فيها الفشل المهين. كان صوت الرجل غير عادي، رغم أنفه الضخم الأحمر ولحيته المبللة بالشراب. بغض النظر عن الثمالة، فكرت بأن صوته من النوع الذي تحب الاستماع إليه.

سألته: "لقد فعلت أمورًا عظيمة إذن، أليس كذلك؟".

قال: "لقد حاولت، وكللت محاولاتي بالنجاح أكثر مما كنت أحلم".

قلت: "هل فعلت حقًا؟".

قال الرجل: "نعم، ولكن، كان هذا منذ زمن طويل. لن يفيد المرء أن يحلم، كما أن أكثر الأحلام أهمية لا تتحقق أبدًا. لم أكن أدرك هذا عندما كنت شابًا، وأنا سعيد بهذا". ثم تنهد وقال: "ماذا عندك يا صديقي؟ ما أعظم

إنجازاتك؟ حل لغز مقتل كل من هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري وريتشارد نيجوس؟".

كان يتحدث كما لو كان هذا الهدف ليس بالهدف الذي يستحق المحاولة.

ثم تابع حديثه قائلاً: "لم أكن أعرف ريتشارد نيجوس، ولكني رأيته مرة أو مرتين. فقد غادر القرية بعدما جئت إليها بوقت قصير. رجل يأتي ورجل آخر يذهب، ولكن للسبب ذاته. بسبب انكسار قلبيهما".

قلت: "ما السبب؟".

تجرع الرجل المسن كمية كبيرة من الشراب على مرة واحدة وقال: "إنها لن تتخطى الأمر أبدًا".

قلت: "من التي لن تتخطى ماذا؟ أتقصد أن أيدا جرانسبري لم تتخط أبدًا مغادرة ريتشارد نيجوس لـ جريت هولينج؟".

قال الرجل: "فقدان زوجها أو هكذا يقولون. هارييت سيبيل. يقال إنها فقدت زوجها في سن صغيرة وإن هذا ما جعلها على هذه الحالة، ولكني أقول إنه عذر واه. لقد كان في مثل عمر الشاب الذي كان يجلس مكانك منذ قليل. كان صغير السن للغاية على الموت، ولكن لا نهاية لحديث الناس".

قلت: "عندما قلت إن هذا ما جعلها على هذه الحالة؟ ماذا كنت تعني يا سيد...؟ هل يمكنك أن توضح الأمر لي؟".

قال الرجل: "أوضح لك ماذا يا صديقي؟ أوه، نعم. لن يفيد الرجل أو المرأة أن يحلما، وأنا سعيد بأني اكتشفت هذا عندما تقدم بي العمر".

قلت محاولاً أن أعيده إلى النقطة التي أقصدها: "معذرة، ولكني أرغب في أن أتأكد من أني فهمت الأمر بالشكل الصحيح. هل قلت إن هارييت سيبيل فقدت زوجها في سن صغيرة، وأن كونها أرملة هو ما جعلها على تلك الحالة... ما الحالة التي أصبحت عليها؟".

شعرت بالذعر عندما بدأ الرجل يبكي وقال: "لم كان عليها الحضور إلى هنا؟ كان يمكنها أن تحظى بزوج وأطفال ومنزل خاص بها، حياة سعيدة".

سألته: "من التي كان يمكنها أن تحظى بهذه الأشياء؟ هارييت سيبيل؟".

قال الرجل: "لو لم تكن قد كذبت تلك الكذبة التي لا يمكن غفرانها... والتي كانت السبب في كل تلك المشاكل". كان الأمر يبدو كما لو كان هنالك مشارك خفي في المحادثة قد سأله سؤالاً مغايرًا لما طرحته عليه، حيث قطب الرجل المسن حاجبيه وقال: "لا، لا. كانت هارييت سيبل متزوجة، من جورج، ولكنه توفي صغيرًا، بسبب مرض عضال. لم يكن أكبر في السن من ذلك الشاب عديم النفع الذي كان يجلس مكانك منذ قليل. ستوكلي".

قلت: "اسم ذلك الشاب عديم النفع هو ستوكلي إذن، أليس كذلك؟".

قال الرجل: "لا يا صديقي، اسمي ستوكلي. والتر ستوكلي، ولكني لا أعلم اسمه". مرر الرجل أصابعه خلال لحيته وقال: "كانت قد كرست حياتها من أجله. وأعلم السبب، لطالما فهمت السبب، فقد كان رجلاً ثريًا، بغض النظر عن أخطائه. لقد ضحت بكل شيء من أجله".

قلت: "من أجل ذلك الشاب عديم النفع الذي كان هنا منذ قليل؟". لا، كان هذا الاحتمال بعيدًا، فلم يكن يبدو أن ذلك الشاب عديم النفع ثري.

من حسن الحظ أن بوارو لم يكن مشاركًا في هذه المحادثة، فمن شأن هذا الحديث غير المنظم الذي يقوله والتر ستوكلي أن يصيب بوارو بأزمة قلبية.

قال والتر: "لا، لا، إنه في العشرين من عمره كما تعلم".

قلت: "نعم، أعلم هذا، فقد أخبرتني به منذ بضع لحظات".

قال والتر: "لا فائدة من تكريس حياتك لشخص لا يفعل شيئًا سوى الشرب".

قلت: "أوافقك تمامًا ولكن ــــــــــــ".

قال والتر: "لم تكن قادرة على الزواج من أي شاب، ليس بعدما وقعت في حب رجل ثري، لذا هجرته".

راودتني فكرة استلهمتها من حديث النادل رافال بوباك في فندق بلوكسهام، فسألته: "هل كانت تكبره سنًا بكثير؟".

بدا ستوكلي متحيرًا وقال: "من؟".

قلت: "المرأة التي تتحدث عنها. كم عمرها؟".

قال ستوكلي: "أكبر منك بعشر سنوات. في الثانية والأربعين أو الثالثة والأربعين من العمر تقريبًا".

قلت: "فهمت". شعرت بالدهشة من أنه تمكن من تخمين عمري بتلك الدقة، وإن كان قادرًا على فعل ذلك، فمن المؤكد أني سأتمكن من الخروج ببعض المنطق الذي يمكنني فهمه منه.

استكملت المحادثة الفوضوية قائلاً: "إن السيدة التي تتحدث عنها أكبر سنًّا من الرجل عديم النفع الذي كان يجلس على هذا المقعد منذ قليل، أليس كذلك؟".

قطب ستوكلي حاجبيه وقال: "نعم يا صديقي، إنها تكبره بما يزيد على العشرين عامًا. إنكم يا معشر رجال الشرطة تطرحون أسئلة غريبة".

امرأة كبيرة في السن وشاب يصغرها سنًّا: نفس الشخصين اللذين سمع كل من هاريت سيبل وأيدا جرانسبري وريتشارد نيجوس يتحدثون عنهما في فندق بلوكسهام. لا شك في أني كنت أحرز تقدمًا، فقلت: "كان من المفترض أن تتزوج المرأة من الرجل عديم النفع ولكنها اختارت رجلاً ثريًا بدلاً منه، أليس كذلك؟".

قال ستوكلي في نفاد صبر: "لا، ليس الرجل عديم النفع، ثم ارتعش جفناه وابتسم وقال لي: "ولكن كانت العظمة في متناول يد باتريك. لقد رأت ذلك وفهمته. إن أردت أن تحبك النساء يا سيد كاتشبوول، أظهر لهن أن العظمة في متناول يديك".

قلت: "أنا لا أرغب في أن تقع النساء في حبي يا سيد ستوكلي".

قال ستوكلي: "ولم لا؟".

أخذت نفسًا عميقًا.

وقلت: "سيد ستوكلي، هل يمكنك أن تخبرني باسم السيدة التي تتحدث عنها — المرأة التي كنت تأمل لو لم تأت إلى هنا، والتي أحبت رجلاً ثريًا والتي كذبت الكذبة التي لا يمكن غفرانها".

قال الرجل المسن: "التي لا يمكن غفرانها".

قلت: "ومن باتريك؟ وما اسمه بالكامل؟ هل يبدأ اسمه الكامل بالحروف "ب. ج. أ"؟ وهل هناك امرأة، أو كانت هناك، تحمل اسم جيني في جريت هولينج؟".

قال ستوكلي بحزن: "لقد كانت العظمة في متناول يديه".

قلت: "نعم، هذا صحيح، ولكن ________".

قال: "لقد ضحت بكل شيء من أجله، ولا أعتقد أنها ندمت على ذلك إن سألتها عن الأمر اليوم. ماذا كانت ستفعل غير ذلك؟ لقد أحبته، ولا يوجد ما يمكنك فعله حيال الحب". ثم أمسك بقميصه ولفه قائلاً: "عليك أن تحاول أن تخرج قلبك من صدرك".

الأمر الذي شعرت بأنه عليّ فعله بعد نصف ساعة أخرى من محاولة استخراج أي شيء منطقي من والتر ستوكلي، حيث حاولت بجد حتى لم أتمكن من الاحتمال أكثر، فاستسلمت.

الفصل ١٠

التشهير

شمـرت براحـة شديدة بمجـرد أن خطوت خارج نـزل كينجز هيـد، في الوقت ذاتـه، راح مطـر خفيـف يتساقط، ومر مـن أمامي رجل يرتـدي معطفًا طويلا وقبعة مسرعًا على أمل الوصول لمنزله قبل أن يسوء الطقس. حدقت في الحقل المواجـه للنـزل والذي كان يحيطـه سياج قصير من الشجيـرات: حقل أخضر واسـع تحيطه صفوف الأشجار من ثلاث جهات. عاد ذلك الصمت مرة أخرى، فلـم أكـن أسمع أي شـيء عدا صوت قطـرات المطر وهي تتساقـط على أوراق الأشجار؛ ولم أكن أرى شيئًا سوى الخضرة.

لـم يكـن الريف مكانًا يناسب مـن يرغب في أن يتناسى أفـكاره. كنت واثقًا مـن هذا. ففي لنـدن، دائمًا ما تمر بجانبك سيـارة أو حافلة أو وجه شخص ما أو كلب، يسترعـون انتباهك ويشتتونك عما تفكر فيه. كم أتوق إلى هذا التشتت الآن، أي شيء عدا هذا السكون.

مـرت بي سيدتان، وكانتا على عجلة مـن أمرهما أيضًا. فقد تجاهلتا تحيتي الـودودة ومضتا في حال سبيلهما دون أن تنظرا نحوي. تساءلت، عندما تناهت إلـى سمعي كلمات "الشرطـي" و"هارييت"، ما إذا كنت قـد ألقيت باللوم على قطرات المطر على أمر ما تخيلته. هل كان هؤلاء الأشخاص يفرون من الطقس أم من الشرطي من لندن؟

بينما كانت أحاول تنشيط خلايا مخي الرمادية، كما يطلق عليها بوارو، لتفكر في حديث والتر ستوكلي غير المترابط. هل غادر فيكتور ميكن نزله من الباب الخلفي وأوقف المارة في الشارع ليخبرهم بوجودي في القرية، على النقيض مما أخبرته به؟ أعتقد أن هذه هي فكرته عن التسلية. يا له من رجل مقيت غريب الأطوار!

سرت على طول الشارع الملتوي، وظهر أمامي شاب خرج فجأة من أحد المنازل، وسرني أنه كان الشاب ذا النظارات والنمش الذي التقيته عندما ترجلت من القطار. عندما رآني أتوجه نحوه، تسمر في مكانه كما لو التصق نعل حذائه بالرصيف. ناديت عليه قائلاً: "مرحبًا، لقد عثرت على نزل كينجز هيد، شكرًا لمساعدتك".

جحظت عينا الشاب بينما كنت أقترب منه، وبدا كما لو كان يرغب في الهرب، ولكن يبدو أنه كان مهذبًا لدرجة أنه لم يتمكن من هذا. لولا ذلك النمش على أنفه، لاعتقدت بأنه ليس الشخص نفسه الذي قابلته من قبل، فقد تغير سلوكه تمامًا — كما حدث مع فيكتور ميكن.

قال متلعثمًا قبل أن أوجه له أية أسئلة: "أنا لا أعلم من قتلهم يا سيدي، أنا لا أعرف أي شيء، كما أني لم أذهب إلى لندن من قبل، كما أخبرتك من قبل".

حسنًا، قطعت هذه الكلمات الشك باليقين: لقد انكشف أمر هويتي وسبب حضوري للقرية وانتشر بين جميع سكانها، ولعنت ميكن في سري، ثم قلت للشاب: "لم أحضر إلى هنا من أجل التحدث عن لندن. هل تعرف كلا من هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري وريتشارد نيجوس؟".

قال الرجل: "أخشى أنه لا يمكنني أن أواصل الحديث معك يا سيدي، فأنا على عجلة من أمري"، كان يدعوني بكلمة "سيدي" بصوت عال ينتشر في جميع أنحاء المكان، رغم أنه لم يكن يتعامل معي بهذه الطريقة قبل أن يعرف أني أحد رجال الشرطة.

قلت له: "أوه، حسنًا. هل يمكننا التحدث في وقت لاحق من اليوم؟".

قال: "لا يا سيدي، لا أعتقد أني سأمتلك الوقت لذلك".

قلت: "وماذا عن الغد؟".

عض الرجل على شفته السفلية وقال: "لا يا سيدي".

تنهدت قائلاً: "فهمت. وإن أجبرتك على التحدث معي فستمتنع عن الحديث أو تكذب. أليس كذلك؟ شكرًا لك على تبادل هذا الحديث القصير معي على أية حال. فأغلب من كانوا يرونني أتوجه نحوهم كانوا يفرون في الاتجاه المعاكس".

قال الرجل: "إن الأمر لا يتعلق بك يا سيدي. إن الناس خائفون".

قلت: "خائفون من ماذا؟".

قال الرجل: "هناك ثلاثة قتلى، ولا أحد يرغب في أن يكون التالي".

لا أعلم ما هي الإجابة التي كنت أتوقعها، ولكنها لم تكن هذه الإجابة. قبل أن أجيبه، كان الرجل مر من جانبي مسرعًا ومضى إلى حال سبيله. سألت نفسي، ما الذي جعل ذلك الرجل يعتقد بأنه سيكون هناك المزيد من القتلى؟ فكرت فيما ذكره بوارو عن احتمالية وجود زر أكمام رابع ينتظر في جيب القاتل ليوضع في فم الضحية التالية، وضاق صدري رغمًا عني. لا يمكنني أن أسمح باحتمالية مقتل شخص آخر، *مع راحتي يديه مفرودتين نحو الأسفل...*

لا، لن يحدث هذا، وشعرت ببعض الارتياح عندما قلت هذا لنفسي.

ذرعت الشارع جيئة وذهابًا لبعض الوقت على أمل أن أرى شخصًا آخر، ولكن لم يظهر أحد. لم أكن على استعداد للعودة لـ كينجز هيد بعد، فتوجهت نحو نهاية القرية حيث تقع محطة القطار، ووقفت على رصيف المحطة في جهة القطارات المتوجهة إلى لندن، وكنت أشعر بالإحباط لأني لست قادرًا على ركوب واحد منها والعودة إلى منزلي على الفور. تساءلت عما قد تطهيه بلانش أنسوورث على العشاء الليلة، وعما إذا كان سيعجب بوارو أم لا. ثم أجبرت أفكاري على العودة للتفكير في أمر جريت هولينج.

ماذا سأفعل إن قرر جميع من في القرية أن يتجنبوني؟

دار العبادة، لقد مررت بجانب المقابر الملحقة بها عدة مرات دون أن أتفحصها بدقة – دون التفكير في قصة رجل الدين وزوجته اللذين ماتا بفارق عدة ساعات فيما بينهما. كيف نسيت هذا الأمر؟

عدت إلى القرية وتوجهت على الفور إلى دار العبادة. كان يُطلق عليها هولي سانيتس وكانت عبارة عن مبنى بسيط مبني من الأحجار نفسها ذات اللون العسلي التي بُني منها مبنى المحطة. كان العشب في حديقة دار العبادة مُعتنى به جيدًا، وكانت تنمو الزهور بجوار أغلب القبور والتي بدا أنه لم يمر وقت طويل على من دُفن فيها.

خلف دار العبادة، على الجانب الآخر من السور المنخفض الذي أُلحقت به بوابة حديدية، رأيت منزلين: أحدهما، في الخلف، كان يبدو عليه أنه منزل رجل الدين، أما الآخر فقد كان أصغر حجمًا بكثير، عبارة عن كوخ طويل منخفض السقف، وكان الجزء الخلفي منه ملتصقًا بالسور. لم يكن بالكوخ باب خلفي ولكني تمكنت من رؤية أربع نوافذ – نوافذ كبيرة على أن تكون نوافذ كوخ – لا تطل على شيء سوى صفوف القبور. فكرت أن من قد يعيش في هذا الكوخ يجب أن يتمتع برباطة جأش لا مثيل لها.

فتحت البوابة الحديدية وعبرتها من الشارع إلى حديقة دار العبادة. كانت أغلب شواهد القبور قديمة لدرجة أن الأسماء التي تحملها قد مُحيت بفعل الزمن، وبينما كنت أفكر في هذا، لفت نظري شاهد قبر حديث وأنيق، وكان أحد شواهد القبور التي لم توضع زهور بجانبها، واحتبست الأنفاس في صدري عندما قرأت الأسماء المحفورة عليه.

لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا... ولكن لابد من أنها كذلك.

باتريك جيمس أيف، رجل دين القرية، وفرانسيس ماريا أيف، زوجته الحبيبة.

"ب. ج. أ". كان الأمر كما شرحته لـ بوارو: الحرف الأول الأكبر في منتصف الحروف المزخرفة كان الحرف الأول لاسم العائلة، وكان باتريك أيف هو رجل الدين بـ جريت هولينج في وقت ما.

قـرأت تواريخ الميلاد والموت مرة أخرى حتـى أتأكد من أني لم أخطئ. لا، توفـي كل من باتريك وفرانسيس أيف عـام ١٩١٣، وكان في التاسعة والعشرين من عمره وهي في الثامنة والعشرين من العمر.

رجل الدين وزوجته اللذان ماتا ميتة مأساوية بفارق عدد قليل من الساعات... والـذي كانت أحرف اسمه الأولى محفورة على أزرار الأكمام الثلاثة التي انتهى بها المطاف داخل أفواه ضحايا جريمة القتل الثلاثية في فندق بلوكسهام...

تبًـا لـكل هذا! كان بوارو محقًـا، وكان عليَّ أن أعترف بهـذا رغمًا عني. لقد كان هنـاك رابط بالفعل. هـل يعني هذا أنه سيكون محقًا أيضا فيما يتعلق بتلك المرأة المدعوة جيني؟ هل هناك صلة بينها وبين الأمر أيضًا؟

أسفـل الأسمـاء والتواريخ كانت هنـاك أبيات شعرية. كانـت قصيدة طويلة ولكني لم أكن أعرفها. بدأت أقرأ:

ذلك اللوم الذي وقع عليك لم يكن لنقص فيك،
لأن القذف يهدف دائمًا إلى تشويه الجمال؛

كنت قد قرأت الشطرين الأولين من القصيدة فقط عندما سمعت من خلفي صوتًا يقول: "إنها قصيدة من تأليف ويليام شكسبير".

التفـت للخلف ورأيت امرأة في حوالي الخمسين من عمرها ذات وجه طويل بـارز العظام وشعر كستنائـي اللون تتخلله خصلات من الشعـر الأبيض تتناثر دون انتظـام، وعينين رماديتين ضاربتين للخضرة تبدو عليهما أمارات الحكمة واليقظـة. كانت تلف معطفها بقوة حول جسدها عندما قالت: "كان هناك جدل كبير حول ما إذا كان يجب وضع اسم ويليام شكسبير مع الأبيات أم لا".

قلت: "معذرة؟".

قالـت: "تحت القصيدة، ولكننا قررنا في النهايـة أن الأسماء الوحيدة التي يجب أن تكون على شاهد القبر هي ...". ثم استدارت فجأة دون أن تنهي جملتها، وعندما التفتت لي مرة أخرى، كانت عيناها مغرورقتين بالدموع وقالت: "حسنًا،

لقد قررنا أن... أعني قررت وزوجي الراحل تشارلز أن.... لقد كنت أنا من قرر في الحقيقة، ولكن لطالما كان تشارلز يدعمني في جميع قراراتي. اتفقنا على أن اسم ويليام شكسبير سيسترعي الكثير من الاهتمام، لذا، لم ننحته على شاهد القبر أيضًا". وأومأت برأسها نحو شاهد القبر. "ولكن، عندما رأيتك تقرأ القصيدة، شعرت بأني ملزمة بأن آتي لأخبرك بمن كتبها".

قلت متعجبًا من أني لم أتمكن من سماع خطوات قدميها من خلفي بينما كنت قادرًا على رؤية الشارع: "كنت أعتقد أني بمفردي".

قالت وهي تشير بأصبعها الإبهام من خلف ظهرها: "لقد دخلت عبر البوابة الأخرى، فأنا أعيش في الكوخ ورأيتك عبر نافذتي".

لا شك في أن امتعاضي من مكان منزلها قد ظهر على وجهي لأنها ابتسمت وقالت: "هل يزعجني المشهد؟ على الإطلاق. لقد سكنت في هذا الكوخ خصيصًا لأتمكن من رؤية القبور".

قالت هذه الكلمات كما لو كانت أمرًا من المعتاد قوله. لابد من أنها كانت تقرأ أفكاري، فقد واصلت حديثها مفسرة الأمر: "هناك سبب واحد لعدم اقتلاع شاهد قبر باتريك أيف من مكانه يا سيد كاتشبوول، وهو أن الجميع يعلمون بأني موجودة هناك أراقب". ثم تقدمت نحوي دون سابق إنذار ومدت يدها نحوي فصافحتها وقالت: "مارجريت إيرنست، يمكنك أن تدعوني مارجريت".

قلت: "هل تعنين... هل تقولين إن هناك أشخاصًا في المدينة يرغبون في نبش قبر باتريك وفرانسيس؟".

قالت: "نعم، لقد اعتدت وضع الزهور بجانب قبرهما، ولكني سرعان ما اكتشفت أنه لا فائدة من هذا، فالزهور سهلة التدمير، أسهل من كتلة من الحجر. عندما توقفت عن غرس الزهور، لم يجدوا شيئًا ليدمروه سوى شاهد القبر نفسه، ولكني انتقلت حينها إلى الكوخ لأراقب".

قلت: "كيف يمكن لشخص ما أن يفعل مثل هذا الأمر للمرقد الأخير لشخص آخر؟".

قالت: "هناك من الناس من قد يصيبك بالفزع، أليس كذلك؟ هل قرأت القصيدة؟".

قلت: "كنت قد بدأت قراءتها عندما ظهرت".

أمرتني قائلة: "اقرأها الآن".

استدرت مواجهًا شاهد القبر وقرأت القصيدة بأكملها:

ذلك اللوم الذي وقع عليك لم يكن لنقص فيك،
لأن القذف يهدف دائمًا إلى تشويه الجمال؛
ومن علامات الجمال أن يكون موضع الظن،
مثل الغراب الذي في أعذب أجواء السماء يطير.
وطالما كنت حسن الخلق، فكل ما سيؤكده الافتراء عليك
أن منزلتك عالية، رغم أمواج العصور التي عصفت بك.
والخطيئة، مثل الديدان، تحب التهام البراعم الجميلة،
مما يجعلك أنت الشاب النقي المهذب هدفا لها.
لقد نجوت من فخ أيام الشباب،
إما لأنك لم تتعرض للغواية أو لأنك قاومتها،
لذلك هذا المديح لن يوفيك حقك،
لكي يتوقف الحسد الذي يزداد حولك باستمرار؛
إذا لم يضعوا ذلك القناع القبيح من سوء الظن على وجهك،
لتربعت على عرش ممالك القلوب دون منازع.

قالت مارجريت: "ما رأيك يا سيد كاتشبوول؟".

قلت: "إنها قصيدة لا تناسب وضعها على شاهد قبر".

قالت: "هل تظن ذلك؟".

قلت: "إن كلمة التشهير كلمة قوية. إن القصيدة تقول إنه – إن لم أكن مخطئًا – كانت هناك اعتداءات على شخص كل من باتريك وفرانسيس، أليس كذلك؟".

قالت: "نعم، كانت هناك اعتداءات بالفعل. لقد اخترت هذه القصيدة. لقد حذروني من أن نقش القصيدة بأكملها على شاهد القبر سيكون باهظ الثمن، وأنه يجب عليَّ أن أرضى بالسطرين الأولين فقط منها - كما لو أن التكلفة المادية هي كل ما أفكر به. لطالما قابلت الكثير من الناس الذين يشبهون الحيوانات"، وظهر تعبير على وجه مارجريت ينم عن الاشمئزاز الشديد، ثم وضعت إحدى يديها على شاهد القبر، كما لو كانت تضع يدها على رأس طفل عزيز عليها وليس على شاهد قبر، وقالت: "لقد كان كل من باتريك وفرانسيس أيف شخصين طيبين لم يكونا ليؤذيا أيَّ أحد كان عن عمد. كم قابلت من أناس على هذه الشاكلة، بصدق؟".

قلت: "أوه، حسنًا ــــــ".

قالت: "لم أكن أعرفهما معرفة شخصية - لقد أصبح زوجي تشارلز رجل الدين في هذه القرية بعد وفاتهما - ولكن هذا ما قاله لنا طبيب القرية، الطبيب فلاورداي، وهو الشخص الوحيد في جريت هولينج الذي يستحق الاستماع له".

كنت أرغب في التأكد من أني لم أفهمها بطريقة خاطئة، فقلت لها: "لقد أصبح زوجك رجل الدين في القرية بعد وفاة باتريك أيف، أليس كذلك؟".

قالت: "بلى، حتى مات منذ ثلاثة أعوام. لقد أصبح هناك رجل دين جديد الآن: رجل أعزب يهوى القراءة ولا يهتم إلا بشئونه".

قلت: "وماذا عن الطبيب فلاورداي ــــــ؟"

قالت مارجريت إيرنست بسرعة: "انس أمره"، الأمر الذي جعل اسم الطبيب فلاورداي ينغرس بقوة في ذاكرتي.

قلت: "حسنًا"، ولكني لم أكن أعنيها بحق. رغم أني لم أتعرف على مارجريت إيرنست إلا منذ ربع الساعة فقط، إلا أني كنت أظن أن أسلوب الطاعة العمياء ذلك سيفيدني كثيرًا.

سألتها: "لماذا عُهدت إليكِ مهمة اختيار الكتابات على شاهد القبر؟ ألا يمتلك آل أيف عائلة؟".

قالت: "ليس لهما من يهتم أو يفعل ذلك من أجلهما أو يستطيع ذلك للأسف".

قلت: "سيدة إيرنست، أعني مارجريت... لا يمكنني أن أعبر لكِ عن مدى الشعور بالترحاب الذي جعلتني أشعر به في هذه القرية. من الواضح أنكِ تعلمين من أكون، وبالتالي، تعلمين الغرض الذي جئت من أجله. لا يوجد شخص آخر من هذه القرية يرغب في التحدث معي عدا رجل مسن في نزل كينجز هيد والذي لم أفهم منه شيئًا".

قالت: "لا أعتقد أنني كنت أنوي أن أجعلك تشعر بأنك مرحب بك هنا يا سيد كاتشبوول".

قلت: "بل جعلتني أشعر بأن هناك من لا ينفر من وجودي، فعلى الأقل لم تفري من أمامي كما لو كنت شبحًا يخيف من يراه".

ضحكت قائلة: "أنت؟ مخيف؟ يا إلهي".

لم أعلم كيف أجيبها على ما قالته.

قالت: "هل كان الرجل – الذي لم تفهم منه شيئًا في كينجز هيد – ذا لحية بيضاء؟".

قلت: "نعم".

قالت: "لقد تحدث معك لأنه ليس خائفًا".

قلت: "لأنه كان ثملاً لدرجة أنه لم يعد يعلم مما عليه أن يخاف، أليس كذلك؟".

قالت: "لا، لأنه لم يكن..."، ثم توقفت عن الحديث وغيرت مجرى الحديث قائلة: "لأنه ليس معرضًا للخطر من جهة قاتل هارييت وأيدا وريتشارد".

سألتها: "وماذا عنكِ؟".

قالت: "سأخبرك بكل شيء كما فعلت، وأفعل الآن، بغض النظر عن أية مخاطر".

قلت: "فهمت. إنكِ امرأة شجاعة، أليس كذلك؟".

قالـت: "لطالما كنت امـرأة عنيدة، وعادة ما أقول ما يجـب قوله، وأفعل ما يجب فعله، وإن تصادف واقترح عليَّ الآخرون أن أظل صامتة، أفعل عكس ذلك تمامًا".

قلت: "أعتقد أن هذا أمر جدير بالثناء".

قالت: "هل تجدني امرأة صريحة أكثر من اللازم يا سيد كاتشبوول؟".

قلت: "على الإطلاق، بل أعتقد أنه من الأسهل على المرء أن يقول ما يتبادر إلى ذهنه".

ابتسمت مارجريت إيرنست وقالت: "وهل كان هذا أحد الأسباب التي جعلت مـن حياتك حياة صعبـة؟ آه – فهمت، إنك لا تفضل التحدث عن نفسك. حسنًا إذن، ما انطباعك عن شخصيتي؟ إذا لم تمانع الإجابة عن هذا السؤال".

قلـت لهـا: "لقد قابلتك للتو"، وفكـرت في نفسي، يا إلهي، لـم أكن مستعدًّا لمثـل هذا الحـوار، وكان أفضل ما أمكنني قوله هو: "يجدر بي القول إنكِ امرأة طيبة، وهذا كل شيء".

قالـت: "هـذا رأي نظري عـن شخص ما، أليـس كذلك؟ كما أنـه مختصر للغايـة. بالإضافة لهذا، ما الطيبة؟ مـن الناحية الأخلاقيـة، كان أفضل شيء فعلته في حياتي خاطئًا دون أدنى شك".

قلت: "حقًّا؟". يا لها من امرأة استثنائية. ثم قررت أن أنتهز الفرصة فقلت لهـا: "بالحديـث عن أنكِ تفعلين عكس ما يرغب الجميـع منكِ في أن تفعليه... أخبرنـي فيكتور ميكن أنـه لن يتحدث معي أحد. أعتقد أنـه سيكون مسرورًا أن امتنعـتِ عن دعوتي إلى كوخكِ لنتناول بعض الشاي ونتحدث للمزيد من الوقت بعيدًا عن الأمطار، ما رأيكِ في هذا؟".

ابتسمـت مارجريت إيرنست، وبـدا أنها أُعجبت بجرأتي، كمـا كنت آمل أن تفعـل. رغـم ذلك، لاحظـت أن عينيها أصبحتـا أكثر حذرًا وقالـت: "أعتقد أن السيـد ميكـن سيكون مسرورًا لو فعلت مثلما يفعل أغلـب سكان القرية ورفضت الدخول إلى داري. إنه يسعد بأية مصيبة تقع لأي شخص كان. يمكننا أن نحزنه بشكل مضاعف إن تمردنا على ما يمليه على الجميع، أليس كذلك؟".

قلت: "حسنًا إذن، لقد قُضي الأمر".

*

قلت، بمجرد أن أُعد الشاي وجلسنا بجانب نار المدفأة في غرفة جلوس مارجريت إيرنست الطويلة الضيقة: "أخبريني بما حدث لكل من باتريك وفرانسيس أيف". كانت تطلق على المكان الذي جلسنا به اسم الغرفة، إلا أنها احتوت على عدد كبير من الكتب لدرجة أن كلمة "مكتبة" كانت ستليق بها أكثر. عُلقت على أحد الحوائط ثلاث لوحات، لوحتان مرسومتان وصورة ضوئية لرجل ذي جبهة واسعة وحاجبين كثين. افترضت أنه زوج مارجريت الراحل، تشارلز. كان من المربك أن أجد ثلاث نسخ منه تحدق بي، لذا أدرت رأسي نحو النافذة. كان المقعد الذي أجلس عليه يطل بشكل جيد على قبر آل أيف، وافترضت أن هذا هو مكان مارجريت الدائم لتقوم بالمراقبة.

من هذه المسافة، لم تكن القصيدة المنقوشة على شاهد القبر ظاهرة، القصيدة التي نسيتها بالكامل عدا البيت الذي يقول: " لأن القذف يهدف دائمًا إلى تشويه الجمال"، والذي غرس نفسه بقوة داخل عقلي.

قالت مارجريت إيرنست: "لا".

قلت: "لا؟ ألن تخبريني بما حدث لكل من باتريك وفرانسيس أيف؟".

قالت: "ليس اليوم، ربما في الغد. هل هناك أية أسئلة أخرى لتطرحها عليّ؟".

قلت: "نعم، ولكن... هل يمكن أن تخبريني عن الفارق بين الآن وغد؟".

قالت: "سأحتاج إلى بعض الوقت للتفكير".

قلت: "الأمر هو ــــــــ".

قالت: "إنك بصدد تذكيري بأنك شرطي وتعمل على الكشف عن غموض قضية قتل، وأنه من واجبي أن أخبرك بكل شيء الآن، ولكن، ما شأن كل من باتريك وفرانسيس أيف بقضيتك؟".

كان عليّ أن أقوم ببعض التفكير والتأخير أنا أيضًا. ولكني كنت متحمسًا لمعرفة ردة فعلها عندما أخبرها بالحقيقة الكاملة والتي لم أخبر فيكتور ميكن بها، والتي، بالتالي، لم تكن لتعلم أي شيء عنها.

قلت: "لقد عُثر داخل أفواه الضحايا الثلاث على أزرار أكمام ذهبية منقوش عليها الحروف الأولى لاسم باتريك أيف: "ب. أ.ج". ثم شرحت لها، كما شرحت لـ بوارو، عن الحرف الأول لاسم العائلة والذي يكون أكبر من الحروف الأخرى ويوضع في المنتصف. على العكس من صديقي البلجيكي، لم تُبدِ مارجريت إيرنست أي اعتقاد حضاري يخالف أسلوب ترتيب الحروف هذا. كما أنه لم تبدُ عليها أية علامات على الدهشة أو الذهول مما أخبرتها به، الأمر الذي وجدته غريبًا.

قلت لها: "هل أدركتِ الآن لم أهتم لأمر باتريك أيف؟".

قالت: "نعم".

قلت: "هل ستخبرينني بكل شيء عنه إذن؟".

قالت: "كما قلت لك: ربما في الغد. هل ترغب في المزيد من الشاي يا سيد كاتشبوول؟".

أخبرتها بأني أرغب في المزيد من الشاي بالفعل، فغادرت الغرفة، وعندما أصبحت وحيدًا، تساءلت عما إذا كان قد فات الأوان على أن أخبرها بأن تناديني إدوارد، وإن لم يكن قد فات الأوان، فكيف سأخبرها بذلك. فكرت في الأمر قليلاً مدركًا بأني لن أقول أي شيء، وسأدعها تناديني باسم السيد كاتشبوول. من بين عاداتي التي لا هدف منها: أني أتساءل عما يجب عليّ فعله عندما يكون ما سأفعله لا يحتاج إلى أي تساؤل.

عندما عادت مارجريت حاملة الشاي، شكرتها وأخبرتها عما إذا كانت تمانع في إخباري بما تعرفه عن هاربيت سيبيل وأيدا جرانسبري وريتشارد نيجوس، وكان التحول في أسلوبها مذهلاً، فلم تحاول أن ترفض أو تماطل، بل وأخبرتني بمعلومات عن اثنتين من ضحايا الجريمة الثلاث تكفي لملء صفحات. الأمر الذي أغضبني، هو أن المفكرة التي أحضرتها معي إلى جريت هولينج كانت

تقبع في واحدة من حقائبي في غرفتي في نزل كينجز هيد، سيكون هذا اختبارًا لقوة ذاكرتي.

قالت مارجريت: "كانت هارييت حسنة المعشر، طبقًا لسجل القرية الهائل الحجم، فقد كانت عطوفة وكريمة ودائمة الابتسام، ودائمة الضحك وتقديم المساعدة لأصدقائها وجيرانها، ولم تكن تفكر في نفسها فقط – كانت امرأة رائعة. كانت تصر على أن تحسن الظن بكل من تقابله، حتى تتمكن من رؤية كل شيء بأفضل ما يمكن. يقال إنها كانت تثق بالجميع بسذاجة. لست واثقة من أنني أصدق كل هذا، فلا يوجد إنسان تم تصويره بمثالية مثلما حدث مع هارييت قبل أن تتغير. أتساءل عما إذا كانت قد تغيرت للنقيض تمامًا...".

قطبت مارجريت حاجبيها وقالت: "ربما لم تكن الحقيقة هي أنها قد تغيرت من النقيض للنقيض، ولكن عندما يخبرك شخص ما بقصتها، فإنه يرغب في أن يبالغ في التحول الذي حدث، أليس كذلك؟ أعتقد أن خسارة الزوج في سن صغيرة للغاية قد يجعل حتى أنقى الطبائع تتغير. كانت هاريت تحب زوجها جورج كثيرًا، كما يُقال، وكان يبادلها القدر نفسه من الحب، ولكنه توفي عام ١٩١١ عن عمر يناهز السابعة والعشرين – سقط ميتًا في أحد الأيام بينما كان يسير في الشارع رغم أنه كان مثالاً للصحة. مات إثر جلطة في المخ، وأصبحت هارييت أرملة وهي لا تزال في الخامسة والعشرين من العمر".

قلت: "يا لها من صدمة تلك التي نزلت عليها كالصاعقة!".

وافقتني مارجريت قائلة: "نعم. إن فقدان كل هذا الحب من شأنه أن يؤثر بشدة على أي شخص. من المثير أن يصفها البعض بأنها ساذجة".

قلت: "لماذا تقولين هذا؟".

قالت: "إن كلمة ساذج تعطيك انطباعًا زائفًا عن مفهوم الحياة الوردية. إن كان المرء يؤمن بتلك الحياة الرائعة ثم تصيبه صدمة هائلة غير متوقعة، فقد يشعر بالغضب والألم إلى جانب الحزن، كما لو أن هناك من خدعه، ولا شك في أنه عندما يعاني المرء بشدة، فمن السهل أن يلقي باللوم على الآخرين ويعاقبهم".

كنت على وشك أن أعبر عن اعتراضي على ما قالته عندما أضافت قائلة: "يجدر بي القول، أن هذا ينطبق على *البعض* وليس على الجميع. أعتقد أنه من الأسهل بالنسبة لك أن تعاقب نفسك يا سيد كاتشبوول، أليس كذلك؟".

قلت مذهولاً: "أتمنى ألا أعاقب أي أحد. هل عليّ إذن أن أقر بأن فقدانها لزوجها كان له تأثير مؤسف على شخصية هارييت سيبيل؟".

قالت: "نعم. أنا لم أعرف هارييت سيبيل الوديعة العطوفة، ولكن هارييت سيبيل التي عرفتها كانت بغيضة وتتظاهر بالورع. وكانت تعامل العالم وكل من فيه على أنهم أعداؤها، وأنهم يستحقون ألا تثق بهم، وبدلاً من أن ترى الخير في العالم، كانت ترى تهديد الشر في كل مكان، وكانت تتصرف كما لو كانت قد تحملت عبء الكشف عنه وهزيمته. إن حضر شخص جديد إلى القرية، كانت تفترض على الفور أنه يخفي أمرًا مريبًا، وكانت تخبر الآخرين بشكوكها، كل من كان يستمع لها، وكانت تشجعهم على البحث عن أدلة على ذلك. ضع أي شخص أمامها وكانت ستبدأ البحث عن مظاهر الشر فيه، وإن لم تجد أيًا منها، فستبتكرها. كانت متعتها الوحيدة بعد وفاة جورج هي إدانة الآخرين بكونهم أشرارًا، وكان هذا يجعلها تشعر بأنها شخص أفضل بشكل ما. فقد كانت عيناها تشرقان بينما كانت تتقصى فعلاً شائنًا قام به شخص ما...".

ارتجفت مارجريت وقالت: "كان الأمر يبدو كما لو كانت، بعد وفاة زوجها، وجدت أمرًا آخر من شأنه أن يثير حماستها، لذا، تعلقت به. ولكنه كان أمرًا مخيفًا ومدمرًا نابعًا عن الكراهية، وليس الحب. الأمر الأسوأ هو أن الجميع التفوا من حولها وكانوا يوافقونها على جميع اتهاماتها الجائرة".

سألتها: "ولم كانوا يفعلون؟".

قالت: "لم يكونوا يرغبون في أن يكونوا ضحاياها التالية، فقد كانوا يعلمون بأن هارييت لم تكن تهدأ دون وجود فريسة تتبعها. أعتقد بأنها لم تكن لتتمكن من أن تعيش لأسبوع كامل دون أن تجد من تركز عليه حقدها".

تذكرت ذلك الشاب ذا النظارات الذي قال لي: "لا يرغب أحد في أن يكون التالي".

قالـت مارجريـت: "كانوا يسعـدون بإدانة أي شخص تصـب عليه تركيزها طالمـا كان هذا يبعدها عنهـم وعما ينوون فعله. كانت هـذه فكرة هاربيت عن الأصدقـاء: مـن ينضم إليهـا في تشويه صورة مـن تعتقد بأنـه مذنب بارتكاب خطيئة، كبرت أم صغرت".

قلت: "إنك تتحدثين عن شخص من المرجح جدًا أن يموت مقتولاً".

قالـت: "حقًـا؟ أعتقـد أن الأشخاص من نوعيـة هاربيت سيبيـل لا يتعرض معظمهـم للقتل". رفعت مارجريت حاجبيها وقالـت: "أرى أنني صدمتك مرة أخـرى يـا سيد كاتشبوول، حيث إنه، كزوجة لرجل ديـن، لا يصح أن أتفوه بمثل هـذه الأمور. إني أحاول أن أكون امرأة جيدة، ولكني بشر، وللبشر نقاط ضعف، ونقطـة ضعفـي هي عدم قدرتي علـى أن أسامح من لا يستطيـع أن يسامح. هل يبدو ما أقوله متناقضًا؟".

قلت: "يبدو كما لو كان تلاعبًا بالألفاظ. هل تمانعين لو سألتكِ أين كنتِ ليلة الخميس الماضي؟".

تنهدت مارجريت ونظرت عبر النافذة وقالت: "كنت هنا كالعادة: أجلس في المقعد الذي تجلس عليه، أراقب المقابر".

قلت: "وحدك؟".

قالت: "نعم".

قلت: "شكرًا لك".

قالت: "هل ترغب في أن أخبرك بما أعرفه عن أيدا جرانسبري الآن؟".

أومـأت برأسي في تردد، فقد كنـت أتساءل عما سأشعر به عندما أعرف أن الضحايـا الثلاث كانوا عبارة عن وحوش آدمية خـلال حياتهم. مرت بخاطري عبـارة: "أتمنى ألا يرقدوا في سلام"، ثم ما حـكاه لي بوارو عن لقائه ب جيني، وإصرارها على أن العدالة ستتحقق أخيرًا بموتها...

قالـت مارجريت: "كانت أيدا متزمتة للغاية، وكانت تدعي الورع تمامًا مثلما كانت تفعـل هاربيت في أفعالهـا الظاهرية، ولكن أيدا كانـت مدفوعة بالخوف والإيمـان بالقواعد التي علينا جميعًا اتباعها بـدلاً من التلذذ بتعذيب الآخرين.

لـم يكن السعي خلف اكتشاف خطايا الآخرين ممتعًا لـ أيدا مثلما كان بالنسبة لـ هارييت، بل كانت تنظر للأمر على أنه واجبها الأخلاقي كامرأة صالحة".

قلت: "عندما كنتِ تتحدثين عن الخوف، هل كنتِ تعنين الخوف من العقاب الإلهي؟".

قالت مارجريت: "نعم، كنت أعني هذا، ولكني لم أكن أعنيه وحده. يضع الناس قواعد تختلف من شخص لآخر، بغض النظر عن ماهية هذه القواعد، فالشخصيات المتمردة مثلي عادة ما تمتعض من القيود، خاصة القيود الملموسة، في حين يرحب آخرون بوجودها وإجبارهم عليها لأنها تجعلهم يشعرون بالأمان والحماية".

قلت: "هل كانت أيدا جرانسبري من النوع الثاني؟".

قالت: "نعم، أعتقد ذلك. لم تكن تقر بهذا، فقد كانت تراعي أن تُظهر نفسها على أنها امرأة مدفوعة بالمبادئ القويمة ولا شيء آخر. لم تكن هناك نقاط ضعف على البشر أن يخجلوا منها، من وجهة نظر أيدا. كم أنا حزينة لأنها ماتت، رغم أنها سببت الكثير من الأذى بينما كانت على قيد الحياة، ولكنها كانت، على العكس من هارييت، تؤمن بالغفران، فقد كانت تسعى لإنقاذ المخطئين على العكس من هارييت التي كانت ترغب فقط في أن تهينهم وتشعر بسموها بالمقارنة بهم. أعتقد بأن أيدا كانت لتسامح المذنبين التائبين. أعتقد أنها كانت تؤمن بأن الله يسامح المخطئين التائبين، الأمر الذي جعلها تنظر للعالم من منظور أفضل".

سألتها: "ما الضرر الكبير الذي سببته أيدا؟، ولمن؟".

كانت نبرة صوتها مرحبة ولكنها حازمة عندما قالت: "عُد غدًا واطرح السؤال نفسه".

قلت: "هل سببته لـ باتريك وفرانسيس أيف؟".

قالت: "غدًا يا سيد كاتشبوول".

سألتها: "ماذا تعرفين عن ريتشارد نيجوس؟".

قالت: "أخشى أني لا أعلم عنه إلا أقل القليل، فقد غادر جريت هولينج بعد فترة قصيرة من وصولي وتشارلز إلى هنا. أعتقد أنه كان رجلاً موثوقًا في القرية – كان رجلاً يستمع له الآخرون ويتبعون نصائحه، ويتحدث الجميع عنه باحترام شديد، عدا أيدا جرانسبري والتي لم تتحدث عنه مطلقًا بعدما هجرها وغادر جريت هولينج".

سألتها: "هل كان إلغاء الزواج قراره أم قرارها؟".

قالت: "قراره".

قلت: "كيف عرفت أنها لم تتحدث عنه بعد مغادرته؟ ربما تحدثت مع الآخرين عنه وليس معكِ؟".

قالت: "لم تكن أيدا لتتحدث معي عن ريتشارد أو أي شيء آخر. ما أخبرتك به عرفته من أمبروز فلاورداي، طبيب القرية، وهو رجل يمكنك أن تعتمد عليه بالكامل. إن أمبروز يسمع أغلب ما يدور في القرية طالما لم ينس أن يترك باب الانتظار في عيادته مواربًا".

قلت: "هل هو الطبيب فلاورداي نفسه الذي عليّ أن أنسى كل شيء عنه؟ أصبح عليّ الآن أن أنسى اسمه الأول أيضًا".

تجاهلت مارجريت تعليقي المزعج وقالت: "أعلم جيدًا أن أيدا جرانسبري قد قررت ألا تتحدث عن ريتشارد نيجوس، بعدما هجرها، مرة أخرى أبدًا. لم تظهر عليها أمارات الاستياء، وعلق الناس على هذا الأمر: كم هي قوية وحازمة، فقد أعلنت أنها ستوفر كل الحب في قلبها من أجل خدمة الناس، فقد أدركت أن نشر حبها على الكثير من الناس أفضل من تخصيصه لرجل واحد".

قلت: "هل سيفاجئك لو أخبرتكِ بأن ريتشارد نيجوس وأيدا جرانسبري قد تناولا شاي ما بعد الظهر معًا في إحدى غرف أحد فنادق لندن ليلة الخميس الماضي؟".

اتسعت عينا مارجريت في ذهول وقالت: "أن أعرف بأنهما قد تناولا الشاي معًا وحدهما – فإن هذا سيفاجئني كثيرًا، فقد كانت أيدا من نوعية النساء اللواتي يضعن لأنفسهن حدودًا صارمة ولا يتعدونها أبدًا، وكان ريتشارد نيجوس

مثلهــا تمامًا؛ ولكــن بعدما قرر ألا يتــزوج من أيدا جرانسبــري، لا أظن أنه من المحتمل أن يكون قد غير رأيه ولا أعتقد أن أيًا من مظاهر الندم أو إعلان حبه لها مرة أخرى من شأنها أن تقنع أيدا بلقائه على انفراد".

بعــد فترة صمــت قصيرة، تابعت مارجريــت حديثها قائلــة: "ولكن، وحيث إن هاربيــت سيبيــل كانت معهما في الفندق نفسه في لنــدن، أفترض أنها كانت حاضرة معهما حفل الشاي ذاته، أليس كذلك؟".

أومأت برأسي أن نعم.

قالــت: "حسنًا إذن، يبدو أنه كان بين ثلاثتهــم أمر ما ليتناقشوا حوله، أمر أكثر أهمية من الحدود التي وضعوها لأنفسهم في الماضي".

قلت: "أنتِ تعلمين ما هو ذلك الأمر، أليس كذلك؟".

حدقت مارجريت إلى شواهد القبور عبر نافذتها وقالت: "ربما سيكون لدي بعض الأفكار بحلول زيارتك لي غدًا".

الفصل ١١

ذكريات

بينما كنت أحاول جاهدًا أن أقنع مارجريت إيرنست، دون طائل، بأن تخبرني بقصة باتريك وفرانسيس أيف، قبل أن تكون مستعدة لذلك، كان هيركيول بوارو يجلس في مقهى بليزانت في لندن يحاول هو أيضًا جاهدًا أن يقنع النادلة في سبرينج بأن تخبره بما لم تتمكن من تذكره.

قالت مرارًا وتكرارًا بضجر متزايد: "لا يمكنني أن أخبرك بأكثر مما أخبرتك به. لقد لاحظت أمرًا غريبًا بشأن جيني في تلك الليلة ولكني أجلته من أجل تقصيه في وقت لاحق، إلا أنه الآن، قد أصبح مدفونًا في مكان ما من عقلي ولا يمكنني إخراجه، ولن يغير إزعاجك لي من الوضع شيئًا، وربما تسببت في ضياعه للأبد. لا شك في أنك لا تتمتع بأي صبر".

قال بوارو: "استمري يا آنسة، من فضلك، في محاولة تذكر الأمر، فربما كان أمرًا مهمًّا".

نظرت في سبرينج من فوق كتفي بوارو نحو الباب وقالت: "إن كنت تسعى خلف الذكريات، فسرعان ما سيجلب لك هذا الرجل بعضًا منها. لقد حضر إلى هنا منذ حوالي الساعة، وقد قاده إلى هنا أحد رجال الشرطة – والذي كان يفسح له الطريق كما لو كان أحد أفراد العائلة المالكة. أعتقد أنه رجل مهم. إنك لم تكن قد وصلت بعد، لذا، أخبرته بأن يعود في وقت لاحق". نظرت إلى

الساعة الموضوعة بين إبريقين للشاي على أحد الرفوف المنحنية فوق رأسها وقالت: "كنت أعلم أنك ستأتي إلى هنا اليوم مرة واحدة على الأقل بحثًا عن جيني منذ أن أخبرتك بأنك لن تعثر عليها".

قال بوارو: "هل أخبرك الرجل باسمه؟".

قالت: "لا، إلا أنه كان مهذبًا ولطيفًا على العكس من ذلك الرجل القذر الذي كان يتحدث بصوتك، والذي لم يكن يصح أن يفعل هذا رغم أنه فعله بمهارة".

قال بوارو: "معذرة يا آنسة، إن الرجل الذي تشيرين إليه – السيد صامويل كيد – لم يكن يتحدث بصوتي بل كان يحاول تقليده لأنه لن يمكن لأي شخص كان أن يتحدث بصوت شخص آخر".

ضحكت في وقالت: "لقد قلد صوتك بمهارة، لم أكن لأفرق بينكما إن كنت مغمضة العينين".

قال بوارو منزعجًا: "إذن فأنت لا تنتبهين حينما يتحدث الناس، فكل منا له نبرة صوت فريدة من نوعها، نغمة تخص كل شخص دون سواه". ومن أجل توضيح وجهة نظره، أمسك بوارو بكوب وقال: "فريد من نوعه مثل القهوة الرائعة التي يقدمها مقهى بليزانت".

قالت في: "إنك تحتسي الكثير منها، مما سيضر بصحتك".

قال بوارو: "من أين جئت بهذه الفكرة؟".

قالت في: "إنك لم تر عينيك يا سيد بوارو، ولكن يمكنني أن أراهما. عليك أن تحتسي كوبًا من الشاي بين كل حين وآخر. إن الشاي ذو مذاق رائع، ولن يضرك أن تحتسي كمًّا كبيرًا منه. إن الشاي مفيد للصحة". بعدما أنهت خطابها، عدلت في من مقدمة مئزرها وقالت: "كما أني أستمع باهتمام عندما يتحدث لي الناس – إلى الكلمات وليس إلى اللهجة. إن ما يهمني هو ما يقوله الناس بغض النظر عما إذا كانت لهجتهم بلجيكية أو إنجليزية".

في اللحظة ذاتها، انفتح باب المقهى وعبره رجل ما، رجل كان يمتلك عينا صقر متربص.

قامت في بلكز بوارو هامسة: "هذا هو الرجل، ولكن دون أن يصاحبه رجل الشرطة".

لم يكن الرجل سوى رافال بوباك، النادل من فندق بلوكسهام والذي قدم شاي ما بعد الظهر إلى كل من هاربيت سيبيل وأيدا جرانسبري وريتشارد نيجوس في تمام السابعة والربع في ليلة مقتلهم. اعتذر بوباك عن التطفل وقال إن لوكا لازاري قد أخبر جميع أفراد طاقمه بأن من يرغب في التحدث مع المحقق الشهير هيركيول بوارو فسيعثر عليه في مقهى بليزانت في ضاحية سانت جريجوري.

بمجرد أن جلسا إلى إحدى الطاولات، سأله بوارو: "ما الذي ترغب في إخباري به؟ هل تذكرت شيئًا جديدًا؟".

قال بوباك: "لقد تذكرت كل ما كان عليَّ تذكره يا سيدي، اعتقدت أنه من الأفضل أن أخبرك به على الفور بينما لا يزال عقلي حاضرًا. لقد عرفت بالفعل بعضًا مما تذكرت، ولكني واصلت محاولة التذكر مرارًا وتكرارًا، ومن المذهل كم التفاصيل التي يمكنك أن تتذكرها مع إعادة التفكير".

قال بوارو: "بلا أدنى شك يا سيدي. من الضروري أن تجلس ساكنًا دون حراك، وتترك خلايا المخ الرمادية تؤدي عملها".

قال بوباك: "كان السيد نيجوس هو من تسلم الوجبة مني كما أخبرتك من قبل يا سيدي، وكانت السيدتان تتحدثان عن امرأة ورجل، كما أخبرتك في الفندق. كان الأمر يبدو كما لو كان الرجل قد هجرها بسبب كبر سنها أو فقدان الاهتمام بها لسبب أجهله. على الأقل، كان هذا ما فهمته يا سيدي، ولكني تمكنت من تذكر القليل مما قيل أمامي يا سيدي، ويمكنك أن تحكم على الأمر بنفسك".

قال بوارو: "هذا رائع".

قال بوباك: "حسنًا يا سيدي، أولاً، تذكرت ما قالته السيدة هاربيت سيبيل: "لم يكن أمامها خيار، أليس كذلك؟ إنها لم تعد تلك التي يخبرها بأسراره، إنه لم يعد يهتم بها الآن – لقد أهملت نفسها، كما أنها تكبره سنًا بكثير لدرجة أنها

تصلح لأن تكون والدته. لا، إن كانت ترغب في أن تعلم ما يدور بعقله، فلا خيار أمامها سوى أن تعقد صداقة مع المرأة التي يأتمنها على أسراره، وأن تتحدث إليها؛ بعد أن قالت هذه الكلمات، انفجرت السيدة سيبيل ضاحكة، ولم تكن بالضحكة المحببة، بل كانت حقودة كما أخبرتك في الفندق".

قال بوارو: "أكمل من فضلك يا سيد بوباك".

قال بوباك: "سمع السيد نيجوس ما قالته، لأنه التفت نحوها – وكنا نتبادل الدعابات – ثم قال: هارييت، هذا ليس عدلاً. إن أيدا تُصدم بسهولة، ارفقي بها. ثم قالت هارييت سيبيل أو المرأة الأخرى، أيدا جرانسبري *أمرًا ما*، ولكني لم أستطع تذكره على الإطلاق، أنا آسف".

قال بوارو: "لا داعي للأسف، فرغم أن ما تذكرته غير كامل، إلا أنني واثق تمام الثقة في أنه سيكون بالغ الأهمية".

قال بوباك مترددًا: "آمل هذا يا سيدي. الأمر الآخر الذي تذكرته كلمة بكلمة حدث بعد عدة دقائق، بينما كنت أضع وجبة النزلاء الثلاثة على الطاولة، حين قال السيد نيجوس للسيدة سيبيل: "يدور بعقله؟ أراهن على أنه لا عقل له، كما أنني أختلف معكِ فيما قلته عن أنها في عمر والدته؛ أختلف معكِ تمامًا"؛ فضحكت السيدة سيبيل وقالت: "حسنًا، لا يمكن لأي منا أن يثبت أنه على حق، دعنا إذن نتفق على ألا نتفق!" وكان هذا آخر شيء سمعته قبل أن أغادر الغرفة يا سيدي".

غمغم بوارو: "أراهن على أنه لا عقل له".

قال بوباك: "أيًا كان ما يتحدثون عنه يا سيدي، لم يكونوا يتحدثون عنه بصورة ودية، لقد كانوا يضمرون شرًا لتلك المرأة التي كانوا يتحدثون عنها".

قال بوارو: "شكرًا جزيلاً لك سيد بوباك، لقد ساعدتني كثيرًا. أنا أعلم الكلمات التي قالوها بينما كانوا معًا، بل والكثير منها، أكثر مما كنت آمل".

قال بوباك: "أتمنى لو تمكنت من تذكر بقية التفاصيل يا سيدي".

حاول بوارو أن يقنع بوباك بأن يبقى معه قليلاً ويتناول كوبًا من أحد المشروبات التي يقدمها المقهى، ولكن النادل كان مصرًا على العودة إلى فندق

بلوكسهام في أسرع وقت ممكن وألا يستغل معاملة السيد لازاري الجيدة له بشكل سيئ.

رفضت في سبرينج، والتي أعلنت نفسها وصية على صحة بوارو، أن تقدم له قدحًا آخر من القهوة، فقرر بوارو العودة إلى منزل بلانش أنسوورث. سار بوارو ببطء متثاقلاً عبر شوارع لندن المزدحمة، بينما كانت الأفكار تدور في عقله بسرعة كبيرة. بينما كان يسير، أعاد بوارو التفكير في الكلمات التي قالها له بوباك: " إنه لم يعد يهتم بها الآن... إنها تكبره سنًا بكثير لدرجة أنها تصلح لأن تكون والدته... يدور بعقله؟ أراهن على أنه لا عقل له... أختلف معك فيما قلته عن أنها في عمر والدته... حسنًا، لا يمكن لأي منا أن يثبت أنه على حق...".

كان لا يزال يهمس لنفسه بهذه العبارات حين وصل إلى سكنه المؤقت، حيث هرعت بلانش أنسوورث نحوه بمجرد أن خطا إلى المنزل قائلة: "بم تهمس لنفسك يا سيد بوارو؟ يبدو الأمر كما لو أن هناك اثنين منك!".

نظر بوارو إلى جسده ورأى أن شكله يميل إلى البدانة وقال: "آمل ألا أكون قد تناولت الكثير من الطعام لدرجة أن حجمي قد تضاعف يا سيدتي".

قالت بلانش أنسوورث بصوت خافت وهي تقترب منه لدرجة أنه اضطر لأن يلتصق بالحائط متجنبًا لمسها: "لا، أعني أن هناك اثنين منك يتحدثان، لقد حضر رجل يطلب مقابلتك، وصوته يشبه صوتك *تمامًا*. إنه ينتظرك في غرفة الاستقبال، يبدو أنه زائر من بلجيكا، بلدك، ولكنه رجل قذر الملابس، ولكني سمحت له بالدخول طالما لا تنبعث منه رائحة كريهة، كما أني لم أرغب في خذلان أحد معارفك يا سيد بوارو. أعتقد أن أسلوب الملبس يختلف من دولة لأخرى. لا شك في أن الفرنسيين هم من يرتدون الملابس الأنيقة، أليس كذلك؟".

قال بوارو: "إنه ليس أحد أقربائي، إن اسمه صامويل كيد وهو إنجليزي مثلك تمامًا يا سيدتي".

قالت بلانش أنسوورث: "هناك جروح تملأ وجهه، وقال لي إنه جرح نفسه بينما كان يحلق لحيته، أعتقد أنه ليس ماهرًا في الحلاقة، الرجل المسكين. أخبرته بأني سأضع له شيئًا يساعد الجروح على الالتئام، ولكنه ضحك مني ساخرًا".

قطب بوارو حاجبيه وقال: "جروح تملأ وجهه؟ إن السيد كيد الذي قابلته في مقهى بليزانت يوم الجمعة الماضي كان لديه جرح واحد في وجهه، على الجانب الذي حاول أن يحلقه. أخبريني، هل لدى الرجل الذي يجلس في غرفة الاستقبال لحية؟".

قالت: "لا، لا يوجد في وجهه شعر عدا حاجبيه، كما أنه لا يوجد الكثير من الجلد على وجهه أيضًا. أرجو أن تعلمه كيف يحلق لحيته دون أن يمزق وجهه يا سيد بوارو، آسفة"، ثم وضعت يدها على فمها وقالت: "لقد قلت إنه ليس أحد أقربائك، أليس كذلك. ما زلت أظنه بلجيكيًا، لقد كان يتحدث مثلك تمامًا، لذا اعتقدت أنه ربما كان أخاك الصغير. إنه في حوالي الأربعين من عمره، أليس كذلك؟".

شعر بوارو بالإهانة من أن هناك من قد يعتقد بأن صامويل كيد القذر أحد أقربائه، فقطع حديثه مع بلانش أنسوورث فجأة وتوجه نحو غرفة الاستقبال.

داخل الغرفة، وجد بوارو من قيل له بأنه ينتظره فيها: رجل — الرجل نفسه الذي التقاه في مقهى بليزانت يوم الجمعة الماضي — والذي تمكن من حلاقة لحيته بالكامل وجرح نفسه بشدة بينما كان يفعل.

نهض صامويل كيد واقفًا على قدميه وقال: "مساء الخير يا سيد بوارووو. أراهن على أني تمكنت من خداعها، أليس كذلك؟ لذا سمحت لي بالدخول. هل اعتقدت بأني أحد معارفك من بلدك؟".

قال بوارو: "مساء الخير يا سيد كيد. أرى أن هناك أمرًا مؤسفًا قد حدث لك منذ التقينا المرة السابقة".

قال كيد: "أي أمر مؤسف؟".

قال بوارو: "تلك الجروح على وجهك".

قال كيد: "نعم، أنت محق يا سيدي، في الواقع، لا يمكنني تخيل وجود شفرة حادة بالقرب من عيني، حيث إني أعتقد أنها قادرة على اختراق مقلة عيني بسهولة، لذا، ترتعش يدي كلما فكرت في هذا. أنا ممن يهتمون بالأعين كثيرًا، وحاولت أكثر من مرة أن أحول تفكيري إلى أمر آخر، ولكنني أفشل في كل مرة، وينتهي بي الأمر ممزقًا وجهي كما ترى".

قال بوارو: "فهمت. هل لي أن أسألك: كيف علمت أنك ستعثر عليّ في هذا العنوان؟".

قال كيد: "قال السيد لازاري إن الشرطي ستانلي بيير قال إن السيد كاتشبوول يقيم هناك، وأنك أيضًا تقيم هنا. آسف على إزعاجك في مكان إقامتك، ولكني أحمل أخبارًا جيدة من أجلك واعتقدت أنك ستود سماعها على الفور".

قال بوارو: "أية أخبار؟".

قال كيد: "المرأة التي أوقعت المفتاحين، والتي رأيتها تعدو خارجة من الفندق بعد وقوع جرائم القتل... لقد تذكرت من تكون. لقد تذكرت بينما كنت أقرأ جريدة الصباح. أنا لا أقرأ الجرائد عادة".

قال بوارو: "من السيدة التي رأيتها يا سيدي؟ أنت محق، إن بوارو يرغب في أن يعرف اسمها على الفور".

مرر كيد طرف أصبعه على جرح تسيل منه الدماء على خده الأيسر قائلاً: "يبدو لي أنه لا يوجد وقت كاف لقراءة أية أخبار عن حياة الآخرين وأن تعيش حياتك في الوقت ذاته. إن تسنى لي الاختيار فسأختار أن أعيش حياتي بدلاً من قراءة أي شيء عن أي شخص كان. ولكن كما قلت لك، كنت أتصفح الجريدة هذا الصباح لأني أردت أن أرى إن كانت الصحف قد نشرت أي شيء عن جرائم القتل التي حدثت في فندق بلوكسهام".

قال بوارو محاولاً أن يحافظ على صبره: "نعم، وماذا رأيت؟".

قال كيد: "نعم، كانت هناك الكثير من الأخبار عن جرائم القتل، وكان أغلبها يقول إن الشرطة لم تحرز الكثير من التقدم وتطلب من أي شخص يعلم أي شيء عن الجرائم أن يتقدم ليخبرها به. كما تعلم يا سيد بوارو، فقد تقدمت

أنــا وأخبرتكــم بما أعرفــه، ولكن، كما قلت لــك في ذلك اليوم، لــم أتمكن من معرفة اسم المرأة في البداية، ولكني أعلمه الآن".

قــال بــوارو: "هذه أخبار رائعة يا سيد كيد. سيكــون من الرائع أن تضع اسم المرأة في الجملة التالية التي تتفوه بها حتى أعرفه".

قــال كيد: "كان هذا حيث رأيتها: صورتها في الصحف. لهذا جعلني تصفح الجريدة أفكر فيها، إنها امرأة شهيرة يا سيدي، اسمها نانسي دوكاين".

اتسعت عينا بوارو وقال: "نانسي دوكاين الفنانة؟".

قال كيد: "نعم يا سيدي، إنها بعينها، أقسم على هذا. إنها رسامة، كما أنها تمتلــك وجهًــا يستحق أن يُرسم، ربمــا لهذا السبب استقــر وجهها في ذاكرتي، حيــث قلت لنفسي: سامي، إنهــا نانسي دوكاين تلك التــي رأيتها تخرج مسرعة مــن فندق بلوكسهام في ليلة وقوع جرائــم القتل: وقد حضرت لك الآن لأخبرك بهذا".

الفصل ١٢

الجرح العميق

في اليوم التالي، شددت الرحال، بعد الإفطار مباشرة، إلى كوخ مارجريت إيرنست الذي يقع بجوار دار عبادة هولي سباينتس في قرية جريت هولينج. وجدت باب الكوخ مواربًا فطرقته برفق حتى لا أدفعه فينفتح.

لم أتلق أية إجابة، فطرقت الباب مرة أخرى بقوة أكبر مناديًا: "سيدة إيرنست؟ مارجريت؟".

ولكني لم أسمع شيئًا سوى الصمت.

لم أعلم سبب عدم ردها عليّ، ولكني استدرت عندما شعرت بحركة من خلفي، ولكن ربما كان صوت الريح يتخلل الأشجار وليس أكثر.

دفعت الباب فاتحًا إياه والذي أصدر صوت صرير، وكان أول ما وقعت عليه عيناي، وشاح ملقى على أرضية المطبخ الحجرية: وشاح حريري منقوش يحمل مزيجًا من اللونين الأزرق والأخضر. ما الذي يفعله هناك؟ أخذت نفسًا عميقًا وكنت بصدد التعمق داخل الكوخ أكثر عندما سمعت صوتًا يقول: "تفضل يا سيد كاتشبوول"، وكدت أن أقفز من مكاني هلعًا.

ظهرت مارجريت إيرنست من داخل المطبخ وقالت مبتسمة وهي تلتقط الوشاح من على الأرض: "لقد كنت أبحث عنه. كنت أعلم أنك الطارق، لذا تركت الباب مفتوحًا. في الواقع، كنت أنتظر وصولك منذ خمس دقائق مضت،

ولكني أعتقد أن تمام التاسعة صباحًا يدل على اللهفة الشديدة، أليس كذلك؟"، أشارت لي بالدخول بينما كانت تلف الوشاح حول رقبتها.

كنت أشعر بشيء من السخرية يغلف كلماتها — إلا أني لم أكن أعتقد أنها تتعمد إهانتي — مما دعاني لأن أكون أكثر جرأة مما هو من المفترض، حيث قلت لها: "أنا متلهف لمعرفة الحقيقة، ولا أمانع في السعي وراءها. من قد يرغب في قتل كل من هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري وريتشارد نيجوس؟ أعتقد أنكِ تمتلكين فكرة عن الأمر وأود أن تخبريني بها".

قالت: "ما هذه الأوراق؟".

قلت: "ماذا؟"، كنت قد نسيت أني أحمل أوراقًا في يدي، "قوائم بأسماء نزلاء فندق بلوكسهام في الوقت الذي وقعت فيه الجرائم، وأسماء موظفي فندق بلوكسهام. كنت أتساءل عما إذا كنت تمانعين لو تلقين عليها نظرة وتخبريني بأية أسماء قد تجدينها مألوفة — بعد أن تجيبيني عن السؤال: من قد يود قتل ــــــــ".

قالت مارجريت: "نانسي دوكاين"، وكانت قد أخذت القوائم من بين يدي وبدأت تقرؤها مقطبة جبينها.

قلت لها الكلمات نفسها التي قالها بوارو إلى صامويل كيد في اليوم السابق، إلا أني لم أكن أعلم حينها أنه قالها: "نانسي دوكاين الفنانة؟".

قالت: "انتظر قليلاً"، وقفنا صامتين بينما كانت مارجريت تقرأ القوائم، ثم قالت: "إن أيًا من هذه الأسماء ليس مألوفًا بالنسبة لي".

قلت: "هل تعنين أن نانسي دوكاين — نانسي دوكاين التي أعرفها، الرسامة الشهيرة — لديها دافع لقتل كل من هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري وريتشارد نيجوس؟".

طبقت مارجريت الورقتين وأعادتهما لي، ثم أشارت لي لكي أتبعها إلى داخل الكوخ. بمجرد أن جلسنا في نفس المقعدين اللذين جلسنا فيهما في اليوم السابق، بادرتني قائلة: "نعم، نانسي دوكاين الرسامة الشهيرة. إنها الشخص

الوحيد الذي يمكنني التفكير فيه والذي يملك كلًا من الدافع لقتل كل من هارييت وأيدا وريتشارد، والمقدرة على فعل ذلك والإفلات من العقاب. لا يجب أن تشعر بهذا القدر من الذهول يا سيد كاتشبوول، إن المشاهير ليسوا معصومين من أن يكونوا أشرارًا، إلا أني لا أعتقد أن نانسي قد تُقدم على اقتراف أمر كهذا، فقد كانت امرأة متحضرة عندما كنا صديقتين، ولا يمكن لأي شخص كان أن يتغير بهذه الطريقة المبالغ فيها. لقد كانت امرأة شجاعة".

لم أنبس ببنت شفة. المشكلة كانت في أن بعض القتلة يكونون متحضرين في أغلب الأوقات ولكنهم يشذون عن نمط التحضر مرة، ليرتكبوا جرائم القتل.

قالت مارجريت: "لم أستطع النوم ليلة البارحة بسبب تفكيري فيما إذا كان والتر ستوكلي هو من ارتكب الجريمة، ولكن لا، هذا مستحيل، إنه لا يستطيع الوقوف دون مساعدة، ناهيك عن ذهابه إلى لندن ليرتكب ثلاث جرائم قتل. هذا أمر يتعدى إمكاناته".

ملت إلى الأمام في جلستي وقلت لها: "والتر ستوكلي؟ هل هو ذلك الرجل السكير الذي تحدثت معه في كينجز هيد البارحة؟ لماذا قد يرغب في قتل كل من هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري وريتشارد نيجوس؟".

قالت: "لأن فرانسيس أيف كانت ابنته"، ثم استدارت لتلقي نظرة على قبر آل أيف، ومرة أخرى عاد ذلك البيت من قصيدة شكسبير ليتردد داخل عقلي: *لأن القذف يهدف دائمًا إلى تشويه الجمال.*

قالت مارجريت: "كنت لأسعد إن كان والتر هو من ارتكب جرائم القتل. هذا أمر من السيئ قوله، أليس كذلك؟ كنت سأرتاح إن لم تكن نانسي هي من فعلتها. إن والتر رجل مسن ولن يعيش أكثر مما عاش، ولكني لا أرغب في أن تكون نانسي هي القاتلة. لقد قرأت في الصحف كيف تبلي نانسي كرسامة. لقد تركت القرية وكونت لنفسها سمعة رائعة، الأمر الذي أراحني كثيرًا. لقد سعدت بالتفكير في نجاحها الباهر في لندن".

قلت: "تركت القرية؟ هل كانت نانسي دوكاين تعيش هنا في جريت هولينج في وقت ما؟".

قالت مارجريت إيرنست تنظر عبر النافذة وهي تقول: "نعم، حتى عام ١٩١٢".

قلت: "هل غادرت القرية في العام نفسه الذي توفي فيه كل من باتريك وفرانسيس أيف وغادر فيه ريتشارد نبجوس القرية".

قالت: "نعم".

انحنيت إلى الأمام محاولاً أن ألفت انتباهها بعيدًا عن شاهد قبر آل أيف وقلت: "مارجريت... أرجو أن تخبريني بقصة باتريك وفرانسيس أيف، فأنا على يقين من أني بمجرد أن أستمع للقصة، ستتضح أمامي الكثير من الأمور الغامضة بالنسبة لي في الوقت الحالي".

أدارت عينيها الثاقبتين نحوي وقالت: "لقد قررت أن أقص عليك قصتهما على شرط واحد: ألا تقصها على أي شخص من أهل القرية. ما سأخبرك به في هذه الغرفة يجب ألا تتحدث عنه مع أحد حتى تصل إلى لندن، وهناك، يمكنك أن تخبر من تود إخباره".

قلت: "لا تقلقي، إن فرصة التحدث مع أي شخص في جريت هولينج محدودة للغاية. إن الجميع يفرون بعيدًا بمجرد رؤيتي". حدث هذا الأمر مرتين بينما كنت في طريقي إلى كوخ مارجريت إيرنست هذا الصباح، أحدهما كان طفلاً لا يتعدى العاشرة من عمره، مجرد طفل، لكنه كان يعلم من أنا، لذا، كان عليه أن ينظر بعيدًا ويمر بي مسرعًا ليصل إلى بر الأمان. شعرت بأنه يعلم اسمي وكنيتي وسبب حضوري للقرية. إن القرى الريفية الصغيرة تتمتع بشيء تفتقده لندن: إنهم قادرون على تجاهل رجل ما حتى يشعر بأنه ذو أهمية كبيرة.

قالت مارجريت: "أنا أطلب منك وعدًا صريحًا يا سيد كاتشبوول – ليس مراوغة".

قلت: "وما داعي السرية؟ ألا يعلم جميع من في القرية بأمر آل أيف وما حدث لهما؟".

ما قالته مارجريت بعد ذلك كشف عن أنها ليست قلقة سوى على شخص واحد من سكان القرية، حيث قالت: " بمجرد أن تسمع ما سوف أقوله لك سوف ترغب بدون أي شك في التحدث مع دكتور أمبروز فلاورداي."

قلت: " الرجل الذي تلحين عليّ أن أنساه، ومع ذلك تذكرينني به مرارا وتكرارا؟".

احمرت وجنتاها وقالت: "يجب أن تعدني بالا تبحث عنه، وإن تصادف والتقيت به، لا تثر أمامه موضوع باتريك وفرانسيس أيف. إن لم تعدني بذلك، فلن أخبرك بأي شيء".

قلت: "لست واثقًا من أني سأتمكن من ذلك. بم سأخبر رئيسي في سكوتلانديارد؟ لقد أرسلني إلى هنا لأطرح الأسئلة".

عقدت مارجريت إيرنست ذراعيها أمام صدرها وقالت: "حسنًا إذن، نحن في وضع صعب".

قلت: "افترضي أني التقيت بالطبيب فلاورداي وطلبت منه أن يقص عليّ القصة بدلاً منكِ؟ إنه يعرف آل أيف، أليس كذلك؟ لقد أخبرتني بالأمس بأنه، على العكس منكِ، كان يعيش في جريت هولينج بينما كانوا لا يزالون على قيد الحياة".

بدا الخوف باديًا في عينيها وهي تقول: "لا، لا تتحدث مع أمبروز من فضلك. إنك لن تفهم، لن تفهم".

قلت: "مم تخافين يا مارجريت؟ إنكِ تبدين لي امرأة نزيهة، ولكن... حسنًا، لن يمكنني التوقف عن البحث إن كنتِ تتعمدين ألا تخبريني بالحقيقة كاملة".

قالت: "سأخبرك بالحقيقة كاملة ولن أنتقص منها شيئًا".

صدقتها لسبب أجهله، وقلت: "حسنًا إذن، إن لم تنوي أن تخفي عني ولو جزءًا يسيرًا من الحقيقة، فلم لا يجب عليّ أن أتحدث مع أي شخص كان عن باتريك وفرانسيس أيف؟".

نهضت مارجريت واقفة، وسارت نحو النافذة وألصقت جبهتها بزجاجها وحال جسدها بيني وبين رؤية شاهد قبر آل أيف، وقالت بهدوء: "ما حدث هنا

عام ١٩١٣ ترك جرحًا عميقًا في هذه القرية. لم ينج أي ممن كانوا يعيشون هنا منه. فقد انتقلت نانسي دوكاين إلى لندن بعد ذلك مباشرة، وغادر ريتشارد نيجوس إلى ديفون، ولكن لم ينج أي منهما. فقد حملا الجرح معهما أينما ذهبا. لم يكن الجرح ظاهرًا على بشرتهما أو أي من أجزاء جسديهما، ولكنه كان موجودًا. إن الجروح التي لا يمكن رؤيتها هي الأعمق على الإطلاق، وأولئك الذين بقوا في القرية، مثل أمبروز فلاورداي - كان الأمر صعبًا عليهم أيضًا. لا أعلم إن كانت جريت هولينج ستُشفى من ذلك الجرح، ولكني أعلم أنها لم تُشف بعد".

ثم التفتت نحوي وقالت: "لا يتم التحدث عن هذه المأساة يا سيد كاتشبوول، ليس مع أي أحد هنا بشكل مباشر. فأحيانًا ما يكون الصمت أفضل الحلول، الصمت والنسيان، إن تمكن المرء من النسيان". وكانت تعقد أصابع يديها وتباعدها.

قلت: "هل تخشين من تأثير سؤالي على الطبيب فلاورداي؟ هل يحاول النسيان؟".

قالت: "كما قلت لك: النسيان مستحيل".

قلت: "ولكن... هل ستكون إثارة الموضوع مؤلمة بالنسبة له؟".

قالت: "نعم، للغاية".

قلت: "هل هو من أصدقائك المقربين؟".

قالت بحدة: "هذا الأمر لا يخصني من قريب أو بعيد. إن أمبروز رجل طيب ولا أحب أن يزعجه أحد. لم لا توافق على ما أطلبه منك؟".

قلت مترددًا: "حسنًا، أعدك. لن أتحدث عما ستخبرينني به مع أي من سكان القرية". بعدما قطعت الوعد على نفسي، وجدت نفسي آمل أن يواصل سكان جريت هولينج تجاهلي كما يفعلون حتى الآن، وألا يغرونني بالتحدث معهم. وقد يتعثر حظي بأن أخرج من الكوخ وألتقي بالطبيب فلاورداي الثرثار والذي سيكون راغبًا في الثرثرة معي.

من لوحاته الثلاث المعلقة على الحائط، ألقى تشارلز إيرنست الراحل نظرة تحذيرية عليَّ كأنه يقول: "اخلف بوعدك لزوجتي وستندم أيها الوغد".

سألت مارجريت قائلاً: "ماذا عن راحة بالك أنتِ؟ إنكِ لا ترغبين في أن أتحدث مع الطبيب فلاورداي حتى لا أضايقه، ولكني أخشى أن تشعري أنتِ بالضيق جراء التحدث في هذا الأمر. إني لا أرغب في أن أسبب أي ضيق لكِ".

تنهدت مارجريت في راحة وقالت: "جيد. الحقيقة هي أني أرغب في أن أقص القصة على سمع شخص غريب عن هذه القرية مثلي".

قلت: "قصيها عليَّ من فضلك".

أومأت برأسها وعادت لتجلس على مقعدها، وبدأت تقص قصة باتريك وفرانسيس أيف، والتي استمعت إليها دون أن أصدر أية مقاطعات، وسأدون كل كلمة تقولها هنا في هذه المفكرة.

*

الشائعة التي تسببت في حدوث المشكلة منذ ستة عشر عامًا صدرت من خادمة كانت تعمل في منزل السيد باتريك أيف المبجل، رجل الدين الشاب لقرية جريت هولينج، وزوجته فرانسيس. رغم نشرها الشائعة، لم تكن الخادمة وحدها هي المسئولة الرئيسية عن تلك المأساة. كانت قد كذبت كذبة شائنة، ولكنها قالتها لشخص واحد فقط، ولم تشارك في نشرها في جميع أنحاء القرية. بمجرد أن بدأت الأحداث المؤسفة، توارت الخادمة عن الأنظار وكان من النادر رؤيتها. قال البعض إنها كانت تشعر بالخجل مما تسببت به، وكان هذا ما تشعر به بالفعل. بعد ذلك، شعرت بالندم على مشاركتها في الأمر وبذلت أقصى ما في وسعها من أجل أن تصلح الأمر، ولكن بعد فوات الأوان.

لا شك في أنها كانت امرأة شريرة للغاية لتبتكر كذبة بهذا الحجم وتقولها ولو حتى لشخص واحد: ربما كانت تشعر بالغضب بعد قضاء يوم عمل صعب في منزل رجل الدين، أو ربما كانت تحقد على آل أيف، كونها خادمة ترى نفسها

في منزلة أعلى مما هي عليه. ربما كانت ترغب في إضفاء جو من الحماسة على حياتها الكئيبة بواسطة بعض من النميمة الحاقدة، وكانت ساذجة في اعتقادها بأنه لن يقع ضرر كبير جراء كذبتها.

لسوء الحظ، كان الشخص الذي اختارته لتسر له بكذبتها، هارييت سيبيل، ربما كان اختيارها لـ هارييت متوقعًا، فقد كانت هارييت ساخطة ومحبة للانتقام من الجميع منذ وفاة زوجها، حيث اعتقدت الخادمة أنها ستتقبل كذبتها بحماسة كبيرة وستصدقها على الفور لأنها سترغب في أن تصدقها دون أدنى شك. كان هناك شخص ما في القرية يرتكب فعلاً مشينًا، والأمر الأسوأ (أو الأفضل، من وجهة نظر هارييت) أن هذا الشخص هو رجل الدين. لابد وأن عينيها كانتا تلمعان من فرط السعادة. نعم، كانت هارييت هي الشخص المثالي الذي سيتقبل قصة الفتاة الافترائية، ولهذا السبب اختارتها.

قالت الخادمة لـ هارييت إن باتريك أيف يقوم بالاحتيال على العامة بأشد الأساليب قسوة وتدنيسًا للمعتقدات الدينية: ادعت بأنه كان يجتذب القرويين إلى منزله في وقت متأخر من الليل بينما تكون زوجته فرانسيس في مكان ما، كعادتها، تقدم يد المساعدة لسكان القرية، ويستولي على أموالهم مقابل تحضير أرواح أقربائهم الراحلين – وأن يخبرهم برسائل من العالم الآخر وثقت أرواح الموتى في رجل الدين ليوصلها لهم.

أخبرت هارييت كل من قد يستمع لها بأن باتريك كان يزاول الدجل على الكثير من القرويين، ولكن ربما كان هذا محاولة منها للتضخيم من الأمر حتى تجعل من قصتها قصة صادمة. أصرت الخادمة فيما بعد على أنها ذكرت لـ هارييت اسم شخص وقع ضحية الاحتيال: نانسي دوكاين.

لم تكن دوكاين حينها قد أصبحت تلك الرسامة الشهيرة بعد، بل كانت مجرد امرأة عادية، وكانت قد انتقلت إلى جريت هولينج عام ١٩١٠ مع زوجها ويليام عندما قبل وظيفة مدير لمدرسة القرية. كان ويليام يكبر نانسي بكثير، فقد كانت في الثامنة عشرة من عمرها عندما تزوجا، وكان هو في الخمسين من عمره، وتوفي في عام ١٩١٢ جراء مرض في الجهاز التنفسي.

طبقًا للشائعات المغرضة التي نشرتها هارييت سيبيل في شهر يناير من عام ١٩١٣، والـذي حاصرتنا الثلوج خلاله، شوهدت نانسي تدخل وتخرج من منزل رجـل الدين خـلال الليل عدة مرات، عـادة عندما يخيم الظـلام وعلى وجهها أمارات السرية، خاصة في الليالي التي تغيب فيها فرانسيس عن المنزل.

كان أي شخص يتمتع بأقل قدر من العقل سيشك في القصة، فمن المستحيل ملاحظـة أمارات السرية على وجه أحـد، أو أية أمارات على الإطلاق، في عتمة الليـل. من الصعب أن تحـدد هوية أية امرأة تغادر منـزل رجل الدين في عتمة الليـل إلا إن كانـت ذات أسلوب مميـز في السير، ولم تكـن نانسي دوكاين ذات أسلـوب مميـز فـي السير، ولكن مـن المرجح أن من رآها خلال تلـك المرات المتعددة قد تبعها حتى منزلها ليكتشف هويتها.

من الأسهل على المرء أن يصدق قصة يرويها شخص أكثر منه تعصبًا على أن يتحداه، وهذا ما فعله أغلب سكان جريت هولينج، فقد كانوا سعداء بتصديق الشائعـة والانضمـام إلـى هارييت في اتهـام باتريك أيف بتدنيـس المعتقدات الدينية والابتزاز. صدق أغلبهـم (أو تظاهروا بالتصديق تفاديًا لنقمة هارييت عليهـم) أن باتريك أيف كان يعمل سرًّا كوسيط روحي بين عالم الأحياء وأرواح الموتـى، ويتقاضى أموالًا من القرويين السـذج مقابل هذا. صدق سكان القرية أن نانسـي دوكاين لم تكن لتقاوم إغراء حصولها على رسالة من زوجها الراحل ويليـام، خاصة وإن جاء العرض مـن رجل الدين بالقرية، ونعم، ستدفع مبلغًا كبيرًا من المال مقابل هذا الأمر.

نسـي القرويون أنهم كانوا يعرفـون باتريك أيف جيـدًا ويحبونه ويثقون به، وتجاهلـوا ما يعرفونه عنه من استقامة وطيبة، وتناسوا استمتاع هارييت سيبيل باتهام كل من هب ودب بأنه آثم. كانوا قد علقوا في حملتها الحقود على باتريك خوفًـا من نقمتها عليهم، ولكن لم يكن هذا هو الأمر الوحيد الذي أقنعهم، فقد كان الأمـر الأكثـر تأثيرًا عليهم هو أنـه كان هناك شخصـان يدعمان ما قالته هارييت: ريتشارد نيجوس وأيدا جرانسبري.

كانت أيدا معروفة بأنها أكثر نساء القرية ورعًا، ولم يهتز إيمانها أبدًا، ونادرًا ما كانت تتفوه بأي شيء دون أن تقتبس كلماتها من الكتب الدينية. كان الجميع يحترمونها ويقدرونها، ولكنها لم تكن المرأة التي تستعين بها إن كنت ترغب في إحداث الكثير من البلبلة. كانت بعيدة كل البعد عن كونها رفيقة سوء، بل كانت أكثر نساء القرية ورعًا وتدينًا. كما أنها كانت مخطوبة إلى ريتشارد نيجوس، المحامي الذي كان يقال عنه إنه رجل عبقري.

منحت عبقرية ريتشارد وشخصيته القيادية الاحترام بين جميع من يسكنون القرية. صدق ريتشارد الكذبة عندما أخبرته هارييت بها لأنها كانت تنطبق على ما رآه بعينيه، فقد تصادف أن رأى، هو أيضًا، نانسي دوكاين — أو امرأة ربما تكون نانسي دوكاين — تغادر منزل رجل الدين في منتصف الليل أكثر من مرة في الأوقات التي كان الجميع يعرفون أن زوجته قد ذهبت لزيارة والدها، أو ذهبت إلى منزل أحد سكان القرية.

صدق ريتشارد نيجوس الشائعة، كما صدقتها أيدا جرانسيري أيضًا، والتي شعرت بصدمة شديدة من فكرة أن باتريك أيف، رجل الدين، قد يرتكب فعلًا مدنسًا للمعتقدات الدينية مثل هذا، وسعت، إلى جانب كل من هارييت وريتشارد، لإزاحة باتريك أيف من منصبه كرجل دين جريت هولينج، بل وإيقافه عن العمل تمامًا، حيث طلبوا منه أن يخرج على الملأ ويعترف بما اقترفه من ذنب، ولكنه رفض فعل ذلك لأن تلك الشائعات لم تكن حقيقية.

سرعان ما زادت كراهية القرويين لـ باتريك لتشمل زوجته فرانسيس، حيث قالوا إنها كانت تعلم بالأفعال المدنسة الشائنة التي كان يزاولها زوجها. أقسمت فرانسيس على أنها لا تعلم شيئًا. حاولت في البداية أن تقول إنه من المستحيل أن يقترف باتريك مثل هذا الفعل، ولكن بعدما تزايد إصرار الجميع على أنه قد فعل، توقفت عن قول أي شيء على الإطلاق.

شخصان فقط رفضا المشاركة في اتهام آل أيف: نانسي دوكاين (لأسباب واضحة، كما قال البعض)، والطبيب فلاورداي، الذي دافع باستماتة عن فرانسيس أيف معلنًا أنه إن كانت فرانسيس تعلم بأمر الأنشطة المشينة التي

تحدث في منزل رجل الدين، فلم كانت تحدث فقط عندما تكون فرانسيس خارج المنزل؟ لا شك في أن هذا يثبت براءتها التامة. كان الطبيب فلاورداي هو من وضح أنه من المستحيل رؤية تعبيرات الإثم على وجه شخص ما في الظلام الدامس، وكان هو أيضًا من أعلن أنه يصدق صديقه باتريك أيف حتى يتقدم شخص ما بدليل قاطع على ارتكابه لهذا الجرم، وكان هو أيضًا من قال لـ هارييت سيبيل (في أحد الأيام في الشارع أمام الكثير من الشهود) بأنها قد ارتكبت من الشرور خلال نصف الساعة الأخيرة أكثر مما ارتكبه باتريك أيف طوال حياته بأكملها.

قلت شعبية أمبروز فلاورداي بشدة بسبب وجهة نظره تلك، ولكنه كان من القلة النادرة الذين لا يهتمون بما يظنه الآخرون عنهم، كما أنه دافع عن باتريك أيف أمام المسئولين وأخبرهم بأن تلك الشائعات، من وجهة نظره، ليست حقيقية بالمرة. كان يشعر بقلق شديد على فرانسيس أيف، والتي كانت في ذلك الوقت في حالة يرثى لها، فقد امتنعت عن تناول الطعام، ولم تكن تنام، ولم يتمكن أحد من إقناعها بمغادرة منزلها. وكان باتريك أيف شديد الغضب، فلم تعد وظيفته كرجل دين أو سمعته هي ما يهم، كما قال، بل كان يهتم فقط باستعادة زوجته لعافيتها.

في الوقت ذاته، لم تقل نانسي دوكاين أي شيء، فلم تؤكد الشائعات أو تنفيها، وكلما حثتها هارييت سيبيل على الحديث أكثر، زاد إصرارها على التزام الصمت، ثم غيرت من رأيها في أحد الأيام، فأخبرت فيكتور ميكن بأن هناك أمرًا مهمًا تنوي الإفصاح عنه حتى تنهي ذلك الهراء الذي يدور من حولها، فضحك ميكن بينه وبين نفسه وفرك يديه معًا وتسلل بهدوء من الباب الخلفي لنزل كينجز هيد، وبعد قليل، كان جميع من في جريت هولينج يعلم بأن نانسي دوكاين ترغب في الإفصاح عن أمر ما.

كان باتريك وفرانسيس أيف فقط من لم يحضرا التجمع، في حين تجمع كل من في جريت هولينج – حتى الخادمة التي تسببت في إصدار هذه الشائعة

والتي لم يرها أحد منذ أسابيع – في نزل كينجز هيد متحمسين لبدء الفصل التالي من تلك المأساة.

بعد ابتسامة ودودة قصيرة وجهتها إلى أمبروز فلاورداي، بدأت نانسي دوكاين في التحدث أمام الجمع بهدوء وثقة، وأخبرتهم بأن القصة التي تقول إن باتريك أيف قد تقاضى منها أموالاً مقابل رسالة أرسلتها لها روح زوجها الراحل ليست صحيحة على الإطلاق. وقالت إنه ليس كل ما قيل كذبًا، فقد أقرت بأنها زارت منزل باتريك أيف أكثر من مرة في ظلام الليل في غياب زوجته بسبب وجود علاقة غرامية بينهما.

شهق جميع الحضور مصدومين، في حين بدأ بعضهم في التهامس، ووضع البعض الآخر أيديهم على أفواههم أو تشبثوا بذراع من كان يقف بجوارهم.

انتظرت نانسي حتى توقفت الجلبة ثم واصلت حديثها قائلة: "لقد أخطأنا عندما التقينا سرًا، ووضعنا أنفسنا في موضع الشكوك، ولكننا لم نستطع أن نظل متباعدين. عندما كنا نلتقي في منزل باتريك، كل ما نفعله كان الحديث – عما نشعر به تجاه أحدنا الآخر، وعن استحالة علاقتنا معًا. وكنا نتفق على ألا نلتقي بمفردنا مرة أخرى أبدًا، ولكن عندما كانت فرانسيس تغادر المنزل... حسنًا، لقد كانت مشاعرنا قوية لدرجة أننا لم نستطع المقاومة".

صاح شخص ما قائلاً: "هل كان كل ما تفعلانه هو الحديث؟ أنا لا أصدق هذا". أكدت نانسي مرة أخرى على أنه لم يحدث أي شيء مخجل بينها وبين باتريك أيف.

حيث قالت: "لقد أخبرتكم الآن بالحقيقة، الحقيقة التي كنت أفضل ألا أفصح عنها، ولكنها كانت الطريقة الوحيدة لوضع حد للأكاذيب التي تنتشر في جميع أنحاء القرية. إن منكم من يعرف جيدًا ما يعنيه الوقوع في حب شخص آخر – لن يتمكن من اتهامي أو اتهام باتريك، أما الذين يحملون الحقد في قلوبهم- أقول لكم إنكم لا تعرفون عن الحب شيئًا، وإني أشفق عليكم".

ثم نظرت نانسي نحو هارييت سيبيل مباشرة وقالت: "هارييت، أعلم أنكِ وقعت في الحب الحقيقي مرة من قبل، ولكن عندما فقدتِ جورج، اخترتِ أن تتناسي ما تعرفينه، وجعلتِ من نفسكِ عدوة للحب وحليفة للكراهية".

كانت هارييت سيبيل مصرة على أن تثبت صحة وجهة نظرها، فنهضت واقفة، بعدما صرفت نانسي بازدراء عن مكانها كما لو كانت كومة من القمامة وبدأت تتهم باتريك أيف محدثة جلبة أكثر مما سبق قائلة إنه لم يستفد فقط من تقاضي المال مقابل تحضير أرواح الموتى، بل وأقام علاقة مع امرأة منحلة في غياب زوجته. إنه لم يدنس المعتقدات الدينية فحسب، بل وخان زوجته أيضًا. لقد كان أسوأ مما اعتقدت هارييت. قالت إنه من المشين لرجل منغمس لهذه الدرجة في المعاصي أن يطلق على نفسه رجل دين جريت هولينج.

غادرت نانسي دوكاين نزل كينجز هيد في منتصف خطاب هارييت فلم تكن قادرة على تحمل سماع ما يقال، وبعدها ببضع ثوان، أسرعت خادمة آل أيف نحو الباب وقد أشربت وجنتاها بالحمرة والدموع تغرق وجهها.

لم يعلم أغلب القرويين أي القصتين هي الصحيحة، فقد شعروا بالكثير من الارتباك بسبب ما سمعوه، ومن ثم، دعمت أيدا جرانسبري ما قالته هارييت سيبيل رغم عدم وضوح أي القصتين عبارة عن شائعة وأيهما الحقيقة، حيث قالت إنه من الجلي أن باتريك أيف مذنب بشكل أو بآخر ويجب ألا يستمر في منصب رجل دين جريت هولينج.

نعم، وافقها أغلب القرويين. نعم، هذه هي الحقيقة.

لم يقل ريتشارد نيجوس شيئًا حتى بعد أن دعته أيدا، خطيبته، ليتحدث، وأخبر الطبيب أمبروز فلاورداي في وقت لاحق من ذلك اليوم بأنه كان قلقًا حيال ما آلت له الأحداث، وأنه رغم أن عبارة "مذنب بشكل أو بآخر" كانت كافية بالنسبة لـ أيدا، إلا أنها لم تكن كافية بالنسبة له، وأعلن أنه يشعر بالاشمئزاز من محاولة هارييت سيبيل الانتهازية لأن تُظهر باتريك أيف كمذنب في جريمتين، خطيئتين بدلاً من واحدة، حيث أخذت شهادة نانسي دوكاين

التي تنص على "هذا الخطأ وليس ذاك"، وحولتها إلى "هذا الخطأ وذاك" دون وجود دليل دامغ أو محاكمة عادلة.

استخدمت أيدا عبارة "دون أدنى شك" في نزل كينجز هيد، وبدا أن ما يتخطى الشك بالنسبة لـ ريتشارد نيجوس، كما أخبر أمبروز فلاورداي، أن الناس (بمن فيهم ريتشارد، الأمر الذي جعله يشعر بالخجل من نفسه) كانوا ينشرون الأكاذيب عن باتريك أيف. ماذا لو كانت نانسي دوكاين تكذب هي أيضًا؟ ماذا لو كان حبها لـ باتريك من طرفها فقط، وأنه قابلها في الخفاء نزولا على رغبتها، حتى يوضح لها أن عليها ألا تكن له هذه المشاعر؟

وافقه الطبيب فلاورداي: لا أحد يعلم على وجه التحديد ما إذا كان باتريك أيف قد اقترف أي فعل مشين، وكان هذا رأيه في الأمر منذ البداية. كان الطبيب هو الشخص الوحيد الذي يسمح له آل أيف بزيارتهم في منزلهم، وخلال زيارته التالية، أخبر باتريك بما قالته نانسي دوكاين في كينجز هيد، ولكن هز باتريك رأسه في بساطة ولم يعلق على صحة أو زيف ما قالته نانسي. في الوقت ذاته، كانت صحة فرانسيس أيف الجسدية والعقلية تتدهور بشدة.

فشل ريتشارد نيجوس في إقناع أيدا جرانسبري بأن ترى الأمور كما يراها هو، وتوترت العلاقة بينهما. واصل الفرويون، بقيادة هارييت، اتهام باتريك وفرانسيس أيف، حيث كانوا يقفون أمام منزلهما ليلاً ونهارًا ملقين عليهما بالاتهامات، وواصلت أيدا الضغط على المسئولين ليزيحوا آل أيف من منصبهما، ومن القرية بأكملها لمصلحتهما.

ثم وقعت المأساة: لم تستطع فرانسيس أيف تحمل المعاناة لفترة أطول، فابتلعت السم واضعة نهاية لحياتها التعيسة، وعثر عليها زوجها وأدرك على الفور أن الأوان قد فات ولم يكن هناك داع لطلب الطبيب فلاورداي، فلن يمكن إنقاذ حياة فرانسيس. وأدرك باتريك أيضًا أنه لن يتمكن من مواصلة العيش مع الشعور بالذنب والألم، فانتحر هو الآخر.

أقنعت أيدا جرانسبري القرويين بأن يصلوا من أجل أن يرحم الله روحي كل من باتريك وفرانسيس أيف رغم أنها كانت تشك في أن الله سيغفر لهما ما فعلاه.

لم تحتج هارييت سيبيل لأن تدخل الغفران في الأمر، فقد قررت أن آل أيف سيحترقان في الجحيم للأبد. وأخبرت رفاقها من الجائرين الذين يرون بأنهم على حق بأن هذا ما يستحقانه.

بعد بضعة أشهر من موت آل أيف، فسخ ريتشارد نيجوس خطبته بـ أيدا جرانسبري وغادر جريت هولينج. وغادرت نانسي دوكاين القرية إلى لندن، ولم ير أحد الخادمة، التي ابتكرت هذه الكذبة الشنيعة، في القرية مرة أخرى.

في الوقت ذاته، وصل تشارلز ومارجريت إيرنست للقرية ليحلا محل آل أيف، وسرعان ما عقدا صداقة قوية مع الطبيب فلاورداي، الذي قص عليهما المأساة بأكملها، والذي قال إن باتريك أيف، سواءً كان مذنبًا أو غير مذنب بحبه السري لـ نانسي دوكاين، كان أحد أكثر الرجال أدبًا ولطفًا الذين عرفهم في حياته، ولم يكن يستحق مثل هذا التشهير أبدًا.

كانت كلمة التشهير التي ذكرها الطبيب فلاورداي هي التي جعلت مارجريت إيرنست تفكر في القصيدة المنقوشة على شاهد القبر. عارض تشارلز إيرنست تلك الفكرة، فلم يكن يرغب في إثارة القرويين، ولكن تمسكت مارجريت بموقفها مصرة على أن دار عبادة هولي ساينتس يجب أن تظهر دعمها لـ باتريك وفرانسيس أيف، حيث قالت: "إن ما أرغب في فعله مع كل من هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري يتخطى مجرد إثارتهما"، ونعم، عندما تفوهت بمثل هذه الكلمات، كانت تقصد القتل، مجرد فكرة خطرت ببالها، وليس جريمة تنوي ارتكابها.

•

بعد أن انتهت مارجريت إيرنست من قصتها، التزمت الصمت، ومر بعض الوقت قبل أن يتحدث أي منا.

قلت أخيرًا: "لقد فهمت الآن لم أخبرتني باسم نانسي دوكاين عندما سألتك عمن قد يملك الدافع لقتلهم. ولكن، هل كانت لتقتل ريتشارد نيجوس أيضًا؟ لقد امتنع عن دعم هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري بمجرد أن تشكك في كذبة الخادمة".

قالت مارجريت: "يمكنني فقط أن أخبرك بما كنت لأشعر به لو كنت في مكان نانسي. هل كنت سأسامح ريتشارد نيجوس؟ لا، لم أكن لأفعل، فبدون إقراره في البداية للكذبة التي ألقتها هارييت وتلك الخادمة الحقيرة، ربما لم تكن أيدا جرانسبري لتصدق الهراء الذي كان ينتشر كالنار في الهشيم. ثلاثة أشخاص اتخذوا موقفًا عدائيًا من باتريك أيف في جريت هولينج، وكان هؤلاء الأشخاص الثلاثة هم هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري وريتشارد نيجوس".

قلت: "ماذا عن الخادمة؟".

قالت: "يعتقد أمبروز فلاورداي بأنها لم تكن تقصد أن يحدث كل ما حدث، فلم تكن تبدو سعيدة عندما بدأت المشاعر الكريهة تجاه آل أيف تعم جميع أنحاء القرية".

قطبت جبيني في عدم رضا وقلت: "ولكن من وجهة نظر القاتلة نانسي دوكاين – فرضًا ليس أكثر – إن لم تكن قادرة على الصفح عن ريتشارد نيجوس الذي أدرك في وقت لاحق بأنه مخطئ، فلم صفحت عن الفتاة التي ابتكرت الكذبة منذ البداية؟".

قالت مارجريت: "ربما لم تصفح عنها. ربما قتلتها أيضًا. لا أعلم أين انتهى المطاف بهذه الخادمة. ولكن ربما علمت نانسي مكانها، وربما تمكنت من الإمساك بها وقتلها أيضًا. ما الأمر؟ لقد امتقع وجهك بشدة".

قلت متلعثمًا وكنت أخشى أني أعلم إجابة السؤال: "ماذا... ماذا كان اسم الخادمة التي ألقت بالكذبة؟". ثم صاح صوت في رأسي يقول: " لا، لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا، ولكن، لم لا؟".

قالت مارجريت: "اسمها جيني هوبز يا سيد كاتشبوول. هل أنت بخير؟ إنك لا تبدو على ما يرام".

قلت: "لقد كان محقًا، أنها في خطر محدق".

قالت: "من الذي على حق؟".

قلت: "هيركيول بوارو. إنه دائمًا على حق. كيف يمكنه هذا؟".

قالت: "لِمَ تبدو غاضبًا؟ أكنت ترغب في أن يكون مخطئًا؟".

تنهدت قائلاً: "لا. لا أعتقد هذا. ولكني أخشى الآن أن جيني هوبز في خطر، إن كانت على قيد الحياة".

قالت: "فهمت. كم هذا غريبًا".

قلت: "ما الأمر الغريب؟".

تنهدت مارجريت وقالت: "رغم كل ما قلته، إلا أنه من الصعب عليّ أن أعتقد بأن تعرض نانسي أي شخص للخطر. فبغض النظر عن الدافع، لا أعتقد بأن نانسي قادرة على ارتكاب جريمة قتل. قد يبدو هذا غريبًا، ولكن... لن يقدم أحد على القتل دون أن يغمس نفسه في الرعب والتعاسة. أليس كذلك؟".

أومأت برأسي موافقًا.

تابعت مارجريت حديثها قائلة: "كانت نانسي تعشق المرح والجمال والسعادة والحب، جميع الأمور المبهجة، ولن تُقدم أبدًا على ارتكاب فعل بشع كالقتل".

قلت: "إن لم تكن نانسي دوكاين، فمن القاتل؟ ماذا عن العجوز والتر ستوكلي؟ بما أنه والد فرانسيس أيف، فإن لديه دافعًا قويًا لقتلهم. إن امتنع عن الشراب ليوم واحد، فلن يكون من الصعب عليه أن يقتل ثلاثة أشخاص".

قالت مارجريت: "من المستحيل أن يمتنع والتر عن الشراب لساعة واحدة. أؤكد لك يا سيد كاتشبوول أن والتر ستوكلي ليس الشخص الذي تبحث عنه. إنه، على العكس من نانسي، لم يلقِ باللوم على أي من هارييت أو أيدا أو ريتشارد على ما حدث لـ فرانسيس. بل ألقى باللوم على نفسه".

قلت: "لهذا يعاقر الشراب. أليس كذلك؟".

قالت: "بلى. لقد نوى والتر ستوكلي أن يقتل نفسه بعدما فقد ابنته، واعتقد أنه سيفعل ذلك في القريب".

قلت: "كيف يمكن أن يكون انتحار فرانسيس خطأ؟".

قالت: "لم يكن والتر يعيش في جريت هولينج طوال حياته، بل انتقل إلى هنا من أجل أن يكون بالقرب من مثوى باتريك وفرانسيس الأخير. قد لا تصدق ما سأقوله بعدما رأيت حالة والتر ستوكلي حاليًا، ولكنه كان رجلاً نبيلاً فيما مضى وكان عميد إحدى الكليات الدينية بجامعة كامبريدج، حيث تدرب باتريك على أن يكون رجل دين. كان باتريك يتيم الأبوين، وفقد أبويه في سن صغيرة، وجعل والتر من نفسه الوصي عليه. كانت جيني هوبز، في السابعة عشرة من عمرها في ذلك الحين، تعمل خادمة في الكلية، وكانت أفضل خادمة حظيت بها الكلية، وعهد إليها والتر ستوكلي بأن تعتني بغرف باتريك أيف، ثم تزوج باتريك من فرانسيس ستوكلي، ابنة والتر، وعندما انتقلا ليعيشا في جريت هولينج، انتقلت جيني معهما، هل فهمت؟".

أومأت برأسي وقلت: "يلقي والتر ستوكلي باللوم على نفسه أنه وضع كلًّا من باتريك وفرانسيس وجيني معًا. إن لم يصطحب باتريك وفرانسيس جيني معهما إلى جريت هولينج، فلم تكن في وضع يسمح لها بابتكار هذه الكذبة التي أدت إلى موتهما".

قالت: "ولم أكن لأقضي حياتي في مراقبة أحد القبور حتى لا يدنسه أي شخص كان".

سألتها: "من قد يفعل أمرًا مثل هذا؟ هارييت سيبيل؟ أعني قبل أن تموت".

قالت: "لا، كان سلاح هارييت الأقوى هو لسانها المسمم، ولكنها لن تنبش قبر أي شخص كان. لا، إنهم الشباب المشاكسون من سكان القرية هم من قد يفعلون ذلك إن توافرت لهم الفرصة. كانوا أطفالاً صغارًا عندما توفي كل من باتريك وفرانسيس أيف، ولكنهم شبوا على قصص آبائهم. إن سألت أي شخص في القرية، ماعدا أمبروز فلاورداي وأنا، فسيخبرك بأن باتريك أيف كان رجلاً شريرًا – وأنه وزوجته كانا يمارسان السحر الأسود. أعتقد أن إيمانهما بهذا الأمر يزداد بمرور الوقت. عليهما أن يفعلا ذلك، أليس كذلك؟ إما أن يفعلا أو يكرها أنفسهما بنفس قدر كراهيتي لهما".

كان هنـاك أمر أود فهمه فقلت: "هل فسخ ريتشارد تيجوس خطبته من أيدا جرانسبري لأنها استمـرت في تشويه سمعة باتريك أيف بعدما عاد إلى رشده؟ هل فسخ خطبته بها بعد ما أعلنته نانسي في كينجز هيد؟".

ظهـر تعبير غريـب على وجه مارجريـت، وبدأت تتحدث قائلـة: "كان ذلك اليـوم فـي كينجز هيـد بدايـة...". ثم توقفت عـن الحديث وغيـرت من مسار الحديث قائلة: "نعم، لقد وجد أنه لا يستطيع أن يتحمل إصرارها غير العقلاني على نزاهة مسعاها وهارييت".

بـدا على وجه مارجريت فجأة أنها لا ترغب فـي مواصلة الحديث عن الأمر برمته، وشعرت بأن هناك أمرًا مهمًا اختارت مارجريت ألا تخبرني به.

قلت: "لقد أخبرتني بأن فرانسيس أيف انتحرت بتناول السم، أليس كذلك؟ كيف؟ من أين حصلت على السم؟ وكيف مات باتريك أيف؟".

قالـت: "بالطريقة نفسها: السم. لا أعتقـد أنك سمعت بسم أبرين من قبل، أليس كذلك؟".

قلت: "نعم، لم أسمع عنه من قبل".

قالـت: "إنـه يُستخلص من نبات يُطلـق عليه العرق الهنـدي، وهو شائع في المناطق الاستوائية، وقد حصلت فرانسيس أيف على بضع قوارير منه من مكان ما".

قلـت: "اعذريني، ولكـن إن كان كلاهما مات منتحرًا بتنـاول السم، ووجدا معًـا، فكيف حددتم أن فرانسيس قتلت نفسها أولاً وأن باتريك انتحر بعدما عثر عليها ميتة؟".

بدت مارجريت قلقة وقالت: "إنك لن تخبر أيًا من سكان جريت هولينج بما أخبرتـك به، أليس كذلك؟ ستخبر فقط رجال شرطة سكوتلاند يارد في لندن، أليس كذلك؟".

قلت لها: "بالطبع"، وقررت حينها أن هيركيول بوارو يعتبر أحد رجال شرطة سكوتلاند يارد.

قالت مارجريت: "تركت فرانسيس أيف رسالة لزوجها قبل أن تنتحر، وكان من الجلي أنها كانت تتوقع أن يواصل حياته بدونها، كما ترك باتريك أيضًا رسالة...". ثم توقفت عن الحديث.

انتظرتها لتتحدث.

قالت أخيرًا: "لقد أخبرتنا الرسالتان بتسلسل الأحداث".

قلت: "ما الذي حل بالرسالتين؟".

قالت: "لقد دمرتهما. أعطاني إياهما أمبروز فلاورداي وألقيتهما في النار".

زاد هذا الأمر من فضولي، فسألتها: "لم فعلت هذا؟".

أشاحت مارجريت بوجهها عني وهي تلتقط أنفاسها وقالت بحزم: "أنا... لا أعلم".

فكرت في نفسي أنها تعلم السبب دون أدنى شك، وبدا من الطريقة التي زمت بها شفتيها أنها لا ترغب في الإفصاح عن المزيد فيما يتعلق بهذا الأمر، وسيتسبب المزيد من استجوابها في زيادة إصرارها على التزام الصمت.

وقفت قليلًا لأمط ساقيّ اللتين تصلبتا من الجلوس وقلت: "إنكِ محقة بشأن أمر واحد. بعدما عرفت قصة باتريك وفرانسيس أيف، أصبحت راغبًا في التحدث مع الطبيب أمبروز فلاورداي، فقد كان هنا في القرية عندما حدث ما حدث، فرغم صدق روايتكِ...".

قالت: "ولكنك قطعت على نفسك عهدًا".

قلت: "عليّ أن أسأله عن جيني هوبز، على سبيل المثال".

قالت: "يمكنني أن أخبرك بكل ما ترغب في معرفته عن جيني. ما الذي ترغب في معرفته؟ كان باتريك وفرانسيس يعتقدان بأنه لا يمكنهما الاستغناء عنها، وكانا يحبانها كثيرًا، كان الجميع يعتقد بأنها مهذبة – ووديعة، حتى ابتكرت تلك الكذبة المريعة. من وجهة نظري الشخصية، لا يمكن لأحد أن يبتكر مثل هذه الكذبة من العدم ويكون وديعًا بقية الوقت، كما أنها كانت تشعر بأنها تستحق منزلة أكبر مما هي عليه، فقد تغير أسلوبها في الحديث".

قلت: "كيف؟".

قالـت: "أخبرني أمبروز بأن هذا حدث فجأة، ففي أحد الأيام كانت تتحدث كما تتوقع من خادمة أن تتحدث، ولكن في اليوم التالي، أصبحت تتحدث في رقة ودون أية أخطاء لغوية".

فكـرت في نفســي، وتستخدم البنــى النحوية الصحيحة. *لا تــدع أحدًا يفتح أفواههــم مــن فضلك*. ثلاثة أفـواه في داخـل كل منها زر أكمــام يحمل حروفًا مزخرفة: كلماتها صحيحة من الناحية النحوية. تبًّا، لقد كان بوارو محقًا بشأن هذا الأمر أيضًا.

قالــت مارجريت: "قال أمبروز إن جيني غيرت مــن أسلوب حديثها محاكية أسلوب حديث كل من باتريك وفرانسيس أيف، فقد كان كلاهما متعلمًا ويتحدثان بطلاقة".

قلت: "مارجريت، أخبريني بالحقيقة من فضلك: لم تصرين على ألا أتحدث مع أمبروز فلاورداي؟ هل تخشين أن يخبرني بأمر تفضلين ألا أعرفه؟".

قالت مارجريت بحزم: "لن تستفيــد كثيرًا من حديثك مع أمبروز، وسيكون لهــذا الأمر تأثير سيئ عليه. سأسمح لك بأن تخيــف أيًا من القرويين الآخرين الذين قــد تلتقي بهم". وابتسمــت ولكن عينيها ظلتا جامدتيــن، وقالت: "إنهم خائفــون بالفعل – لقــد بدأ الموت يحصــد أرواح المذنبين واحــدًا بعد الآخر، وعليهــم أن يدركــوا جيدًا بأنهم جميعًــا مذنبون – ولكنهــم سيشعرون بالمزيد مــن الخوف إن سمعوك تقول، من منطلق خبرتك الأمنية، أن القاتل لن يهدأ له بــال حتى يودع جميع من ساعدوا في تدمير باتريك وفرانسيس أيف في غياهب الجحيم".

قلت: "هذه كلمات مبالغ فيها".

قالــت: "أنا أحب الدعابــات، وكان تشارلز ينزعج من هذا، ولكني لم أقل له أبدًا بأني لا أؤمن بالغفران للظالمين. أنا أؤمن بالغفران، ولكن ليس لمثل أولئك الظالمين".

بــدت العصبية على وجهي، فلم أكن بصدد الدخول في جدل ديني، بل كنت أرغب في العودة إلى لندن بأقصى سرعة ممكنة حتى أخبر بوارو بما اكتشفته.

تابعت مارجريت حديثها قائلة: "أنا أؤمن بالغفران، دون أدنى شك، ولكني لا أؤمن بأن الجميع يستحقونه، أو أن نجلد جميع المذنبين بغض النظر عما اقترفوه". زادت ابتسامتها ودًا وقالت: "أعتقد بأن وجهة نظري في هذا الأمر سديدة، على العكس من أيدا جرانسبري، هل تتفق معي؟".

زمجرت دون أن أعلق على الأمر.

قالت: "لقد علمنا الدين أن الله وحده من له حق الحكم على البشر. لمَ لم توضح المدعية أيدا جرانسبري هذا الأمر لـ هارييت سيبيل وأقرانها الآخرين؟ لم أشارت بأصبع الاتهام نحو باتريك أيف؟ إن كان المرء يعتبر نفسه مثالاً على التدين، فعليه أن يطبق تعاليم الدين كاملة".

قلت: "أرى أنك ما زلتِ غاضبة مما حدث".

قالت: "سأظلّ غاضبة حتى أموت يا سيد كاتشبوول. إن من ارتكبوا الذنب الأعظم يحاكمون من ارتكبوا الذنب الأصغر باسم الأخلاق – هذا أمر يستحق أن أشعر بالغضب الشديد بشأنه".

وافقتها قائلاً: "إن النفاق أمر شنيع".

قالت: "هذا إلى جانب أن المرء لا يمكنه أن يقول إنه من الخطأ أن تكون إلى جانب من أحببته بشدة".

قلت: "لست واثقًا من هذا. إن كان المرء متزوجًا...".

قالت مارجريت: "لا علاقة لهذا الأمر بالزواج"، ثم نظرت نحو اللوحات المعلقة على حائط الكوخ وخاطبتها مباشرة قائلة: "آسفة يا تشارلز، ولكن إن كان هناك شخصان يحبان بعضهما الآخر، فرغم أن هذا قد يتعارض مع قواعد الدين أو المجتمع، إلا أن... حسنًا، الحب هو الحب، أليس كذلك؟ أعلم أنه لا يعجبك ما أقوله".

لا يمكنني أن أقر بأن ما قالته قد أعجبني كثيرًا أيضًا، وقلت: "قد يسبب الحب الكثير من المشكلات. إن لم تحب نانسي دوكاين باتريك أيف، فلم تكن بين يديّ الآن ثلاث جرائم قتل لأحقق فيها".

نظـرت مارجريت نحوي وقالت: "إنك لم تتفوه إلا بالهراء. إن الكراهية هي التي تتسبب في مقتل الناس يا سيد كاتشبوول وليس الحب، ولم يكن الحب أبدًا. كن عقلانيًا من فضلك".

قلـت: "لطالمـا آمنت بأن أصعب القواعد في الاتبـاع هي أفضل الاختبارات التي يمر بها الناس".

قالت: "نعم، ولكن أيًا من مظاهر شخصياتنا قد خضعت لتلك الاختبارات؟ ربمـا مذاجتنا، أو غباؤنا الشديد. إن كتب الحكمـة، أيًا كانت قواعدها، مجرد كلمات مكتوبة، ويعود لنا نحن معشر البشر كيفية تطبيقها".

قلـت، وقد شعـرت بالانزعاج مـن المسار الـذي اتخذه الحديـث: "عليَّ أن أذهب. عليَّ العودة إلى لندن. شكرًا على وقتكِ ومساعدتكِ. لقد استفدت كثيرًا من الحديث معكِ".

قالت مارجريت بينما كانت تتبعني نحو باب كوخها: "يجب أن تعذرني، فأنا لست معتادة قول ما يدور بخلدي بهذه الطريقة الفظة، عدا مع أمبروز ولوحات تشارلز المعلقة على الحائط".

قلت: "عليَّ في هذه الحالة أن أشعر بالفخر".

قالـت: "لقد قضيت حياتي بأكملها متبعـة قواعد تلك الكتب المتربة يا سيد كاتشبوول، ولهذا، أعلم جيدًا أن فعل هذا حماقة كبيرة. عندما يضرب المحبون بهذه القواعد عرض الحائط، ويلتقون متى أحبوا ذلك... فإني أحترمهم كثيرًا! وأيًـا كان مـن قتل هاريـت سيبيل، فإني أكـن له بالغ الاحتـرام أيضًا! ما باليد حيلـة، ولا يعني هذا أني أقر بصحة القتل، لا، على الإطلاق. اذهب الآن قبل أن أستطرد في الحديث مرة أخرى".

بينمـا كنـت أسير عائدًا إلى نزل كينجز هيد، فكـرت في أن المحادثات هي أمـر غريب بمكنه أن يأخذك إلى أي مكان تقريبـا. ففي الغالب تجد نفسك قد جنحـت عدة أميال بعيدا عن المكان الذي بدأت منه دون أن تعرف كيف ستعود إليـه مرة أخرى. صدت كلمـات مارجريت إيرنست في أذنـيَّ بينما كنت أسير:

رغم أن هذا قد يتعارض مع قواعد الدين أو المجتمع. إلا أن... حسنًا، الحب هو الحب، أليس كذلك؟

عندما عدت إلى كينجز هيد، مررت بجوار والتر ستوكلي النائم وفيكتور ميكن الذي كان يحدق بي بفضول، وصعدت الدرج نحو غرفتي لألملم أغراضي.

قفزت إلى القطار التالي المتجه إلى لندن، وودعت جريت هولينج بسعادة غامرة بينما كان القطار ينطلق خارجًا من المحطة. رغم سعادتي البالغة بمغادرة جريت هولينج، إلا أني كنت أتمنى أن أتحدث مع الطبيب أمبروز فلاورداي. ماذا سيقول بوارو عندما أخبره بوعدي لـ مارجريت إيرنست؟ قد لا يوافق على ما فعلت. ولا شك في أنه سيقول أمرًا ما عن الإنجليز وحسهم الأحمق بالشرف، ولا شك في أني سأحني رأسي وأغمغم معتذرًا بدلاً من أن أفصح عن رأيي الحقيقي عن الأمر، وهو أن المرء ينجح دائمًا في استخراج المزيد من المعلومات من الناس إن احترم رغباتهم. دع الناس يشعروا بأنك لا ترغب في إجبارهم على إخبارك بما يعرفونه، وستفاجأ بأنهم عادة ما يأتون إليك طواعية مفصحين عن الإجابات التي كنت تبحث عنها.

كنت أعلم بأن بوارو لن يوافق على الوعد الذي قطعته، وقررت ألا أهتم كثيرا بهذا الأمر. إن كانت مارجريت إيرنست لا تهتم بقواعد المجتمع بأكمله، فلا بأس من أن أختلف مع هيركيول بوارو بين كل حين وآخر. إن كان يرغب في التحدث مع الطبيب فلاورداي، فليأت بنفسه ويتحدث معه.

كنت آمل ألا يكون هذا ضروريًا. إن نانسي دوكاين هي من يجب علينا التركيز عليها، إلى جانب الحفاظ على حياة جيني، إن كانت على قيد الحياة. شعرت بندم شديد على عدم تفكيري في احتمالية تعرض حياتها للخطر. إن تمكنا من حمايتها، فسيعود الفضل بأكمله إلى بوارو. من الناحية الرسمية، ستسجل شرطة سكوتلاند يارد الأمر على أنه أحد إنجازاتي، ولكن سيعلم الجميع أنه انتصار من انتصارات بوارو وليس من انتصاراتي. لا شك في أن معرفة رؤسائي بمساهمة بوارو في القضية هي ما جعلهم يتركونني على حريتي

– أو تحت وصاية صديقي البلجيكي. لقد كان هيركيول بوارو الشهير هو من وثقوا به ليحل لغز القضية وليس أنا.

بدأت أتساءل عما إذا كنت أفضل أن أفشل بمفردي على أن أنجح بفضل مشاركة بوارو في القضية، ولكني غرقت في النوم قبل أن أصل إلى إجابة عن هذا التساؤل.

حلمت – للمرة الأولى في حياتي في أثناء ركوبي للقطار – بأن جميع من أعرف يتهمونني بارتكاب أمر لم أفعله. رأيت، في الحلم، شاهد قبري بوضوح، وكان اسمي محفورًا عليه بدلاً من اسمي باتريك وفرانسيس أيف، وقصيدة " التشهير" المنقوشة في الأسفل. على الأرض بجانب القبر، كان هناك شيء معدني يلمع، وكنت أعلم أنه زر أكمام مدفون جزئيًا هناك يحمل الأحرف الأولى من اسمي. استيقظت بمجرد أن توقف القطار في لندن، وكنت غارقًا في العرق، وكان قلبي يدق بعنف داخل صدري.

الفصل ١٣

نانسي دوكاين

لم أكـن أعلم، دون شك، أن بوارو كان على علم باحتمالية تورط نانسي دوكاين فـي جرائم القتل، فبينما كنت أفر من قريـة جريت هولينـج، كان بوارو منشغلاً بوضـع بعض الترتيبات، بمساعـدة من شرطة سكوتلاند يـارد، لزيارة السيدة دوكاين في منزلها في لندن.

وتمكن مـن زيارتها في وقت لاحق من اليوم ذاتـه بصحبة الشرطي ستانلي بيبـر، حيث فتحـت لهما بـاب المنزل الريفـي الضخم ذا الزخـارف الجصية البيضـاء خادمة ترتـدي مئزرًا. كان بـوارو يتوقع أن تشير لـه الخادمة بدخول غرفة استقبال فخمة لينتظر لقاء السيدة دوكاين، لذا، دُهش بشدة عندما رأى نانسي دوكاين بنفسها تقف عند قاعدة الدرج.

قالت نانسي: "سيد بوارو، أرى أنك اصطحبت شرطيًا معك، يبدو هذا الأمر غريبًا بالنسبة لي".

أصـدر ستانلي بيبـر زمجرة غير مفهومة واحمر وجهـه بشدة. كانت نانسي دوكايـن امـرأة بارعـة الجمـال ذات بشـرة صافية وشعـر أسود لامـع وعينين زرقاويـن ذات رموش طويلة. كانـت هيئتها تدل على كونها فـي حدود الأربعين مـن عمرها وكانـت ترتدي رداءً من اللونيـن الأزرق والأخضـر الداكن منقوشًا

بنقوش تشبه ذيل الطاووس. للمرة الأولى في حياته، شعر بوارو بأنه ليس أكثر الحاضرين في المكان أناقة.

انحنى بوارو قائلاً: "إنه لشرف لي أن أتعرف عليك يا سيدة دوكاين. إنني من أشد المعجبين بقدراتك الفنية. لقد كنت محظوظًا بمشاهدة واحدة أو اثنتين من لوحاتك في بعض المعارض خلال السنوات الأخيرة. إنك تمتلكين موهبة نادرة الوجود".

قالت: "شكرًا جزيلاً لك، هذا لطف شديد منك، والآن، هل تسمح بأن تعطيا معطفيكما وقبعتيكما إلى تابيثا، حتى يتسنى لنا أن نجلس لنتجاذب أطراف الحديث. هل ترغبان في تناول الشاي أم القهوة؟".

قال بوارو: "شكرًا لك، لا شيء".

قالت: "حسنًا، اتبعاني".

توجها إلى غرفة جلوس صغيرة والتي سُررت بعد السماع عنها في وقت لاحق أنني لم أجلس بها بنفسي، حيث إن بوارو أخبرني بأنها مليئة باللوحات. جميع هذه الأعين المحدقة المعلقة على الحائط...

سألها بوارو عما إذا كانت جميع هذه اللوحات من لوحاتها.

قالت نانسي دوكاين: "لا، القليل منها فقط. إنني أشتري لوحات بنفس معدل بيعي لها. إن الفن هو شغفي".

قال بوارو: "إنه شغفي أيضًا".

قالت نانسي: "مشاهدة المرء لوحاته فقط أمر يجعلك تشعر بالوحدة، لطالما اعتقدت بأن تعليق إحدى لوحاتي على الحائط بجوار لوحة شخص آخر يشبه إلى حد بعيد وجود صديق مقرب على حائطي".

قال بوارو: "لقد أوجزت الأمر بمهارة يا سيدتي".

بمجرد أن جلس ثلاثتهم قالت نانسي: "هل يمكن أن ندخل في صلب الموضوع وأسألكما لِمَ حضرتما لمنزلي؟ لقد أخبرتني في الهاتف بأنك ترغب في تفتيش منزلي. كن على راحتك في تفتيش المنزل، ولكن لِمَ تحتاج إلى ذلك؟".

قـال بوارو: "ربما قرأتِ فـي الصحف أن هناك ثلاثة نـزلاء قتلوا في فندق بلوكسهام ليلة الخميس الماضي".

ضحكـت نانسي قائلة: "في فندق بلوكسهام؟". ثـم أصبحت ملامح وجهها جدية وقالت: "يا إلهي – إنك جاد، أليس كذلك؟ ثلاث ضحايا؟ هل أنت متأكد من ذلك؟ لطالما اعتقدت بأن فندق بلوكسهام فندق فخم، لا يمكنني أن أتخيل أن تقع به جرائم قتل".

قال بوارو: "أنتِ تعرفين الفندق إذن؟".

قالـت: "نعـم، إنني أذهب إلـى هناك دائمًا لتناول شاي ما بعـد الظهر. إن لازاري، المديـر – رجل رائع. إنهم مشهورون بالكعـك، الأفضل في جميع ربوع لنـدن. آسفة...". ثم قطعـت حديثها، وعادت لتقول: "لـم أقصد أن أثرثر عن الكعـك في حين هناك ثلاثة أشخاص قـد قُتلوا بالفندق. إنه أمر رهيب، ولكني لا أعلم صلتي بالأمر".

سألها بوارو: "إنكِ لم تقرئي عن الحادثة في الصحف إذن، أليس كذلك؟".

قالت نانسي دوكاين وقد زمت شفتيها في حزم: "لا، أنا لا أقرأ الصحف، ولا أحتفظ بها في منزلي. إنها مليئة بالتعاسة، وأنا أتجنب التعاسة قدر الإمكان".

قال بوارو: "إنكِ لا تعرفين أسماء الضحايا الثلاث إذن، أليس كذلك؟".

قالت وهي ترتجف: "لا أعرفها ولا أتمنى أن أعرفها".

قـال بوارو: "أخشى أنه يجب عليَّ أن أخبـركِ بها سواءً أملتِ في ذلك أم لم تأملي. أسماؤهم هي هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري وريتشارد نيجوس".

"أوه، لا، لا، سيـد بـوارو". ثم وضعت نانسي يدها على فمها ولم تنبس ببنت شفـة طوال دقيقـة كاملة ثم قالـت أخيرًا: "إنهـا ليست دعابـة، أليس كذلك؟ أخبرني من فضلك أنها ليست كذلك".

قال بوارو: "إنها ليست دعابة يا سيدتي، وأنا آسف على أني جعلتكِ تشعرين بالضيق".

قالت نانسي: "لقد ضايقني سماع هذه الأسماء، سواءً كانوا أحياء أو أمواتًا، لا يهمنـي ذلـك، طالمـا لا أفكر فيهـم. كما تعلم، يحـاول المرء تجنـب الأمور

المزعجة. ولكن الأمر لا ينجح دائمًا، و... أنا أبغض التعاسة أكثر من أغلب الناس".

قال بوارو: "هل عانيتِ كثيرًا خلال حياتك؟".

أشاحت نانسي بوجهها بعيدًا وقالت: "لا أحب أن أناقش حياتي الشخصية مع أحد".

لم يكن بوارو ليستفيد شيئًا إن أخبرها بأن رغباتها تتعارض مع رغباته فيما يتعلق بهذا الأمر. فلم يكن هناك أمر يسلب لب بوارو مثل الحياة الشخصية للآخرين الذين قد لا يلتقيهم في حياته مرة أخرى.

لذا، قال بدلاً من ذلك: "دعينا إذن نتحدث عن موضوع التحقيق الشرطي الذي جاء بي إلى هنا. هل تعرفين الضحايا الثلاث؟".

أومأت نانسي برأسها قائلة: "لقد كنت أعيش في قرية اسمها جريت هولينج، في كولفر فالي. إنك لا تعرفها، لا أحد يعرفها. وكانت هارييت وأيدا وريتشارد جيراني، ولكنني لم أسمع أي شيء عنهم منذ سنوات، منذ عام ١٩١٣، عندما انتقلت للعيش في لندن. هل قتلوا *حقًا*؟".

قال بوارو: "نعم سيدتي".

قالت نانسي: "في فندق بلوكسهام؟ ولكن ماذا كانوا يفعلون هناك؟ لم حضروا إلى لندن؟".

قال بوارو: "هذا أحد الأسئلة التي لم نعرف إجابتها بعد يا سيدتي".

نهضت نانسي من مكانها وبدأت تذرع الغرفة جيئة وذهابًا بدءًا من بابها وصولاً إلى الحائط المقابل له، ثم قالت: "من غير المنطقي أن يُقتلوا حيث إن الشخص الوحيد الذي قد يقتلهم *لم يفعل*".

قال بوارو: "من هذا الشخص؟".

قالت: "لا تعرني اهتمامًا"، ثم عادت لتجلس على مقعدها وقالت: "آسفة، لقد صدمتني أخبارك كما ترى، ولا يمكنني مساعدتك. ولا أقصد أن أكون فظة، ولكني أود أن تغادرا الآن".

قال بوارو: "هل تشيرين إلى تصميمك يا سيدتي على أسماء الشخص الوحيد الذي قد يرتكب جرائم القتل في حضهم؟ ولهذا لم تسمحين ذلك؟".

قالت نانسي ببطء وعيناها تجوبان أنحاء الغرفة: "لم أفعل... ولكني أرى الآن ما ترمي إليه. لقد قص عليك شخص ما قصة واعتقدت بأني قتلتهم، ولهذا السبب ترغب في تفتيش منزلي. أنا لم أقتل أي شخص. فتش المنزل كما يتراءى لك يا سيد بوارو. أطلب من تابيثا أن ترافقك إلى جميع الغرف - هناك الكثير منها، وقد تفوت بعضها إن لم ترشدك إليها".

قال بوارو: "شكرًا لك سيدتي".

قالت نانسي: "لن تعثر على شيء يدينني، لأنه لا يوجد شيء من الأساس. كم أتمنى أن ترحل! إنك لا تعرف كم أزعجتني".

نهض ستانلي بيير وقال: "سأبدأ بالتفتيش، شكرًا لك على تعاونكِ يا سيدة دوكاين". ثم غادر الغرفة مغلقًا الباب خلفه.

قالت نانسي دوكاين إلى بوارو: "إنك ماهر، أليس كذلك؟". قالتها كما لو كان هذا عيبًا فيه، "ماهر كما يُقال عنك، يمكنني أن أدرك هذا عبر عينيك".

قال بوارو: "نعم، أعتقد بأني أمتلك عقلاً متفوقًا".

قالت: "كم أنت متفاخر! في رأيي، لا يفيد العقل المتفوق بشيء دون قلب متفوق".

قال بوارو: "أمر طبيعي. إننا، كمحبين للفن الراقي، يجب أن نؤمن بذلك، حيث إن الفن يخاطب القلب والروح أكثر من العقل".

قالت نانسي بهدوء: "أتفق معك في هذا. أتعلم يا سيد بوارو... إن عينيك ليستا ماهرتين فحسب، بل حكيمتين أيضًا. إنهما عميقتان ومتأملتان. إنك لم تفهم ما أقصده، ولكنه حقيقي. ستبدوان رائعتين إن رسمتهما في لوحة، إلا أنني لن أحاول أن أرسمك، ليس بعد أن تفوهت بهذه الأسماء الثلاثة الكريهة في منزلي".

قال بوارو: "هذا من سوء حظي".

قالت نانسي بجرأة: "إن اللوم يقع على عاتقك"، ثم شبكت كفيها معًا وقالت: "أعتقد بأنه يمكنني أن أخبرك بالأمر: نعم، لقد كنت أتحدث عن نفسي عندما ذكرت الشخص الذي قد يقتل هاربيت وأيدا وريتشارد، ولكني لم أفعل كما قلت من قبل، لذا، لا يمكنني فهم ما حدث".

قال بوارو: "لم تكن العلاقة بينكم جيدة، أليس كذلك؟".

قالت نانسي: "لقد كنت أكرههم، وكم تمنيت لو ماتوا"، ثم وضعت يديها على وجنتيها وقالت فجأة: "هل ماتوا حقًا؟ أعتقد أنه يجب عليَّ أن أشعر بالغبطة أو الراحة. كم أرغب في أن أسعد بما حدث، ولكن لا يمكنني أن أشعر بالسعادة عندما أفكر في هاربيت وأيدا وريتشارد. يا لسخرية القدر!".

قال بوارو: "لماذا كنتِ تكرهينهم؟".

قالت: "لا أفضل مناقشة هذا الأمر".

قال بوارو: "سيدتي، لم أكن لأطرح السؤال إلا إن كنت أعتقد أنه ضروري".

قالت نانسي: "ولكني لا أرغب في إجابته".

تنهد بوارو وقال: "أين كنتِ ليلة الخميس الماضي في الوقت ما بين السابعة والربع والثامنة؟".

قطبت نانسي حاجبيها وقالت: "لا أتذكر. إنني أواجه مشكلة في تذكر ما أرغب في فعله هذا الأسبوع. مهلاً، يوم الخميس، بالطبع. لقد كنت على الجانب الآخر من الشارع في منزل صديقتي لويزا، لويزا والاس. كنت قد أنهيت اللوحة التي رسمتها لها، فحملتها وذهبت إليها وتناولنا العشاء معًا. أعتقد أني بقيت معها من السادسة وحتى العاشرة مساءً، وكنت سأبقى لوقت أطول إن لم يكن زوج لويزا، سانت جون، متواجدًا. إنه رجل متغطرس للغاية، أما لويزا، فامرأة رائعة لا يمكنها رؤية عيوب أي شخص – لابد من أنك قابلت مثل هذه النوعية. إنها تعتقد أني وسانت جون متفقان تمامًا لأننا فنانان، ولكني لا أطيقه، حيث إنه يعتقد بأن نوع الفن الذي يمارسه أعلى مقامًا من نوع الفن الذي أمارسه، ويستغل كل فرصة ممكنة ليخبرني بهذا. النباتات والأسماك – هذا ما يرسمه. أوراق الشجر المتساقطة الكئيبة والأسماك ذات الأعين الباردة".

قال بوارو: "هل هو فنان مختص بعلم الحيوان والنبات؟".

قالت: "لا يهمني أي فنان لا يرسم وجوه البشر، ولكنهم متواجدون للأسف. إن سانت جون يصر على أن المرء لا يمكنه أن يرسم وجه إنسان دون أن يروي قصته، وبمجرد أن تبدأ في وضع القصة، فلابد وأن تنحرف البيانات البصرية للوحة، أو شيء من هذا القبيل. ما خطب أن يروي المرء قصة بحق الله؟".

سألها بوارو: "هل سيخبرني سانت جون والاس بالقصة نفسها التي قصصتها عليَّ عن ليلة الخميس الماضي؟ هل سيؤكد أنكِ كنت متواجدة في منزله في الفترة ما بين السادسة والعاشرة مساءً؟".

قالت: "بالطبع، هذا أمر غريب يا سيد بوارو، إنك تطرح عليَّ جميع الأسئلة التي قد تطرحها على القاتل، إلا أني لست القاتلة. من أخبرك بأني من ارتكب هذه الجرائم؟".

قال بوارو: "لقد شوهدتِ وأنتِ تخرجين مسرعة من فندق بلوكسهام بعد الثامنة بقليل، وكانت تبدو عليكِ أمارات الهلع، وبينما كنتِ تعدين، سقط منكِ مفتاحان على الأرض، وانحنيتِ لتلتقطيهما ، ثم بدأتِ العدو من جديد. تعرف الشاهد الذي رآكِ على وجهكِ من إحدى صوركِ في الصحف وتعرف عليكِ باعتباركِ الرسامة الشهيرة نانسي دوكاين".

قالت نانسي: "هذا مستحيل. إن شاهدك مخطئ. اسأل سانت جون ولويزا والاس".

قال بوارو: "سأفعل يا سيدتي، والآن، هناك سؤال آخر أود أن أطرحه عليكِ: هل الأحرف الأولى "ب. أ. ج" تعني لكِ شيئًا، أو ربما كانت "ب، ج. أ"؟ ربما كانت تشير إلى شخص آخر من قرية جريت هولينج".

شحب وجه نانسي دوكاين بشدة وقالت بصوت مبحوح: "نعم، باتريك جايمس أيف. لقد كان رجل الدين بالقرية".

قال بوارو: "نعم، إنه رجل الدين الذي توفي بطريقة مأساوية وزوجته، أليس كذلك؟".

قالت: "بلى".

قال بوارو: "ما الذي حدث لهما؟".

قالت: "لن أتحدث عن هذا الأمر، لن أفعل".

قال: "هذا الأمر بالغ الأهمية. إني أناشدك لأن تخبريني به".

صاحت نانسي: "لن أفعل. لن أتمكن من ذلك حتى وإن كنت راغبة في إخبارك. إنك لا تفهم. إني لم أتحدث عن هذا الأمر منذ زمن طويل. أنا..."، فتحت فمها ثم أغلقته وأبقته مغلقًا لبضع لحظات، ثم ظهر الألم على وجهها وهي تقول: "ما الذي حدث لكل من هارييت وأيدا وريتشارد؟ كيف قتلوا؟".

قال بوارو: "بالسم".

قالت: "يا له من أمر رهيب، ولكنه ملائم".

قال بوارو: "كيف هذا يا سيدتي؟ هل توفي باتريك وزوجته بالسم؟".

قالت: "قلت لك إني لن أتحدث معك عنهما".

قال بوارو: "هل كانت هناك فتاة تُدعى جيني في جريت هولينج؟".

شهقت نانسي ووضعت يدها على حلقها وقالت: "جيني هوبز. لا يوجد ما أقوله عنها، لا يوجد شيء على الإطلاق. لا تطرح عليَّ المزيد من الأسئلة"، وانفجرت بالبكاء وقالت: "لماذا يجب أن يكون الناس على هذا القدر الكبير من القسوة يا سيد بوارو؟ هل تفهم الأمر؟ لا، لا تسأل. دعنا نتحدث عن أمر آخر، أمر قد يرفع من معنوياتي قليلا. دعنا نتحدث عن الفن، طالما يهواه كلانا". نهضت نانسي وسارت نحو لوحة كبيرة معلقة على الحائط يسار النافذة. كانت لوحة رجل ذي شعر أسود جامح، وفم واسع وذقن عريض. كان يبتسم ابتسامة أقرب للضحك.

قالت نانسي: "والدي، أليبتوس جونسون. ربما سمعت بهذا الاسم".

قال بوارو: "إنه اسم مألوف، إلا أنني لست قادرًا على تذكره على الفور".

قالت: "لقد توفي منذ عامين، وكنت قد رأيته للمرة الأخيرة منذ كنت في التاسعة عشرة من عمري، وأنا الآن في الثانية والأربعين من عمري".

قال بوارو: "تقبلي تعازيَّ".

قالت: "لم أرسم هذه اللوحة، ولا أعلم من رسمها أو متى رسمها، فلا يوجد عليها توقيع أو تاريخ، لذا، أعتقد بأنه فنان مغمور، أيًا كان – مبتدئ – ولكن... إنه والدي الذي يبتسم، ولهذا السبب علقتها على الحائط. أتمنى لو كان يبتسم أكثر على أرض الواقع...". صمتت نانسي واستدارت نحو بوارو وقالت: "أرأيت؟ سانت جون والاس مخطئ. إن مهمة الفن هي استبدال القصص الحقيقية التميسة بادعاءات سعيدة".

تصاعد صوت طرقات صاخبة على باب الغرفة تبعه عودة الشرطي ستانلي بيير. أدرك بوارو الأمر من الطريقة التي نظر بها ستانلي نحوه فقط متجنبًا النظر نحو نانسي، قال ستانلي: "لقد وجدت شيئًا ما يا سيدي".

قال بوارو: "ماذا وجدت؟".

قال ستانلي: "مفتاحين. كانا في جيب أحد المعاطف، معطف أزرق داكن ذي" أكمام من الفراء، وأخبرتني الخادمة بأنه يخص السيدة دوكاين".

سألته نانسي: "أي مفتاحين؟ دعني أرهما. أنا لا أحتفظ بالمفاتيح في جيب معطفي، هناك درج كامل من أجلها".

لم ينظر ستانلي نحوها، بل اقترب من مقعد بوارو، وعندما أصبح بجانبه مباشرة فتح قبضته المضمومة.

قالت نانسي في نفاد صبر: "ما الذي في يده؟".

قال بوارو برصانة: "مفتاحان يحملان أرقام غرف، ويعودان إلى فندق بلوكسهام. الغرفة ١٢١، والغرفة ٣١٧".

سألته نانسي: "هل تعني هذه الأرقام أي شيء؟".

قال بوارو: "لقد ارتكبت اثنتين من جرائم القتل الثلاث في هاتين الغرفتين يا سيدتي: ١٢١ و٣١٧. قال الشاهد الذي رآك تهربين من فندق بلوكسهام في ليلة وقوع الجرائم إن المفتاحين اللذين سقطا منك كانا يحملان أرقامًا: مائة وشيء ما وثلاثمائة وشيء ما".

ضحكت نانسي قائلة: "يا إلهي، يا لها من مصادفة غير عادية! أوه يا سيد بوارو؟ هل أنت متأكد من أنك ماهر؟ ألا ترى ما يقع أمام أنفك؟ أيعجب

شاربك الضخم الرؤية؟ هناك من يحاول أن يلفق لي جرائم القتل، إنها مؤامرة. سأستمتع بوقتي خلال التفكير فيمن قد يفعل ذلك – طالما اتفقنا على أني لن أعدم".

سألها بوارو: "من قد تتوافر له فرصة وضع المفتاحين في جيب معطفك في الفترة ما بين ليلة الخميس الماضي واللحظة الحالية؟".

قالت: "كيف لي أن أعرف هذا؟ قد يكون أي شخص مر بجانبي في الشارع. إني أرتدي هذا المعطف الأزرق كثيرًا، إنه أمر غير منطقي".

قال بوارو: "فسري الأمر من فضلك".

استغرقت في التفكير لبضع لحظات ثم قالت: "أي شخص يكره هارييت وأيدا وريتشارد لدرجة رغبته في قتلهم... حسنًا، وقرر أنه من الأفضل أن تتجه أصابع الاتهام نحوي، ولهذا السبب حاول أن يلفق الجرائم لي".

سأل ستانلي بيير بوارو: "هل ألقي القبض عليها يا سيدي؟ هل آخذها للمخفر؟".

قالت نانسي بقلق: "لا تكن سخيفًا. قلت لك إن هناك من يحاول أن يلفق لي التهمة وتقول إنك يجب أن تلقي القبض عليَّ. هل أنت شرطي أم ببغاء؟ إن كنت ترغب في إلقاء القبض على أحد، اقبض على شاهدك. ماذا إن لم يكن مجرد كاذب، بل القاتل؟ هل فكرت في هذا؟ عليك أن تعبر الشارع على الفور وتسمع الحقيقة من سانت جون ولويزا والاس. هذه هي الطريقة الوحيدة لتضع حدًّا لهذا الهراء".

نهض بوارو من مقعده متثاقلاً، فقد كان أحد تلك المقاعد ذات الذراعين التي تجعل من نهوض شخص في مثل حجمه وشكل جسده صعبًا، وقال: "هذا ما سنفعله *بالضبط*". ثم التفت إلى ستانلي بيير وقال: "لن يتم إلقاء القبض على أحد في الوقت الحالي أيها الشرطي. سيدتي، لا أعتقد أنك ستحتفظين بمفتاحيْ الغرفتين ١٢١ و٢١٧ إن كنتِ القاتلة. لِمَ لم تتخلصي منهما؟".

قالت: "بالضبط. كنت سأتخلص منهما حالما واتتني الفرصة".

قال بوارو: "سأطلب مقابلة السيد والسيدة والاس على الفور".

قالت نانسي: "في الواقع، إنهما اللورد والليدي والاس. أعتقد بأن لويزا لن تكترث ولكن سانت جون لن يسامحك إن حرمته من لقبه".

*

لم يمر وقت طويل حتى كان بوارو يقف بجانب لويزا والاس التي كانت تحدق بجذل في اللوحة التي رسمتها لها نانسي دوكاين والتي علقتها على حائط غرفة الاستقبال، ثم قالت بأنفاس متقطعة من فرط الحماس: "أليست رائعة؟ ليست مجاملة أو منتقصة. تحتوي على الكثير من الألوان ووجه دائري مثل وجهي، لطالما اعتقدت بأني سأشبه زوجة ريفية في اللوحة ولكن هذا لم يحدث. لا أبدو فاتنة ولكني أعتقد بأني أبدو جميلة. استخدم سانت جون كلمة "مبهجة" في وصفها، كلمة لم يستخدمها لوصفي من قبل – ولكن جعلته اللوحة ينظر لي بهذه الطريقة"، ثم ضحكت وقالت: "أليس من الرائع أن يوجد في العالم أشخاص موهوبون مثل نانسي؟".

كان بوارو يواجه مشكلة في التركيز على اللوحة، فقد كانت خادمة لويزا والاس، التي تماثل خادمة نانسي دوكاين الماهرة تابيثا، مجرد فتاة خرقاء تُدعى دوركاس والتي أسقطت معطف بوارو على الأرض مرتين حتى الآن، وفي إحدى المرات انحنت لتلتقطه ونهضت لتقف فوق قبعته.

ربما كان منزل آل والاس سيبدو جميلا إن كان يدار من قبل أشخاص مختلفين، ولكن كما اكتشف بوارو في ذلك اليوم، فإن المنزل ينقصه الكثير من الأشياء. فبعيدًا عن قطع الأثاث الضخمة التي تقف أمام الحوائط بشكل جيد، كان كل شيء في المنزل يبدو كما لو أن عاصفة قد هبت داخل المنزل ورفعت كل شيء في الهواء قبل أن يسقط كل شيء بشكل عشوائي في مكان لا يناسبه. كان بوارو يمقت الفوضى، فقد كانت تمنعه عن التفكير بوضوح.

تمكنت الخادمة، أخيرًا، من رفع معطف بوارو ووضعه على حامل المعاطف ثم انصرفت وتركته بمفرده مع لويزا والاس. بقي ستانلي بيير في منزل نانسي

دوكاين لاستكمال تفتيش الغرف، ولم يكن زوج لويزا في المنزل، فقد سافر إلى أحد بيوت الأسر الريفية هذا الصباح. رأى بوارو بعض اللوحات التي رُسمت عليها أوراق الشجر المتساقطة الكئيبة والأسماك ذات الأعين الباردة، كما دعتها نانسي، معلقة على الحائط، وتساءل عما إذا كان سانت جون والاس هو من رسمها.

قالت لويزا: "آسفة بشأن دوركاس. إنها ما زالت جديدة في العمل كما أنها أكثر فتاة ميئوس منها عملت لدينا. ولكني لا أقبل بالهزيمة. إنها تعمل لدينا منذ ثلاثة أيام فقط، ولكنها ستتعلم بمرور الوقت والصبر. لو أنها لا تقلق كثيرًا فقط! أعلم أن حالها كالتالي: إنها تخبر نفسها بأنه لا يجب عليها أن تُسقط قبعة ومعطف ذلك الرجل النبيل المهم، وهذا ما يغرس فكرة إسقاطهما في عقلها، فتسقطهما. إنه أمر يثير حفيظتي بشدة".

وافقها بوارو قائلاً: "هذا صحيح يا ليدي والاس، بالنسبة ليوم الخميس الماضي...".

قالت لويزا: "نعم، فلندخل إلى صلب الموضوع – لهذا السبب أحضرتك إلى هنا لترى اللوحة. نعم، نانسي كانت هنا في تلك الليلة".

قال بوارو: "ما الفترة التي قضتها هنا يا سيدتي؟".

قالت: "لا يمكنني أن أتذكر بالتحديد. أتذكر أننا اتفقنا على أن تحضر في السادسة لتحضر لي اللوحة، ولا أتذكر أنها تأخرت عن موعدها. ولكني لا أتذكر متى انصرفت بالتحديد. إن كنت قادرة على التخمين، أعتقد أنها غادرت في العاشرة أو بعدها بقليل".

قال بوارو: "هل ظلت هنا طوال هذه الفترة حتى غادرت؟ أي أنها، على سبيل المثال، لم تغادر وتعود مرة أخرى؟".

بدت لويزا والاس حائرة وهي تقول: "لا، لقد حضرت في السادسة حاملة اللوحة، ثم بقينا معًا حتى غادرت إلى منزلها. لِمَ كل هذه الأسئلة؟".

قال بوارو: "هل يمكنكِ أن تؤكدي أن نانسي دوكاين لم تغادر منزلكِ قبل الثامنة والنصف؟".

قالت: "نعم، بكل تأكيد، لقد غادرت بعد ذلك بكثير. في الثامنة والنصف كنا مازلنا نتناول طعام العشاء".

قال بوارو: "من كان يتناول العشاء؟".

قالت: "أنا وسانت جون ونانسي".

قال بوارو: "هل سيؤكد زوجك هذا إن تمكنت من التحدث معه؟".

قالت: "نعم، أتمنى أنك لا تلمح إلى أني أكذب عليك يا سيد بوارو".

قال بوارو: "لا، لا، *على الإطلاق*".

قالت لويزا بحزم: "حسنًا"، ثم استدارت لتنظر إلى لوحتها على الجدار، وقالت: "أتعلم أن الألوان هي موهبتها الفريدة. إنها قادرة على التعبير عن الشخصية في الوجه، ولكن قوتها العظمى تكمن في استخدام الألوان. انظر إلى طريقة سقوط الضوء على ردائي الأخضر".

رأى بوارو ما تعنيه، فقد كان اللون الأخضر يبدو فاتحًا في لحظة ثم داكنًا في لحظة أخرى، ولم تكن هناك ظلال ثابتة، بل بدا الضوء وكأنه يتغير بينما يدقق المرء في اللوحة، لقد كانت هذه مهارة نانسي دوكاين الفريدة. صورت اللوحة لويزا والاس جالسة على مقعد مرتدية رداءً أخضر اللون مكشوف الكتفين، وخلفها قدر أزرق ومجموعة من الأواني الفخارية على طاولة خشبية. جاب بوارو جميع أرجاء الغرفة لينظر إلى اللوحة من جميع الجهات والزوايا.

قالت لويزا والاس: "لقد رغبت في أن أعطي نانسي أجرًا يماثل ما تتقاضاه مقابل اللوحات، ولكنها رفضت بشدة. يا لي من محظوظة على وجود مثل هذه الصديقة السخية في حياتي! أتعلم، أعتقد أن زوجي يغار قليلاً منها – أعني من لوحاتها. إن المنزل بأكمله يعج بلوحاته – لم يعد هناك جدار خال في المنزل. كانت لوحاته فقط حتى وصلت هذه اللوحة. هناك منافسة سخيفة بين زوجي ونانسي، ولكني لا أهتم بها، فكل منهما بارع بطريقته الخاصة".

فكر بوارو، لقد أعطت نانسي دوكاين اللوحة لـ لويزا كهدية إذن. هل لم تكن ترغب في أي شيء في المقابل بحق، أم أنها كانت تأمل في الحصول على حجة غياب؟ بعض الأصدقاء المخلصين قد لا يتمكنون من المقاومة إن طُلب منهم

أن يلقوا بكذبة صغيرة غير مؤذية بعد أن يتم إهداؤهم مثل تلك الهدية الرائعة.
سأل بوارو نفسه عما إذا كان عليه أن يُخبر لويزا والاس بأنه حضر إلى منزلها من أجل التحقيق في جريمة قتل، فلم يكن قد أخبرها بذلك بعد.

استُدرج بوارو بعيدًا عن أفكاره عندما ظهرت الخادمة دوركاس فجأة في الغرفة، حيث قفزت وعلى وجهها أمارات الجدية والتوتر. وقالت: "معذرة يا سيدي".

قال بوارو متوقعًا أن تخبره بأنها قد أشعلت النار في معطفه وقبعته عن طريق الخطأ: "ما الأمر؟".

قالت: "هل ترغب في كوب من الشاي أم قدح من القهوة، يا سيدي؟".

قال بوارو: "هل هذا ما حضرت لتسأليني عنه؟".

قالت دوركاس: "نعم يا سيدي".

قال بوارو: "ألا يوجد أي أمر آخر؟ هل وقع خطب ما؟".

قالت دوركاس مرتبكة: "لا يا سيدي".

قال بوارو: "حسنًا. في هذه الحالة. أحضري لي قدحًا من القهوة من فضلك".

قالت: "على الفور يا سيدي".

غمغمت بينما كانت الفتاة تسرع خارجة من الغرفة: "أرأيت هذا؟ هل تصدق هذا؟ لقد اعتقدت بأنها على وشك أن تقول إنها يجب أن تغادر المنزل في الحال لتزور والدتها التي تحتضر. لقد فاض بي الكيل. عليَّ أن أطردها على الفور. إن عدم حصولي على أية مساعدة أفضل من المساعدة التي تقدمها لي. من المستحيل العثور على فتيات ماهرات هذه الأيام".

أصدر بوارو بعض الأصوات التي تنم عن الاهتمام، فلم يكن يرغب في مناقشة حالة الخدم، بل كان يهتم أكثر بأفكاره الخاصة، خاصة تلك الفكرة التي راودته بينما كانت لويزا والاس تشكو من دوركاس وهو يحدق في القدر والأوعية الفخارية الزرقاء المرسومة في اللوحة.

قال بوارو: "سيدتي، هل يمكن أن آخذ المزيد من وقتكِ... هل جميع اللوحات الأخرى المعلقة على الحائط تعود إلى زوجكِ؟".

قالت: "نعم".

قال بوارو: "لقد قلتِ إنه رسام بارع أيضًا. سيشرفني يا سيدتي إن أخذتني في جولة في منزلكِ الجميل. أود بشدة أن أرى بقية لوحات زوجكِ. لقد قلتِ إنها معلقة على جميع حوائط المنزل، أليس كذلك؟".

قالت لويزا: "نعم. سيسرني أن آخذك في جولة لتشاهد أعمال سانت جون الفنية وسترى بنفسك أني لم أكن أبالغ". ثم ابتسمت لويزا وصفقت بيديها وقالت: "يا له من أمر مرح! كم أتمنى لو كان سانت جون هنا — كان سيخبرك عن اللوحات أكثر مما سيمكنني أنا، ولكني سأبذل أقصى ما في وسعي. سيذهلك يا سيد بوارو عدد الأشخاص الذين يحضرون للمنزل ولا يشاهدون اللوحات أو يسألون عنها أو أي شيء من هذا القبيل. دوركاس مثال حي على ذلك، فهناك أكثر من خمسمائة قطعة من القماش محاطة بأطر ولكنها لا تلاحظ الفرق بينها. دعنا نبدأ من الردهة، ما رأيك؟".

فكر بوارو، بينما كان يجوب أنحاء المنزل، بأنه محظوظ، فقد رأى الكثير من فصائل العناكب والنباتات والأسماك في اللوحات، حيث إنه يقدر الفن بشدة. عندما شاهد الفارق بين أعمال سانت جون ونانسي دوكاين، كون رأيًا خاصًا به، فقد كانت لوحات سانت جون دقيقة وقيمة ولكنها لا تؤثر في إحساس أي شخص، أما موهبة نانسي دوكاين كانت أرقى بكثير، فقد تمكنت من إدراج جوهر لويزا والاس في اللوحة وجعلتها حية على قماشها كما لو كانت تعيش على أرض الواقع. وجد بوارو نفسه راغبًا في مشاهدة اللوحة مرة أخرى قبل مغادرة المنزل، ولكن ليس فقط من أجل التأكد من أنه لم يخطئ بشأن التفاصيل المهمة التي اعتقد بأنه لاحظها.

ظهرت دوركاس على قمة الدرج في الطابق العلوي وقالت: "قهوتك يا سيدي". فخرج بوارو، الذي كان داخل غرفة مكتب سانت جون، ليأخذ قدح القهوة من يدها، ولكنها خطت للخلف فجأة كما لو لم تكن تتوقع أن يتحرك نحوها وسكبت أغلب محتوى القدح على مئزرها الأبيض فقالت: "يا إلهي، معذرة يا سيدي، يا لي من حمقاء. سأعد لك قدحًا آخر على الفور".

قـال بوارو: "لا، من فضلك، لا يهم". ثـم أمسك بالقدح وتجرع ما تبقى من الشراب مرة واحدة قبل أن ينسكب المزيد منه.

قالت لويـزا والاس التي كانت لا تزال داخل غرفة المكتب مشيرة إلى إحدى اللوحـات التـي لم يتمكـن بوارو مـن رؤيتها من حيـث يقف: "هـذه اللوحة هي المفضلـة بالنسبة لـي: *اللبلاب الأزرق*. هل تـرى هذا؟ لقد رسمهـا في الرابع من أغسطس من العـام الماضي. لقد كانت هدية الذكرى السنوية لزواجنا من سانت جون. لقد مر على زواجنا ثلاثون عامًا، جميلة، أليست كذلك؟".

قالـت دوركاس: "هل أنت واثق من أنك لا ترغب في قدح آخر من القهوة يا سيدي؟".

غمغـم بوارو لنفسه بينما كانت الحماسـة تتصاعد داخله: "الرابع من... *يا للصاعقة!*". ثم عاد إلى غرفة المكتب لينظر إلى لوحة اللبلاب الأزرق.

قالـت لويزا: "لقد أجاب عن هذا السؤال مرة يـا دوركاس، إنه لا يرغب في المزيد من القهوة".

قالـت دوركاس: "لا توجـد مشكلة يا سيدتي، لقد أراد قدحًا من القهوة، ولم يتبق في القدح كم كاف من القهوة عندما حصل عليه".

قال بوارو بغموض: "إن لم يكن هناك شيء، لن يراه المرء. ولن يفكر المرء في شيء. أن تحاول أن تلاحظ شيئًا غير موجود — أمر بالغ الصعوبة، حتى على بـوارو، حتى ينظر المرء في مكان آخر قـد يتواجد فيه هذا الشيء". ثم أمسك بيد دوركاس وقبلهـا قائلاً: "أيتها الشابة الرائعة، إن ما أحضرته لي أكثر قيمة من القهوة".

أمالـت دوركاس رأسها وجحظت عيناها وقالـت: "أوه، لقد ظهر في عينيك الخضراوين تعبير غريب يا سيدي".

سألتـه لويزا والاس قائلة: "ما الذي تعنيه يا سيد بـوارو؟ دوركاس، اذهبي لتقومي بعمل مفيد".

أسرعت دوركاس مغادرة وهي تقول: "أمرك يا سيدتي".

قال بوارو: "أنا أدين بالفضل لـ دوركاس ولك يا سيدتي. عندما حضرت إلى هنـا، منذ متى -- نصـف الساعة؟ - لم تكن الأمور واضحة أمامي. لم أكن أرى سـوى الألغاز والأمور المختلطة، أما الآن، فقد بدأت الأمور تتضح أمامي... من المهم جدًا أن أفكر قليلاً دون مقاطعات".

بـدت لويـزا خائبـة الأمـل وهـي تقـول: "أوه، حسنًـا، إن كنـت ترغـب في المغادرة...".

قـال بوارو: "لا، لا، لقد أسأتِ فهمي. معـذرة يا سيدتي. إنني المخطئ، فلم أوضـح مـا أردت قوله جيدًا. لاشك في أنه يجب علينـا استكمال الجولة الفنية، فـلا يزال أمامنا الكثير لاستكشافه، ولكنـي عليّ بعد ذلك أن أغادر لأتمكن من التفكير دون مقاطعات".

نظـرت لـه لويزا في اهتمام وقالت: "هل أنت واثق مـن هذا؟ حسنًا، لا بأس إذن، إن لم تكن الجولة الفنية تشعرك بالملل". تابعت لويزا تعليقاتها المتحمسة على لوحات زوجها بينما كانا ينتقلان من غرفة لأخرى.

في واحدة من غرف الضيـوف، الغرفة الأخيرة التي وصلا إليها في الطابق العلوي، كان هناك قدر أبيض ومجموعة من الأواني الفخارية ذات قمة مزخرفة تحمـل ألوان الأحمر والأخضر والأبيض، كما كانت هناك طاولة خشبية ومقعد، والتي لاحظ بوارو وجودها في لوحة نانسي دوكاين التي رسمتها من أجل لويزا، فقـال: "معـذرة يا سيدتـي، ولكن أين القـدور والأواني الفخاريـة الزرقاء التي ظهرت في اللوحة؟".

رددت لويزا ما قاله حائرة: "القدور والأواني الفخارية الزرقاء".

قـال بوارو: "أعتقـد أنكِ جلست أمام نانسي لترسمـكِ هنا في هذه الغرفة، أليس كذلك؟".

قالـت لويزا: "نعم، لقد فعلـت، و... مهلاً. إن هذه القدور والأواني الفخارية موجودة في غرفة الضيوف الأخرى".

قال بوارو: "ولكنها لم تعد هناك، لقد نُقلت إلى هنا، أليس كذلك؟".

قالت لويزا: "بالفعل، ولكن... أين القدور والأواني الفخارية الزرقاء إذن؟".

قال بوارو: "لا أعلم يا سيدتي".

قالت لويزا: "حسنًا، لابد وأنها في غرفة أخرى. ربما في غرفتي. ربما نقلتها دوركاس ما بين الغرف". قالتها ثم انطلقت مسرعة بحثًا عن الأغراض المفقودة.

تبعها بوارو وهو يقول: "ليس هناك أي مجموعة أخرى من الأواني والقدور الفخارية في أي من الغرف".

بعد أن بحثت في الأمر بدقة، عادت لويزا والاس لتقول شيئًا وهي تصر على أسنانها، حيث قالت: "هذه الفتاة عديمة النفع. سأخبرك بما حدث يا سيد بوارو. لقد كسرتها دوركاس وخافت أن تخبرني بالأمر. هل نذهب لنسألها؟ لا شك في أنها ستنكر الأمر، ولكن هذا الاحتمال الوحيد الوارد لما حدث. إن القدور والأواني الفخارية لا تختفي ولا تتنقل ما بين الغرف من تلقاء نفسها".

قال بوارو: "متى رأيتِ القدور والأواني الزرقاء للمرة الأخيرة يا سيدتي؟".

قالت لويزا: "لا أعلم. لا أعتقد بأني رأيتها منذ فترة. إنني لا أدخل إلى غرف الضيوف كثيرًا".

قال بوارو: "هل من المحتمل أن تكون نانسي دوكاين هي من أخذ القدور والأواني الزرقاء معها بينما كانت تغادر منزلك ليلة الخميس الماضي؟".

قالت لويزا: "كلا، ولم تفعل ذلك؟ هذا أمر سخيف. لقد كنت واقفة على باب المنزل لأودعها ولم تكن تحمل أي شيء في يدها عدا مفاتيح منزلها، هذا إلى جانب أن نانسي ليست لصة، أما دوركاس، فعلى النقيض... لقد قُضي الأمر، إنها لم تكسرها، بل سرقتها، أنا واثقة من ذلك – ولكن كيف يمكنني إثبات هذا؟ ستنكر الأمر تمامًا".

قال بوارو: "سيدتي، افعلي معروفًا من أجلي: لا تتهمي دوركاس بالسرقة أو بأي شيء آخر. لا أعتقد أنها مذنبة".

قالت لويزا: "أين إذن قدري وأوعيتي الفخارية؟".

قال بوارو: "هذا ما عليَّ أن أفكر به. سأتركك بمفردك في القريب، ولكن هل لي بأن ألقي نظرة أخيرة على لوحة نانسي دوكاين الرائعة التي رسمتها لكِ؟".

قالت لويزا: "بكل سرور".

عاد كل من لويزا والاس وهيركيول بوارو أدراجهما وهما يهبطان الدرج نحو غرفة الاستقبال، ووقفا أمام اللوحة وغمغمت لويزا: "يا إلهي! إن كل ما أراه الآن عندما أنظر إلى اللوحة، القدور والأواني الفخارية الزرقاء".

قال بوارو: "نعم، إنها بارزة للغاية، أليس كذلك؟".

قالت لويزا: "لقد كانت ضمن أغراض منزلي، ولكنها لم تعد كذلك الآن، وكل ما يمكنني فعله الآن هو أن أحدق بها وأتساءل، أين ذهبت. يا إلهيّ! لقد تحول اليوم ليصبح مزعجًا!".

•

سألت بلانش أنسوورث، كعادتها، بوارو عندما عاد إلى المنزل عما إذا كان يرغب في أن تحضر له أي شيء.

قال لها بوارو: "نعم هناك ما أرغب في أن تحضريه لي. أرغب في ورقة وبعض الأقلام الرصاص للرسم. أقلام ملونة".

امتقع وجه بلانش وقالت: "يمكنني أن أحضر لك الورقة، أما بالنسبة للأقلام الرصاص الملونة، لا يمكنني الجزم بأني أمتلك أيًا منها، إلا إن كنت مهتمًا بلون الأقلام الرصاص العادية".

قال بوارو: "آه، اللون الرمادي: أفضلها جميعًا".

قالت بلانش: "هل تسخر مني يا سيد بوارو؟ أترغب في اللون الرمادي؟".

ربت بوارو على جانب رأسه وهو يقول: "نعم. لون الخلايا الرمادية الصغيرة".

قالت بلانش: "لا، أنا أفضل اللون الوردي أو الأرجواني".

قال بوارو: "اللـون لا يهم – رداء أخضر، وقدور وأوانٍ فخارية زرقاء، وأوان فخارية بيضاء".

قالت بلانش: "لا أفهم ما تقول يا سيد بوارو".

قـال بـوارو: "لم أطلب منـكِ هذا يا سيـدة أنسوورث – بل طلبـت منكِ أن تحضـري لي أحد أقلامـكِ الرصاص العادية وورقـة، أسرعي. وظرف خطاب. لقـد تحدثت كثيرًا عن الفنِ اليـوم. سيحاول هيركيول بوارو الآن أن يشكل عمله الفني الخاص!".

بعد عشريـن دقيقة قضاها جالسًا إلى إحدى طاولات غرفة الاستقبال، دعا بـوارو السيدة أنسوورث مرة أخرى، وعندما ظهرت أمامه، سلمها الظرف الذي أغلقـه بحرص وقال: "اتصلـي بشرطة سكوتلانـد يارد من أجلـي من فضلكِ وأخبريهـم بأن يرسلوا شخصًا ما لأخذ هـذا الظرف في أسرع وقت ممكن وأن يسلمـه للشرطي ستانلي بيير. لقد دونت اسمه على الظـرف. وضحي لهم من فضلـكِ أن الأمـر مهم، وأنه يتصل بشكل مباشـر بجرائم القتل التي حدثت في فندق بلوكسهام".

قالت بلانش: "لقد اعتقدت بأنك ترسم لوحة".

قال بوارو: "إن لوحتي داخل هذا الظرف ومعها خطاب".

قالت بلانش: "لن يمكنني رؤية اللوحة إذن، أليس كذلك؟".

ابتسـم بـوارو وقال: "ليس مـن الضـروري أن تريها يا سيدتـي، إلا إن كنتِ تعملين في سكوتلاند يارد – ولم يتبادر إلى علمي أنكِ تعملين هناك".

بدت بلانش أنسوورث حائرة وهي تقول: "أوه، أعتقد أنه يجب عليَّ أن أتصل بهم من أجلك".

قال بوارو: "شكرًا لكِ سيدتي".

عندما عادت بعد خمس دقائق، كانت تضع يدها على فمها وقد احمر وجهها وهي تقول: "يا إلهي! سيد بوارو. هناك أخبار سيئة. لا أعلم ماذا حل بالناس".

قال بوارو: "ما الأمر؟".

قالـت: "لقد اتصلت هاتفيًا بشرطـة سكوتلاند يارد كمـا طلبت وأخبروني بأنهـم سيرسلون شخصًا ما ليأخذ الخطاب، ثـم دق جرس الهاتف مرة أخرى بمجرد أن وضعت سماعته، يا له من أمر رهيب يا سيد بوارو".

قال بوارو: "اهدئي يا سيدتي وأخبريني بالأمر من فضلكِ".

قالـت بلانش: "لقد وقعت جريمة قتـل أخرى في فنـدق بلوكسهام. لا أعلم ماذا حل بهذه الفنادق الفاخرة".

الفصل ١٤

انعكاس العقل في المرآة

عندما عدت إلى لندن، توجهت على الفور إلى مقهى بليزانت متوقعًا أن أعثر على بوارو هناك، ولكن الوجه الوحيد المألوف الذي رأيته في المقهى كان وجه النادلة التي يطلق عليها بوارو لقب "ذات الشعر الناعم". لطالما وجدت هذه النادلة مبهجة وكنت أستمتع بمقهى بليزانت بسبب وجودها أكثر من أي شيء آخر. ماذا كان اسمها؟ لقد أخبرني به بوارو. نعم: في سبرينغ، اختصار إيوفيميا.

كانت تعجبني في المقام الأول بسبب الجملتين ذاتهما اللتين تكررهما كل مرة تراني فيها، واللتين قالتهما لي الآن. الأولى كانت عن طموحها القديم لتغيير اسم بليزانت من "مقهى" إلى "صالة شاي" لكي يعكس المميزات المشتركة بين المشروبين. وكانت الثانية: "كيف يعاملك رؤساؤك في سكوتلاند يارد؟ أرغب في أن أعمل هناك – إن كنت سأصبح الرئيسة، انتبه".

قلت لها: "أنا واثق من أنكِ ستصبحين قائدة قوات الشرطة في فترة قصيرة، مثلما أشك في أني سأصل إلى هنا في أحد الأيام وأرى عبارة صالة الشاي مكتوبة على اللافتة في الخارج".

قالت في: "معك حق، إنه الأمر الوحيد الذي لن يسمحوا لي بتغييره. أعتقد أن السيد بوارو لن يعجبه ذلك، أليس كذلك؟".

قلت: "سيفاجئه الأمر كثيرًا".

قالت: "لا تخبره أو تخبر أي شخص آخر". كانت في قد قررت أن تغيير اسم مكان عملها أمر لا يجب أن يعلم عنه أحد شيئًا سواي.

طمأنتها قائلاً: "لن أخبر أحدًا. سأخبركِ بأمر ما: تعالي واعملي معي على حل ألغاز الجرائم، وسأسأل رئيسي في العمل عما إذا كان باستطاعتنا أن نغير اسم مكان عملنا ليصبح صالة شاي سكوتلاند يارد. إننا نشرب الشاي هناك، لذا، أعتقد بأن الاسم سيكون ملائمًا".

لم يُثر ما قلته إعجاب في، فقالت: "سمعت بأن النساء اللواتي يعملن في الشرطة يُطردن بمجرد أن يتزوجن. لا بأس من هذا، فأنا أفضل أن أحل ألغاز الجرائم معك على أن أحظى بزوج لأعتني به".

قلت: "اتفقنا إذن".

قالت: "لا تتقدم للزواج مني إذن".

قلت: "لا تقلقي".

قالت: "إنك رجل رائع، أليس كذلك؟".

قلت، لكي أخرج نفسي من المأزق الذي وضعت نفسي فيه: "لن أتقدم للزواج من أية امرأة، ولكن إن أجبرني والداي على الزواج، عبر توجيه فوهة مسدس إلى رأسي، فسأتقدم للزواج منكِ قبل أية فتاة أخرى – ما رأيكِ بهذا؟".

قالت: "أنا أفضل من فتاة أخرى حالمة تملأ الأفكار الرومانسية رأسها والتي ستصاب بخيبة أمل كبيرة".

لم أكن أرغب في التحدث عن الرومانسية، فقلت: "من منطلق شراكتنا في حل الجرائم... لا أعتقد أن بوارو سيأتي إلى هنا، أليس كذلك؟ كنت آمل أن أجده هنا ينتظر ظهور جيني هوبز".

قالت: "هل اسمها جيني هوبز؟ لقد عثرت على اسم عائلتها إذن. سيُسر السيد بوارو بمعرفة من كان يبحث عنها طوال الوقت. ربما سيتوقف عن إزعاجي الآن. كلما التفت، كنت أجده أمامي طارحًا الأسئلة ذاتها عن جيني،

الأسئلة التي طرحها عليّ من قبل أكثر من مرة، مع أني لم أسأله أبدًا عن مكانك – أبدًا".

فاجأني التصريح الأخير فقلت لها: "ولِمَ تسألين عن مكاني؟".

قالت: "لم أفعل ولن أفعل. على المرء أن يكون حذرًا من نوعية الأسئلة التي يطرحها. هل اكتشفت أي شيء آخر عن جيني؟".

قلت: "لن يمكنني إخبارك للأسف".

قالت: "في هذه الحالة، لم لا أخبرك أنا بأمر ما؟ أمر قد يرغب السيد بوارو في معرفته". أشارت في نحو طاولة خالية لنجلس عليها، وعندما جلسنا قالت لي: "في تلك الليلة، عندما دخلت جيني إلى المقهى وتعلو وجهها علامات التوتر والهلع – الخميس الماضي، أخبرت السيد بوارو بأني لاحظت أمرًا ما، ولكنني نسيته. لقد تذكرت الأمر. كان الظلام قد خيم ولم أكن قد أسدلت الستائر. إني لا أسدلها مطلقًا، حيث أعتقد أنها تنير الشارع في الخارج وأن الناس عندما يتمكنون من رؤية ما بالداخل، فمن الأكثر ترجيحًا أنهم سيدخلون".

قلت لها مداعبًا: "خاصة إن تمكنوا من رؤيتك بالداخل".

ابتسمت عيناها وقالت: "بالضبط".

قلت: "ما الذي تقصدينه؟".

قالت: "عندما أخبرتها بأن تغلق الباب، أسرعت جيني نحو النافذة وحدقت بالخارج، كانت تتصرف كما لو أن هناك من يتبعها. ظلت تحدق وتحدق عبر النافذة، ولكن كل ما كانت تراه هو انعكاس صورتها وصورة هذه الغرفة وأنا – انعكاسي، ورأيتها أنا أيضًا. لقد تعرفت عليها بهذه الطريقة. يمكنك أن تسأل السيد بوارو، وسيخبرك بالأمر. قلت حينها: أوه، هذا أنت". فالتفتت نحوي، وأصبحت النافذة مثل المرآة حيث إن المكان في الداخل كان مضاءً والشارع في الخارج كان مظلمًا. ربما تقول الآن إنها كانت تحاول أن ترى ما يحدث في الخارج إلا أن محاولتها لم تُكلل بالنجاح، ولكن هذا ليس صحيحًا".

قلت: "ماذا تعنين؟".

قالـت: "إنها لم تكـن تحاول أن ترى ما إذا كان هناك مـن يتبعها، بل كانت تراقبنـي، كما كنت أراقبها. فقد تمكنت من رؤيـة انعكاس عينيها وكانت قادرة على رؤية عينيّ - كما يحدث عند النظر في المرآة. إن كنت تعرف ما أقصده؟".

أومأت برأسي وقلت: "إن كنت قادرًا على رؤية انعكاس شخص ما في المرآة، فسيكون قادرًا على رؤيتك أيضًا".

قالـت: "بالضبط. وكانت جيني تراقبنـي، أقسم على هذا: منتظرةً لترى ما سأقوله أو أفعله بشأن دخولها. ما سأقوله لاحقًا سيبدو غريبًا يا سيد كاتشبوول، ولكـن بـدا الأمر كما لو أني قادرة على رؤية ما يزيد عن عينيها. لقد كنت قادرة علـى رؤية ما تفكر به، إن لم يكن هذا مـن محض خيالي، أقسم على أنها كانت تنتظر أن أتولى زمام الأمر".

قلت مبتسمًا: "أي شخص عاقل كان سينتظر أن تتولي زمام الأمور".

أصـدرت فـي صوتًا ينـم عن الانزعاج ثـم قالت: "لا أعلم كيـف نسيت هذا الأمـر. أرغب فـي أن أوبخ نفسي على أني لم أتذكر الأمـر قبل الآن. أقسم على أنـي لا أتخيل الأمر. فقـد كان انعكاسها يحدق في عينـيّ مباشرة، كما لو..."، قطبـت في حاجبيها وقالت: "كما لو كنت أنا الخطر المحدق بها وليس شخصًا فـي الخارج، ولكن لم نظرت لي بهـذه الطريقة؟ هل يمكنك أن تفسر الأمر؟ أنا لا يمكنني هذا".

*

بعـد أن تفقدت الأمـور في مقر شرطة سكوتلاند يارد، عـدت إلى المنزل لأجد بـوارو على وشك المغادرة، فقد كان يقف بجوار الباب الأمامي المفتوح مرتديًا معطفـه وقبعته، وكان وجهه محتقنًا بشدة ويبـدو قلقًا كما لو كان يواجه مشكلة في البقاء ساكنًا. لم أره في هذه الحالة من قبل. على غير عادتها، لم تُبد بلانش أنسـوورث أي اهتمام بوصولي، وكانت تتحدث، بدلًا من ذلك، عن السيارة التي تأخرت، وكان وجهها محتقنًا للغاية هي الأخرى.

قال بوارو وهو يعدل من شاربه بأطراف أصابع يده التي يكسوها القفاز: "علينا التوجه إلى فندق بلوكسهام يا كاتشبوول، فور أن تصل السيارة".

قالت بلانش: "كان من المفترض أن تصل السيارة منذ عشر دقائق، ربما جاء تأخيرها في صالحنا، لكي يذهب معك السيد كاتشبوول".

سألت: "ما الأمر؟".

قال بوارو: "وقعت جريمة قتل أخرى في فندق بلوكسهام".

قلت: "يا إلهي". ظللت لعدة لحظات أشعر بالهلع يستشري في جميع أجزاء جسدي، ودارت في عقلي فكرة: إعداد جثث الموتى للدفن. واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة...

ثماني أيد خالية من الحياة تتجه راحاتها نحو الأسفل...

أمسك بيده يا إدوارد...

سألت بوارو وقد اندفع الدم في أذنيّ: "هل هي جيني هوبز؟".

كان عليّ أن أستمع له فيما تعلق بتعرضها لخطر محدق. لمَ لم آخذ ما قاله على محمل الجد؟

قال بوارو: "لا أعلم. آه، لقد توصلت إلى اسمها الكامل إذن. لقد استدعانا السيد لازاري عبر الهاتف ولكن لا يمكنني أن أتصل به من حينها. جيد، ها هي السيارة".

بينما كنت أتوجه نحو السيارة، شعرت بشيء يجذبني للخلف، حيث كانت بلانش أنسوورث تتعلق بكم معطفي وتقول: "خذ حذرك في هذا الفندق يا سيد كاتشبوول، فلن أحتمل أن تُصاب بأذى".

قلت: "سآخذ حذري".

عبست بلانش بشدة وقالت: "إن سألتني عن رأيي فسأقول لك ألا تذهب إلى هناك. ما الذي كان يفعله ذلك الشخص هناك على أية حال، الرجل الذي قَتل هذه المرة؟ لقد قُتل ثلاثة أشخاص بالفعل في ذلك الفندق الأسبوع الماضي. لمَ لم يذهب ليقيم في مكان آخر حتى لا يلاقي نفس المصير الذي لاقاه الضحايا

الثلاث؟ لقد أخطأ عندما تجاهل جميع دلالات الخطر تلك ووضعك في هذا الموقف العصيب".

فكرت في نفسي قائلاً: "سأقول هذا لجثته بلا أدنى شك"، وأخبرت نفسي بأنه إن ابتسمت وقلت الكلمات المناسبة، فسأشعر بهدوء أكبر.

نصحتني بلانش قائلة: "انصح بقية النزلاء عندما تلتقيهم، وأخبرهم بأني أمتلك غرفتين خاليتين، ربما لن تكونا متسعتين مثل غرف فندق بلوكسهام، ولكن سيستيقظ الجميع أحياء في الصباح".

دعاني بوارو من السيارة قائلاً: "أسرع من فضلك يا كاتشبوول".

أعطيت حقائبي إلى بلانش وأسرعت منفذًا ما أمرني به.

بمجرد أن انطلقت بنا السيارة في وجهتنا، قال بوارو: "كنت آمل بشدة في منع وقوع جريمة القتل الرابعة يا صديقي، ولكني فشلت".

قلت: "لم أكن لأنظر إلى الأمر بهذه الطريقة".

قال بوارو: "حقًا؟".

قلت: "لقد بذلت قصارى وسعك، ولا يعني نجاح القاتل فشلك".

ظهرت علامات الخزي جلية على وجه بوارو وهو يقول: "إن كان هذا رأيك، فستكون الشرطي المفضل لدى جميع القتلة. لقد فشلت دون أدنى شك"، ثم رفع يده ليمنعني عن الحديث واستطرد قائلاً: "لا تقل أي شيء سخيف آخر. أخبرني عما فعلته في جريت هولينج. ما الذي اكتشفته، بغض النظر عن اسم عائلة جيني؟".

أخبرته بكل ما حدث خلال رحلتي، وكنت أشعر بأني أعود لطبيعتي بالتدريج في أثناء الحديث، وتأكدت من ألا أفوت أية تفاصيل قد يعتبرها شخص مدقق مثل بوارو ذات صلة بالقضية. بينما كنت أتحدث، لاحظت أمرًا بالغ الغرابة: كانت عيناه تزدادان اخضرارًا، وبدا الأمر كما لو أن هناك شخصًا يرسل أضواء لامعة من داخل رأسه ليجعل عينيه تتألقان بهذه الطريقة.

عندما انتهيت من سرد قصتي، قال: "كانت جيني إذن خادمة باتريك أيف في كلية الدين بجامعة كامبريدج. هذا أمر مثير للاهتمام".

قلت: "لماذا؟".

لم أتلق أية إجابة منه، ولكنه طرح عليّ سؤالاً آخر.

قال: "إنك لم تنتظر مارجريت إيرنست وتتبعها بعد زيارتك لكوخها، أليس كذلك؟".

قلت: "أتبعها؟ لا. لم يكن هناك داع لأن أفكر في أنها ستذهب إلى أي مكان، فقد كان من الجلي أنها تجلس طوال اليوم لتحدق عبر نافذتها في قبر آل أيف".

قال بوارو بحدة: "هناك الكثير من الأسباب التي تدل على أنها بصدد التوجه إلى مكان ما، أو أن هناك من سيزورها. فكر يا كاتشبوول. إنها لم تكن ترغب في إخبارك عما حدث لـ باتريك وفرانسيس أيف في اليوم الأول الذي تحدثت فيه معها، أليس كذلك؟ وقالت لك: "عد في الغد"؛ وعندما فعلت أخبرتك بالقصة بأكملها. ألم يخطر ببالك أن السبب وراء هذا التأجيل هو رغبتها في استشارة شخص ما؟".

قلت: "لا، في الحقيقة، لم أفكر في هذا. لقد خطر ببالي أنها امرأة ترغب في التفكير في الأمر مليًا وألا تتسرع في اتخاذ القرارات المهمة. وفكرت أيضًا في أنها امرأة تحب اتخاذ قراراتها بنفسها، وليست امرأة ستسرع إلى أحد أصدقائها طلبًا للنصيحة، لذا، لم أشك في شيء من هذا القبيل".

قال بوارو: "ولكني، على النقيض منك، شككت. أشك في أن مارجريت إيرنست كانت ترغب في استشارة الطبيب أمبروز فلاورداي حيال ما يجب عليها قوله".

اعترفت بالأمر قائلاً: "حسنًا، من المرجح أن يكون أكثر من أي شخص آخر، فقد ذكرت اسمه خلال حديثنا عدة مرات. من الواضح أنها تحترمه كثيرًا".

قال بوارو: "ولكنك لم تذهب للبحث عن الطبيب فلاورداي. لقد كنت شريفًا أكثر من اللازم لتفعل ذلك، حيث التزمت بتعهدك بأن تلتزم الصمت، وحسك الإنجليزي بالذوق هو ما جعلك تستبدل كلمة "حب" بكلمة "احترام"، أليس كذلك؟ إن مارجريت إيرنست تحب أمبروز فلاورداي - يتضح هذا جليًا عبر

مـا أخبرتني بـه، فقد كانت تغمرهـا الكثير من المشاعـر الجياشة بينما كانت تقص عليك قصة رجل الدين وزوجته اللذين لم تلتقهما أبدًا، أليس كذلك؟ لا، إن شغفها هو الطبيب فلاورداي – وشعرت بما يشعر به حيال الموت المأساوي الذي ألم بالمبجل أيف وزوجته – واللذين كانا صديقيه المقربين. أفهمت الآن يا كاتشبوول؟".

لـم أعلق على ما قال، فقد بدت لي مارجريت إيرنست شغوفة بالمبادئ التي علـى المحك مثل أي شيء آخر – فكرة الظلم الذي تعرض له آل أيف – ولكني أعلـم أن التصريح بهـذا الأمر سيكون حماقة مني، حيـث إن بوارو سيلقي عليَّ محاضـرة عن عدم قدرتي على ملاحظة مشاعـر الحب، ولكي أبعد تفكيره عن أخطائـي التـي لا تُعـد ولا تُحصى، أخبرتـه بزيارتي إلى مقهـى بليزانت، وعما أخبرتنـي به في سبرينـج، وسألته عندمـا قفزت سيارتنا فوق شـيء كبير كان ملقى في منتصف الطريق: "ما الذي يعنيه هذا في رأيك؟".

تجاهـل بـوارو سؤالي مرة أخـرى، وسألني عما إذا كنت قـد أخبرته بجميع التفاصيل.

قلت: "نعـم، هذا كل ما حدث في جريت هولينـج. الأخبار الأخرى الوحيدة هو الفحص الـذي أجري اليوم، وكان سبب الوفاة هو السم، سم السيانيد، كما اعتقدنـا، ولكن هناك لغزًا محيرًا في الأمـر: لم يُعثر على أي طعام تناولوه قبل وفاتهـم بفتـرة قصيرة ضمـن محتويات معداتهـم. لم يتنـاول أي من هاربيت سيبيل وأيدا جرانسبري وريتشارد نيجوس أي طعام قبل مقتلهم ببضع ساعات، مما يعني أننا بصدد التفكير فيمن تناول طعام وجبة شاي ما بعد الظهر".

قال بوارو: "لقد حُل هذا اللغز".

قلت: "حُل؟ كنت أعتقد بأنه لغز جديد، أليس كذلك؟".

قـال بـوارو بأسف: "كاتشبـوول، إن أخبرتـك بالإجابـة، إن أشفقت عليك، فلـن تشحذ قدراتك للتفكير بمفردك – ويجب عليـك ذلك، من بين أصدقائي المقربيـن، صديق لـم أخبرك بشأنه من قبل، اسمـه هاستينجز، والذي طالما

توسلت له ليستخدم خلايا مخه الرمادية الصغيرة، ولكنني أعلم أنه لا يمكن مقارنتها بخلايا مخي".

كنت أعتقد بأنه يهيئ الأمر ليطري عليّ - ولكنه قال: "أما أنت، فعلى النقيض... لن تُقارن خلايا مخك بخلايا مخي، ولكن ليس الذكاء هو ما تفتقده، ولا الحساسية، ولا الابتكار، بل الثقة. فبدلاً من أن تحاول البحث عن إجابة، تبحث عن شخص ما ليعثر عليها بدلاً منك - حسنًا، لقد عثرت على هيركيول بوارو، ولكن بوارو ليس مجرد شخص ماهر في حل الألغاز يا صديقي، بل مرشد ومعلم أيضًا، يرغب في أن تتعلم التفكير بنفسك كما يفعل هو، كما تفعل تلك المرأة التي تحدثت عنها معي، مارجريت إيرنست، والتي لا تعتمد على الكتب في تفكيرها، بل على حكمها الخاص".

قلت بحدة: "نعم، وكنت أعتقد بأنها شديدة الغرور"، وكنت بصدد الاستطراد في الحديث، ولكننا كنا قد وصلنا إلى فندق بلوكسهام.

الفصل ١٥

زر الأكمام الرابع

فـي ردهة فنـدق بلوكسهام، صادفنا هنـري نيجوس، شقيـق ريتشارد نيجوس، والـذي كان يحمل حقيبة أوراق صغيرة فـي إحدى يديه، في حين كان يحمل في الأخـرى حقيبة ملابس ضخمـة، والتي تركها على الأرض ليتحـدث معنا قائلاً بأنفاس متقطعـة: "كنت آمل لو كنـت شابًا أكثر قوة. كيف تجـري القضية، إن سمحتم لي بطرح هذا السؤال؟".

مـن التعبيرات التي ظهـرت على وجهه، ومن نبرة صوتـه، استنبطت أنه لم يكـن مدركًا لوقوع جريمة القتل الرابعة، ولكنـي لم أخبره بشيء وانتظرت حتى أرى ما سيفعله بوارو.

قال بوارو بغموض متعمد: "إننا واثقون من نجاحنا في حل اللغز. هل قضيت الليلة هنا يا سيدي؟".

قـال هنري: "الليلـة؟ آه، الحقيبـة. لا، لقد أقمت في فنـدق لانجهام، حيث إنـي لم أتمكن من البقاء في هذا المكان رغم عرض السيد لازاري الكريم. لقد حضرت من أجل أخذ متعلقات ريتشارد". أمال هنري نيجوس رأسه مشيرًا إلى الحقيبة ولكنه لم يحول عينيه إليها كما لو كان يتفادى رؤيتها. حينها، رأيت تلك البطاقة الصغيـرة المعلقة بمقبض الحقيبة والتي كُتـب عليها: *السيد ريتشارد نيجوس*.

قال نيجوس: "يجدر بي أن أسرع مغادرًا. من فضلكم، أبلغوني بالمستجدات".

قلت: "سنفعل. إلى اللقاء يا سيد نيجوس. إني أشعر ببالغ الأسف عما حدث لشقيقك".

قال نيجوس: "شكرًا لك يا سيد كاتشبوول، وشكرًا لك يا سيد بوارو". بدا نيجوس محبطًا، أو ربما غاضبًا، واعتقدت حينها بأنني أعرف سبب هذا؛ في وجه المأساة التي حدثت، قرر نيجوس أن يكون متماسكًا، كما أنه لم يكن يرغب في أن يتذكر حزنه الدفين بينما يحاول التركيز على الأمور المهمة.

بينما كان يسير متوجهًا إلى الشارع، رأيت لوكا لازاري يسرع الخطى نحونا وهو يمسك بشعره المتطاير. كان العرق يغمر وجهه وهو يقول: "سيد بوارو، سيد كاتشبوول. أخيرًا! هل سمعتما الأخبار الكارثية؟ يا لها من أيام تعيسة حلت على فندق بلوكسهام! يا لها من أيام كئيبة!".

هل كنت أتخيل الأمر، أم أنه قد هذب شاربه ليصبح مشابهًا لشارب بوارو؟ لقد كان تقليدًا أعمى لـ بوارو، إن كان يقلده بالفعل. وجدت أنه من المذهل أن تسبب له جريمة القتل الرابعة في فندقه كل هذا الهلع. عندما قُتل ثلاثة نزلاء في فندقه من قبل، كان يبدو أكثر تماسكًا من حالته الآن. مرت فكرة برأسي: ربما كانت الضحية هذه المرة أحد العاملين في الفندق وليس نزيلاً. فسألته عمن قُتل.

قال لازاري: "لا أعلم من هي، أو مكان تواجدها الآن. اتبعاني وستريان بنفسيكما".

سأل بوارو بينما كنا نتبع مدير الفندق نحو المصعد: "لا تعرف أين هي الآن؟ ما الذي تعنيه؟ أليست موجودة هنا في الفندق؟".

انتحب لازاري قائلاً: "نعم، ولكن في أي من جنبات الفندق؟ قد تكون في أي مكان".

أحنى رافال بوباك رأسه بالتحية بينما كان يتوجه ناحيتنا دافعًا عربة كبيرة ذات عجلات مليئة بكم كبير من الملاءات التي يبدو أنها بحاجة إلى تنظيف، ثم توقف عندما رآنا وقال: "سيد بوارو، لقد أعدت التفكير في الأمر مرارًا

وتكـرارًا لأرى إن كنـت قادرًا على تذكر أية تفاصيل أخـرى لما رأيته في الغرفة ٢١٧ في الليلة التي حدثت فيها جرائم القتل".

بدا بوارو متطلعًا لما سيُقال وهو يقول: "وماذا بعد؟".

قال بوباك: "ولكني، للأسف، لم أتذكر أي شيء آخر يا سيدي".

قال بوارو: "لا عليك يا سيد بوباك، شكرًا على محاولتك".

قـال لازاري: "انظرا، ها قـد وصل المصعد، ولكني خائـف من دخوله. في فندقي! لم أعد أعلم ما سأعثر عليه أو لا أعثر عليه. أصبحت أخشى التحرك في الفنـدق أو حتى فتح الأبواب... أصبحـت أخشى الظلال في الممرات، وأصوات الصرير الصادرة من ألواح الأرضيات الخشبية...".

بينمـا كنا نستقـل المصعد، حاول بـوارو أن يخرج بشيء مفهوم من مدير الفنـدق المضطـرب، ولكنه لم ينجح، حيـث بدا أن لازاري لم يكـن قادرًا على ربـط أكثر من ست كلمات معًا في المرة الواحـدة: "حجزت الآنسة جيني هوبز الغرفـة... مـاذا؟ نعم، شقراء الشعـر... ولكن أين ذهبـت إذن؟ ... نعم، قبعة بنيـة اللون... لقد فقدنا أثرها!... لم تكن معها أية أمتعة... لقد رأيتها بنفسي، نعم... لقد وصلت للغرفة متأخرًا... ماذا؟ نعم، معطف، بني فاتح...".

فـي الطابق الرابع، تبعنا لازاري بينما كان يُسرع عابرًا الممر. قلت لـ بوارو: "هـل تذكر؟ كانت هاربيت سيبيل في الطابق الأول، بينما كان ريتشارد نيجوس فـي الطابـق الثاني وأيـدا جرانسبري في الطابـق الثالث، هل يعني هـذا شيئًا بالنسبة لك؟".

عندمـا تمكنا من اللحاق بـ لازاري، كان قد فتح الغرفة رقم ٤٠٢ وهو يقول: "سادتـي، إنكما على وشك رؤيـة مشهد شديد القبح على غيـر عادة بلوكسهام الجميـل، أعـدا نفسيكما من فضلكمـا"، بعدما أصدر هـذا التحذير، فتح باب الغرفة بقوة لدرجة أنه اصطدم بالحائط من خلفه.

سألتـه: "ولكـن... أين الجثة؟". فلم تكن الجثة داخـل الغرفة، مسجاة مثل الجثث الباقية، وشعرت براحة شديدة تنتاب جسدي بأكمله.

قال بوارو: "لا أحد يعلم يا كاتشبوول". كان صوت بوارو هادئًا ولكن كانت تشوبه نبرة تنم عن الغضب، أو ربما كانت تنم عن الخوف.

بين أحد المقاعد وطاولة صغيرة – تم إعدادها بالضبط كما تم إعداد مسرح الجرائم في الغرف ١٢١، و٢٣٨ و٣١٧ – كانت هناك بقعة دم كبيرة على الأرض، مع أثر من الدماء عند أحد جوانبها، كما لو كان هناك شخص ما قد سُحب عبر بقعة الدماء. هل كانت جثة جيني هوبز؟ ربما كانت ذراعًا، بدا هذا جليًا من شكل الأثر في الدماء. كانت هناك خطوط صغيرة ظاهرة على الدماء، ربما كانت بصمات أصابع...

أشحت بوجهي بعيدًا وقد انقلبت معدتي من المشهد المقزز.

ثم قلت: "انظر يا بوارو". كانت هناك قبعة بنية في أحد أركان الغرفة، وكانت مقلوبة رأسًا على عقب، وكان هناك شيء بداخلها. شيء معدني صغير. هل يمكن أن يكون...؟.

قال بوارو بصوت مرتجف: "إنها قبعة جيني. لقد تحققت أسوأ مخاوفي يا كاتشبوول، وفي داخل القبعة...". سار بوارو نحو القبعة ببطء شديد وقال: "نعم. كما توقعت تمامًا: زر أكمام. زر الأكمام الرابع. ويحمل الأحرف الأولى من الاسم ذاته. ب.أ.ج".

بدأ شاربه يتحرك بعنف، وتخيلت مدى الغضب الذي تنم عنه هذه الحركة.

قال بوارو: "إن بوارو أحمق – أحمق – أحمق تافه – ليسمح بحدوث هذا الأمر".

قلت له: "بوارو، لا يمكن لأحد أن يتهمك بهذا———".

قال بوارو: "لا، لا تحاول مواساتي. إنك ترغب دائمًا في الهرب من الألم والمعاناة، ولكني لست مثلك يا كاتشبوول. لا يمكنني أن أتحمل مثل هذا ... الجبن. يجب عليَّ أن أندم على الخطأ الذي ارتكبته، دون أن تحاول مواساتي. هذا أمر مهم بالنسبة لي".

وقفت ساكنًا كما لو كنت تمثالاً. كان يرغب في إسكاتي، وقد نجح.

نادى اسمي فجأة كما لو كان يعتقد بأن انتباهي قد تحول بعيدًا عن الأمر الذي أمامنا قائلاً: "كاتشبوول، انظر إلى الآثار التي خلفها الدم هنا. لقد تم سحب الجثة عبر الدم ليترك هذا... الأثر. هل يبدو هذا معقولاً بالنسبة لك؟".

قلت: "حسنًا... نعم، يمكنني أن أقول هذا".

قال بوارو: "انظر إلى اتجاه الحركة: ليس في اتجاه النافذة، بل عكس اتجاهها".

سألته: "وماذا يعني هذا؟".

قال بوارو: "حيث إن جثة جيني ليست هنا، فلابد وأنه قد تم نقلها من الغرفة، ويشير أثر الدماء إلى أنها *لم تُنقل نحو النافذة، بل في اتجاه الممر*، لذا...". ثم نظر لي بوارو متوقعًا أن أكمل حديثه.

قلت مترددًا: "ماذا؟". ثم تنبهت للأمر بأكمله فجأة فقلت: "نعم، لقد فهمت ما تقصده: العلامات والآثار تكونت بسبب جر القاتل لجثة جيني هوبز من بقعة الدماء نحو باب الغرفة، أليس كذلك؟".

قال بوارو: "لا، انظر إلى اتساع الباب يا كاتشبوول. انظر: إنه *واسع*. ما الذي يخبرك به هذا؟".

قلت: "لا شيء، إن القاتل الذي يرغب في إخراج جثة ضحيته من غرفة الفندق لن يكترث بكون الباب واسعًا أم ضيقًا".

هز بوارو رأسه في عدم رضا وهو يغمغم بأمر ما بصوت خفيض.

ثم التفت نحو لازاري قائلاً: "سيدي، أخبرني من فضلك عما تعرفه، منذ البداية".

تنحنح لازاري وبدأ حديثه قائلاً: "بالطبع يا سيدي. تم حجز الغرفة من قبل امرأة تُدعى جيني هوبز، والتي اندفعت إلى داخل الفندق كما لو أن مصيبة قد حلت بها، وألقت بالمال على مكتب الاستقبال، وطلبت حجز غرفة كما لو كان الشيطان نفسه يطاردها. اصطحبتها للغرفة بنفسي، ومن ثم غادرت لتبدأ الكثير من الأفكار تدور برأسي: ماذا عليَّ أن أفعل؟ هل يجب أن أخبر الشرطة

بأن هناك امرأة تُدعى جيني قد وصلت للفندق؟ لقد سألتني عن هذا الاسم على وجه الخصوص يا سيد بوارو، ولكن، هناك الكثير من السيدات في لندن يحملن اسم جيني، وربما يكون لدى عدد كبير منهن ما سبب الكثير من التعاسة التي لا تتعلق بأي حال من الأحوال بجرائم القتل. كيف كنت لأعلم بأنها______".

قال بوارو: "ادخل في صلب الموضوع من فضلك يا سيدي. ماذا فعلت؟".

قال لازاري: "انتظرت لحوالي نصف الساعة، ثم صعدت إلى الطابق الرابع وطرقت باب الغرفة، ولكن لم يجبني أحد. لذا، عدت أدراجي إلى الطابق الأرضي لأحضر المفتاح".

بينما كان لازاري يتحدث، توجهت نحو النافذة ونظرت عبرها. كنت أرغب في رؤية أي شيء جميل عدا بقعة الدم والقبعة، وزر الأكمام الرهيب. كانت الغرفة ٤٠٢، مثلها مثل غرفة ريتشارد نيجوس رقم ٢٣٨، تقع في الجانب من الفندق المُطل على الحديقة. حدقت في أشجار الزيزفون متشابكة الأغصان. ولكني سرعان ما حولت بصري بعيدًا عنها، فقد بدت لي مشئومة: صف من الأشياء الساكنة متشابكة معًا، كما لو كانت تشبك أيديها معا منذ فترة طويلة.

كنت على وشك الالتفات إلى كل من بوارو ولازاري عندما وقع بصري على شخصين في الحديقة أسفل النافذة. كانا يقفان بجانب عربة يدوية بنية اللون، ولم أر إلا قمة رأسيهما. كانا رجلاً وامرأة، وكانا يقفان متلاصقين، وكانت المرأة تبدو مترنحة أو فاقدة الوعي، فقد كان رأسها مائلًا على أحد كتفيها. أمسك الرجل بالمرأة بقوة أكبر. خطوت للخلف، ولكني لم أكن سريعًا بما يكفي: نظر الرجل لأعلى ورآني، وكان توماس بريفجل، الموظف المساعد، والذي احتقن وجهه بشدة. أخذت خطوة أخرى للخلف بحيث لا يمكنني رؤية الحديقة على الإطلاق. فكرت في أن بريفجل المسكين سيشعر بالكثير من الإحراج، بفضل إدراكي لتردده للوقوف والحديث أمام جمع من الناس، لأني رأيته في هذا الوضع.

تابع لازاري حديثه قائلًا: "عندما عدت حاملاً المفتاح العمومي، طرقت الباب مرة أخرى لأتأكد من أني لن أتطفل على خصوصية تلك المرأة الشابة،

ولكنها لم تفتح الباب، لذا، فتحت الباب بنفسي... وكان هذا المشهد هو ما عثرت عليه".

سألته: "هل طلبت جيني هوبز غرفة في الطابق الرابع بنفسها؟".

قال لازاري: "لا، لم تفعل. لقد ساعدتها بنفسي، حيث إن الموظف الذي أثق به تمامًا، جون جوود، كان مشغولاً مع نزيل آخر. قالت الآنسة هوبز: ضعني في أية غرفة، ولكن بسرعة. أسرع، أرجوك".

سأله بوارو: "هل تُركت أية رسالة عند مكتب الاستقبال لتعلن عن جريمة القتل الرابعة؟".

قال لازاري: "لا، لم تكن هناك أية رسالة هذه المرة".

قال بوارو: "هل تم تقديم أي طعام أو شراب إلى الغرفة، أو طلبته جيني؟".

قال لازاري: "لا".

قال بوارو: "هل سألت جميع موظفي الفندق؟".

قال لازاري: "كل الموجودين في الفندق، نعم يا سيد بوارو، لقد بحثنا في كل مكان...".

قال بوارو: "سيدي، لقد وصفت جيني هوبز منذ قليل بأنها امرأة شابة. كم يبلغ عمرها في رأيك؟".

قال لازاري: "معذرة يا سيدي، لا، إنها لم تكن شابة، ولكنها لم تكن عجوزًا".

سأله بوارو: "ربما كانت في الثلاثين من عمرها، أليس كذلك؟".

قال لازاري: "بل أعتقد بأنها في الأربعين من عمرها، ولكن من الصعب دائمًا تخمين أعمار النساء".

أومأ بوارو برأسه وقال: "قبعة بنية ومعطف بني فاتح اللون. شعر أشقر. تشعر بالهلع والخوف، وتبلغ الأربعين من عمرها تقريبًا. إن أوصاف جيني هوبز التي وصفتها تماثل أوصاف جيني هوبز التي قابلتها في مقهى بليزانت ليلة الخميس الماضي. ولكن، هل يمكننا أن نؤكد على أنها هي نفسها؟ هناك شهادتان من شخصين مختلفين...". صمت بوارو فجأة، إلا أن فمه ظل يتحرك.

قلت: "بوارو؟".

كانت عيناه – اللتان ازداد اخضرارهما كثيرًا في تلك اللحظة بالذات – مثبتتين على لازاري وقال: "سيدي، يجب أن أتحدث مع ذلك النادل قوي الملاحظة، السيد رافال بوباك، مرة أخرى. وكذلك، توماس برينجل وجون جوود. في حقيقة الأمر، يجب أن أتحدث مع جميع *أفراد طاقمك* في أسرع وقت ممكن لأسألهم عن عدد المرات التي رأى فيها كل منهم هارييت سيبيل وريتشارد نيجوس وأيدا جرانسبري – سواءً في أثناء حياتهم أو بعد موتهم".

بدا أن بوارو قد لاحظ أمرًا شديد الأهمية، وعندما وصلت إلى هذا الاستنتاج، شهقت أنا أيضًا عندما قفزت فكرة إلى رأسي، فقلت: "بوارو".

قال بوارو: "ما الأمر يا صديقي؟ هل تمكنت من حل بعض أجزاء لغزنا؟ لقد فهم بوارو الآن أمرًا لم يكن قد فكر فيه من قبل، ولكن لا تزال هناك بعض الأسئلة التي لا إجابة لها، وأجزاء من اللغز لا تزال مبهمة".

تنحنحت وقلت: "لقد..."، وكانت الكلمات تتعثر داخل فمي لسبب أجهله: "لقد رأيت للتو امرأة في حدائق الفندق"، ولم أتمكن عند تلك اللحظة من قول إنها كانت بين ذراعي توماس برينجل، ولا الطريقة الغريبة التي كانت تترنح بها، وأن رأسها كان يميل على أحد الجانبين. لقد كان الأمر... *بالغ الغرابة*. شعرت بالخجل من التفوه بالشكوك التي تدور في رأسي.

لحسن الحظ، تمكنت من التفوه بأحد التفاصيل المهمة، حيث قلت: "لقد كانت ترتدي معطفًا بنيًّا فاتح اللون".

الفصل ١٦

كذبة بكذبة

كنــت منغمسًــا في لغز الكلمــات المتقاطعة الــذي كنت أحاول إعــداده، عندما عــاد بوارو من الفندق إلى النزل الذي نسكن بــه بعد عدة ساعات، وقال بحدة: "كاتشيــوول، لمــاذا تجلس في هذا الظلام الدامس؟ لا أعتقد أنك قادر على القراءة أو الكتابة".

قلت: "إن نار المدفأة ترسل ضوءًا كافيًا، كما أني لا أكتب في الوقت الحالي – إنــي أفكــر، ولكني لم أتوصل إلى أي شيء حتى الآن. لا أعلم كيف يقوم هؤلاء الأشخاص الذين اخترعوا ألغاز الكلمات المتقاطعة من أجل الصحف بإعدادها. لقــد مرت عليّ عدة أشهر في إعداد هذا اللغز الوحيد الذي أحاول إعداده، وما زلــت لا أستطيع أن أجعل الكلمات تتفق معًــا. أعتقد بأنك قادر على مساعدتي. هل يمكنك أن تفكر في كلمة تعني الموت ومكونة من أربعة حروف؟".

أصبحت نبرة صوت بوارو أكثر صرامة وهو يقول: "كاتشبوول".

قلت: "نعم".

قــال بوارو: "هــل تعتقد بأني أحمــق، أم أنك أحمق بالفعــل؟ إن الكلمة التي تعني الموت ومكونة من أربعة حروف هي فناء".

قلت: "نعم، هذه الكلمة واضحة، وكانت أول كلمة مرت بخلدي".

قال بوارو: "أنا مسرور بسماع هذا يا صديقي".

قلت: "كان اللغز ليكتمل لو كانت كلمة القتل تبدأ بحرف الهاء، ولأنها ليست كذلك، ولأني ملتزم بحرف آخر من كلمة أخرى...". ثم هززت رأسي في ذهول.

قال بوارو: "دعك من الكلمات المتقاطعة. هناك الكثير لنتحدث عنه".

قلت بحسم: "لا أعتقد، ولن أعتقد بأن توماس برينجل قتل جيني هوبز".

قال بوارو: "إنك تشعر بالشفقة نحوه".

قلت: "بالفعل، كما أني أثق بشدة من أنه ليس بقاتل. من قد يجزم بأنه ليس على علاقة بامرأة ترتدي معطفًا ذا لون بني فاتح؟ إن اللون البني من الألوان الشائعة للمعاطف".

قال بوارو: "إنه أحد موظفي الفندق، فلِمَ كان يقف في الحديقة بجانب عربة يد؟".

قلت: "ربما كانت عربة اليد موجودة هناك بالمصادفة".

قال بوارو: "وهل كان السيد برينجل وصديقته يقفان بجوارها بالمصادفة أيضًا؟".

قلت في سخط: "نعم، ولم لا؟ أليست هذه الفكرة أكثر منطقية من فكرة أخذ توماس برينجل لجثة جيني هوبز على عربة يد، وتظاهره بأنه يعانقها عندما رآني أنظر من النافذة؟ وربما يقول المرء..."، ثم توقفت وشهقت بقوة وقلت: "يا إلهي. أنت ستقولها، أليس كذلك؟".

قال بوارو: "ماذا يا صديقي، ما الذي تعتقد بأن بوارو سيقوله؟".

قلت: "رافال بوباك يعمل نادلًا، فلم كان يدفع عربة الغسيل؟".

قال بوارو: "بالضبط، ولم كان يدفع العربة عبر ردهة الفندق الأنيقة في اتجاه الباب الأمامي؟ ألا يتم غسل الملاءات المتسخة داخل الفندق؟ كان السيد لازاري سيلاحظ هذا أيضًا لو لم يكن منشغلًا بالبحث عن الضحية الرابعة، ولا شك في أنه لم يكن يشك في السيد بوباك - إن جميع موظفي فندقه فوق مستوى الشبهات بالنسبة له".

وضعت أخيرًا لغز الكلمات المتقاطعة الذي أحاول إعداده على الطاولة بجانبي وقلت: "مهلاً. كان هذا ما قصدته عندما سألت عن عرض باب الغرفة، أليس كذلك؟ كان من السهل دفع العربة إلى داخل الغرفة ٤٠٢ بسهولة. لذا، فلِمَ لا يتم دفعها إلى داخل الغرفة؟ ولم يتم جر الجثة بدلاً من ذلك، الأمر الذي يحتاج إلى بذل جهد أكبر؟".

أومأ بوارو برأسه في رضا وقال: "بالفعل يا صديقي، هذه هي الأسئلة التي كنت أتمنى أن تطرحها على نفسك".

قلت: "ولكن... بهذا، أنت تقول إن رافال بوباك ربما يكون قاتل جيني هوبز، ووضع جثتها بين الملاءات المتسخة ودفع عربة الغسيل وصولاً إلى الشارع أمام أعيننا، أليس كذلك؟ بل وتوقف ليتحدث معنا. يا إلهي!".

قال بوارو: "بالفعل، رغم أنه لم يكن هناك ما يخبرنا به. ما الأمر؟ هل تعتقد بأني ناكر للجميل وأشك فيمن ساعدونا؟".

قلت: "حسنًا...".

قال بوارو: "إن حسن الظن في الجميع أمر جدير بالثناء يا صديقي، ولكنه من المستحيل أن يساعدك على فهم عقلية القاتل. بينما تشعر بعدم الرضا عني، دعني ألفت نظرك لفكرة أخرى: السيد هنري نيجوس الذي كان يحمل حقيبة ملابس ضخمة، أليس كذلك؟ ضخمة بدرجة تكفي لوضع جثة فتاة نحيلة داخلها".

غطيت وجهي بكفيَّ وقلت: "لا يمكنني تحمل المزيد من هذه الأفكار. هنري نيجوس؟ لا، آسف، ولكني لست مقتنعًا بهذا. لقد كان في ديفون ليلة وقوع جرائم القتل، كما أني أعتقد بأنه شخص جدير بالثقة".

صحح بوارو ما قلته قائلاً بحدة: "أنت تقصد أنه وزوجته من قالا إنه كان في ديفون. دعنا نعد إلى موضوع أثر الدماء، مع افتراض أن الجثة سُحبت نحو باب الغرفة... لاشك في أن حقيبة الملابس يمكن أخذها حتى منتصف الغرفة، إلى حيث تستقر الجثة منتظرة أن توضع داخلها. لذا، علينا مرة أخرى أن نسأل: لم سُحبت جثة جيني هوبز نحو باب الغرفة؟".

قلت: "بوارو، من فضلك. إن كان يجب علينا التحدث في هذا الأمر، فلنتحدث في وقت آخر وليس الآن".

بدا بوارو منزعجًا من عدم ارتياحي للحديث، وقال بجفاف: "حسنًا، حيث إنك لست في مزاج يسمح بمناقشة الاحتمالات، دعني أخبرك بما حدث هنا في لندن بينما كنت في جريت هولينج. فربما تشعر براحة أكبر عندما تعرف الحقائق".

قلت: "نعم، سأشعر براحة كبيرة".

بعد أن عدل بوارو من شاربه، جلس على أحد المقاعد وبدأ يقص عليّ المحادثات التي جرت بينه وبين رافال بوباك وصامويل كيد ونانسي دوكاين ولويزا والاس بينما كنت في جريت هولينج. كانت تدور في عقلي الكثير من الأفكار بعدما انتهى من حديثه، وخاطرت بإجباره على قول المزيد عبر قولي: "هل فاتتك أي من التفاصيل المهمة؟".

قال بوارو: "مثل ماذا؟".

قلت: "حسنًا، تلك الخادمة الخرقاء التي تعمل في منزل لويزا والاس - دوركاس. لقد قلت إنك عندما كنت تقف معها في الطابق العلوي، لاحظت أمرًا مهمًا، ولكنك لم تخبرني بهذا الأمر المهم".

قال بوارو: "بالفعل، لم أخبرك به".

قلت: "وماذا عن تلك الصورة الغامضة التي رسمتها وأرسلتها إلى مقر شرطة سكوتلاند يارد؟ ماذا رسمت فيها؟ وماذا يجب على ستانلي بيير أن يفعل بها؟".

قال بوارو: "لم أخبرك بهذا الأمر أيضًا". بدا وكأن بوارو يبذل جهدًا كبيرًا ليبدو آسفًا، كما لو كان لا يملك خيارًا آخر سوى ذلك.

ولكنني أصررت على موقفي بحماقة قائلًا: "ولم ترغب في معرفة عدد المرات التي رأى فيها كل من العاملين في فندق بلوكسهام كلًا من هارييت

سيبيل وأيدا جرانسبري وريتشارد نيجوس سواءً في أثناء حياتهم أو بعد مقتلهم؟ بم سيفيدنا هذا؟ إنك لم توضح لي هذا الأمر أيضًا".

قال بوارو: "إن بوارو لم يوضح الكثير!".

قلت: "ناهيك عن الأمر الذي أغفلته منذ البداية، ما هما، على سبيل المثال، العاملان الاستثنائيان المشتركان بين جرائم القتل التي وقعت في فندق بلوكسهام واندفاع جيني هوبز إلى مقهى بليزانت؟ لقد قلت إن هناك أمرين استثنائيين مشتركين بينهما".

قال بوارو: "لقد قلت هذا بالفعل يا صديقي، لم أخبرك بهذه الأمور لأنني أرغب في أن أجعل منك محققًا جيدًا!".

قلت: "لن تجعل مني هذه القضية أي شيء سوى رجل تعس لن يفيد أي شخص". وأطلقت العنان لمشاعري الحقيقية لتظهر للمرة الأولى في حياتي، "هذا هو ما يدفعني للجنون".

سمعت صوتًا قد يكون أو لا يكون طرقًا على باب غرفة الاستقبال، فقلت بصوت مرتفع: "من في الخارج؟".

صدر صوت بلانش أنسوورث القلق من الردهة يقول: "نعم، آسفة على إزعاجكما هذه المرة أيها السادة، ولكن هناك سيدة ترغب في رؤية السيد بوارو، وقالت إن الأمر لا يحتمل التأجيل".

قال بوارو: "دعيها تدخل يا سيدتي".

بعد لحظات، وجدت نفسي أقف وجهًا لوجه أمام الفنانة نانسي دوكاين، اعتقدت بأن أغلب الرجال كانوا يرونها بارعة الجمال.

قدمنا بوارو لبعضنا الآخر بلطف شديد.

قالت نانسي دوكاين، والتي كانت عيناها الحمراوان تدلان على أنها بكت كثيرًا: "شكرًا على موافقتك على لقائي"، كانت نانسي ترتدي معطفًا أخضر اللون يبدو غالي الثمن، "إني أشعر بشعور سيئ للغاية لأني تطفلت عليكما بهذه

الطريقة، اعتذراني على تطفلي، لقد حاولت أن أقنع نفسي بعدم الحضور، ولكني... فشلت، كما تريان".

قال بوارو: "اجلسي من فضلكِ يا آنسة دوكاين، كيف تمكنتِ من العثور علينا؟".

حاولت نانسي أن تبتسم وهي تقول: "بمساعدة من سكوتلاند يارد، كما لو كنت محققة متمرسة".

قال بوارو: "إن بوارو يختار مكان إقامته الذي يعتقد بأن أحدًا لن يتمكن من العثور عليه فيه، ولكن الشرطة ترسل الناس حتى عتبة بابه. أنا مسرور برؤيتك رغم شعوري بالقليل من الدهشة".

قالت نانسي: "أود أن أخبرك بما حدث في جريت هولينج قبل ستة عشر عامًا. كان يجب عليَّ أن أفعل هذا في وقت سابق، ولكنك صدمتني بذكر كل هذه الأسماء التي كنت آمل ألا أسمع عنها مرة أخرى أبدًا".

فكت نانسي أزرار معطفها وخلعته، وأشرت لها بالجلوس على أحد المقاعد. جلست على المقعد وقالت: "إنها ليست بالقصة السعيدة".

*

تحدثت نانسي دوكاين بصوت هادئ وقد ارتسم على وجهها تعبير ينم عن التردد، وأخبرتنا بالقصة نفسها التي روتها مارجريت إيرنست على أسماعي في جريت هولينج، عن المعاملة القاسية والحقود والتي عومل بها المبجل باتريك أيف. عندما تحدثت عن جيني هوبز، ارتجف صوتها وهي تقول: "لقد كانت أسوأ امرأة بينهم، فقد كانت تحب باتريك. لا يمكنني إثبات هذا، ولكني لطالما اعتقدت هذا، حيث إنها تسببت فيما حدث له *كما لو كانت تحبه*: كذبت كذبة لا تُغتفر لأنها شعرت بالغيرة. كان باتريك يحبني، وكانت ترغب في الانتقام منه، في عقابه، وبعد أن علمت هارييت بأمر الكذبة، ورأت جيني مدى الضرر الذي

تسببت به. شعرت بالندم – وأعتقد بأنها شعرت بالكثير من الخزي، ولابد من أنها كرهت نفسها – ولكنها لم تفعل أي شيء لتصحيح ما اقترفته يداها، لا شيء على الإطلاق، بل توارت عن الأنظار على أمل ألا يلاحظها أحد. رغم خوفها من هاريبت، كان عليها أن تجبر نفسها على النهوض لتقول: لقد كذبت كذبة مريعة وأنا آسفة على ذلك".

قال بوارو: "اعذريني يا سيدتي. أنتِ تقولين إنكِ لا تستطيعين إثبات أن جيني كانت تحب باتريك أيف. هل يمكنني أن أسألكِ: كيف تعلمين أنها كانت واقعة في حبه؟ فكما افترضتِ، لا يمكن لأحد أن يتخيل أن من يحبه قد ينشر مثل تلك الشائعة المدمرة".

قالت نانسي بعناد: "لا شك لديَّ في أن جيني كانت تحب باتريك. كانت قد تركت حبيبها في كامبريدج عندما انتقلت مع باتريك وفرانسيس إلى جريت هولينج – هل كنتما تعلمان هذا؟".

هززنا رأسينا نفيًا.

قالت نانسي: "كانا بصدد الزواج، بل وحددا موعد الزفاف، على ما أعتقد، ولكن جيني لم تتحمل الابتعاد عن باتريك، لذا، ألغت زفافها ورحلت معه".

سألها بوارو: "أليس من المحتمل أن تكون مرتبطة بـ فرانسيس أيف؟ أو كلا الزوجين باتريك وفرانسيس أيف؟ ربما كان رحيلها معهما بسبب الولاء وليس الغرام".

قالت نانسي: "لا أعتقد أن الكثير من النساء قد يقدمن ولاءهن لمخدومهن على زواجهن، أليس كذلك؟".

قال بوارو: "هذا أمر أكيد يا سيدتي، ولكن ما أخبرتني به لا يتفق مع الوقائع. إن كانت جيني غيورة، فلم كذبت تلك الكذبة فقط بعدما وقع باتريك أيف في حبك؟ لمَ لم يحفز زواجه من فرانسيس، قبل ذلك بفترة طويلة، هذا الشعور في داخلها؟".

قالت نانسي: "وكيف علمت بأن هذا لم يحدث؟ عاش باتريك في كامبريدج عندما التقى بـ فرانسيس وتزوجا، وكانت جيني هوبز خادمته في ذلك الوقت أيضًا. ربما كانت قد أسرت بأمر بغيض عنه هناك أيضًا لأحد أصدقائها، ولكن قرر ذلك الصديق، على العكس من هارييت سيبيل، أن يترك ما قالته طي الكتمان".

أومأ بوارو برأسه وقال: "أنتِ محقة، هذا احتمال وارد".

قالت نانسي: "بفضل أغلب الناس ألا ينشروا النوايا السيئة، وأشكر الله على هذا. ربما لم يكن في كامبريدج شخص حقود بالدرجة التي تحولت لها هارييت سيبيل، ولم يكن هناك شخص على نفس قدر حماسة أيدا جرانسيري ليبدأ حملة أخلاقية ضد باتريك".

قال بوارو: "أرى أنكِ لم تذكري ريتشارد نيجوس".

بدت نانسي مضطربة وهي تقول: "كان ريتشارد رجلًا رائعًا، وقد شعر بالندم على مشاركته في كل ما حدث. لقد ندم بشدة على مشاركته في الأمر بمجرد أن أدرك أن جيني أطلقت كذبة لا تُغتفر، وعندما رأى أن أيدا عديمة الشفقة بهذه الطريقة. أرسل لي خطابًا منذ بضعة أعوام من ديفون، وأخبرني بأن الأمر ما زال يؤرقه، وقال بأني وباتريك كنا مخطئين على ما فعلناه وأنه لن يغير رأيه حيال هذا أبدًا – فنذور الزواج لا يمكن تغييرها – ولكنه أصبح يؤمن بأن العقاب ليس الحل الصحيح دائمًا، حتى وإن أدرك المرء أن هناك خطأ قد وقع".

رفع بوارو حاجبيه وقال: "هل كان هذا ما كتبه لكِ؟".

قالت نانسي: "نعم، وأعتقد بأنك لا توافقه على هذا".

قال بوارو: "هذه الأمور معقدة للغاية يا سيدتي".

قالت نانسي: "ماذا لو كان العقاب على الوقوع في حب الشخص غير المناسب سيجعل المرء يرتكب ذنبًا أكبر؟ والمزيد من الشر: حالتي وفاة – إحداهما وفاة شخص *لم* يرتكب أي ذنب".

قال بوارو: "نعم، هذه هي نوعية المشكلات التي تخلق مثل هذه التعقيدات".

قالت نانسي: "كتب ريتشارد، والذي كان متدينًا، في خطابه، أنه لا يؤمن بأن الله يريد منه أن يحكم على رجل رائع مثل باتريك".

قال بوارو: "إن العقاب والحكم أمران مختلفان تمامًا، كما أن هناك سؤالًا يجب أن يُطرح: هل تم كسر قاعدة أو قانون؟ إن الحب... في النهاية، لا يمكننا أن نتحكم فيما نشعر به، ولكن يمكننا أن نختار ما إذا كنا سنتصرف طبقًا لمشاعرنا أم لا. إن وقعت جريمة، يجب أن يتأكد المرء من معاقبة المجرم بموجب القانون بالشكل الصحيح، ولكن دون تدخل الأحقاد والضغائن الشخصية – دون وجود رغبة في الانتقام، الأمر الذي سيلوث كل شيء ويتسبب في ظهور الشرور".

رددت نانسي دوكاين كلماته وهي ترتجف قائلة: "الرغبة في الانتقام. هذا بالضبط ما حدث، فقد كانت هارييت سيبيل مليئة بالرغبة في الانتقام، وقد كان الأمر مقززًا للنفس".

قلت: "ولكنك، خلال روايتك لما حدث، لم تتحدثي بسوء عن هارييت سيبيل ولو لمرة واحدة. لقد وصفتِ سلوكياتها على أنها مقززة، أو على أنها تحزنكِ، ولكن لا يبدو أنكِ تشعرين بالغضب تجاهها مثلما تشعرين بالغضب تجاه جيني هوبز".

تنهدت نانسي وقالت: "أعتقد بأنك محق. لطالما كنت أحترم هارييت. عندما انتقلت وزوجي ويليام لنعيش في جريت هولينج، كانت هارييت وجورج سيبيل أعز أصدقائنا. ثم توفي جورج، وتحولت بعدها هارييت إلى وحش. ولكن إن كنت تحب شخصًا ما بشدة، فمن الصعب أن تدينه، أليس كذلك؟".

قال بوارو: "إما أن يكون هذا الأمر مستحيلاً، أو لا يقاوم".

قالت نانسي: "أعتقد بأنه مستحيل، حيث ترى بأن أسوأ سلوكياته ما هي إلا مجرد حالة طارئة أو مرض مؤقت وليس طبيعته الحقيقية. لم أستطع مسامحة هارييت على ما فعلته لـ باتريك، ولم أتمكن من إقناع نفسي بالمحاولة حتى،

ولكنني شعرت، في الوقت ذاته، بأن الأمر كان صعبًا عليها بنفس قدر الصعوبة على أي شخص آخر – أن تتحول إلى هذا الوحش".

قال بوارو: "هل ترينها ضحية؟".

قالت نانسي: "فيما يتعلق بمأساة فقدانها لزوجها الحبيب، نعم – وقد كانت صغيرة السن للغاية. أعتقد بأنه يمكن للمرء أن يكون ضحية ومجرمًا في الوقت ذاته".

قال بوارو: "كان هذا أمرًا تشاركتماه أنتِ وهارييت، أي فقدانكما لزوجيكما في سن صغيرة للغاية".

قالت نانسي: "قد يكون ما سأقوله قاسيًا، ولكن لا وجه للمقارنة بيننا. كان جورج سيبيل الحياة بأكملها بالنسبة لـ هارييت، عالمها بأكمله، أما أنا، فقد تزوجت من ويليام لأنه كان حكيمًا ويجعلني أشعر بالأمان، كما كنت أرغب في الهرب من منزل والدي".

قال بوارو: "آه، نعم، أليينوس جونسون. لقد تذكرت الاسم بعدما غادرت منزلك. كان والدكِ أحد المحرضين على النزاع بين إنجلترا وروسيا في لندن في أواخر القرن السابق، وقد قضى الكثير من الوقت محاولاً تحقيق هذا الهدف".

قالت نانسي: "لقد كان رجلاً شديد الخطورة، ولم أكن أتحمل الحديث معه عن... أفكاره، ولكني أعلم أنه كان يعتقد بأن فكرة قتل أي عدد من الناس في سبيل جعل العالم مكانًا أفضل، أفضل من منطلق تعريفه الخاص للكلمة، فكرة مقبولة. كيف بحق الله يمكن جعل العالم مكانًا أفضل عن طريق سفك الدماء وذبح الكثير من الناس؟ كيف يمكن أن تحدث التطورات بواسطة أشخاص لا يفكرون إلا في التحطيم والتدمير، والذين لا يمكنهم الحديث عن آمالهم وأحلامهم دون أن تظهر على وجههم أمارات الكراهية والغضب؟".

قال بوارو: "أتفق معكِ تمامًا يا سيدتي. إن التحركات التي يدفعها الغضب والامتعاض لا يمكن أن تغير حياتنا نحو الأفضل. هذا ليس ممكنًا. إن الفساد يكمن في المصدر".

كدت أن أقول إني أوافقه الرأي، ولكني أمسكت لساني، فلم يكن هناك من يهتم بأفكاري.

قالت نانسي: "عندما التقيت بـ ويليام دوكاين، لم أشعر نحوه بالحب، ولكنه أعجبني، واحترمته، فقد كان هادئًا ولطيفًا، ولم يتصرف أو يتحدث أبدًا بشكل سيئ. إن فشل في إعادة أحد الكتب التي استعارها من المكتبة في الوقت المحدد لإعادته، كان يشعر بالكثير من العذاب وتأنيب الضمير".

قال بوارو: "كان رجلاً ذا ضمير".

قالت نانسي: "نعم، كذلك حس بمراعاة الآخرين والتواضع. إن وقفت عقبة في طريقه، كان يفكر في أن يتحرك هو أولاً بدلاً من أن يحرك العقبة. كنت أعلم أنه لن يملأ منزلنا بالرجال الذين يرغبون في زيادة قبح العالم عبر أفعالهم العنيفة. كان ويليام يقدر الفنون والجمال، وكان يشبهني كثيرًا في هذا الأمر".

قال بوارو: "أفهم هذا يا سيدتي، ولكنكِ لم تغرقي في حب ويليام دوكاين حتى أذنيكِ، على العكس من هارييت سيبيل التي كانت تعشق زوجها، أليس كذلك؟".

قالت نانسي: "لا، كان الرجل الذي غرقت في حبه حتى أذنيَّ هو باتريك أيف، فمنذ اللحظة الأولى التي رأيته فيها، امتلك قلبي. كنت على استعداد للتضحية بحياتي من أجله، وعندما فقدته، شعرت أخيرًا بما شعرت به هارييت عندما فقدت جورج. قد يعتقد المرء بأنه قادر على تخيل الأمر، ولكنه لن يفعل. يمكنني تذكر كم كانت هارييت مكتئبة عندما رجتني، بعد جنازة جورج، أن أدعو الله لكي تموت حتى يجتمع شملها مع جورج بسرعة، ولكني رفضت ما طلبته مني، وأخبرتها، بأن الوقت من شأنه أن يهدئ من حزنها وبأنها ستجد، في يوم ما، شيئًا آخر لتعيش من أجله".

توقفت نانسي لتستجمع شتات نفسها قبل أن تقول: "لسوء الحظ، وجدت ما تعيش من أجله، فقد وجدت السلوى في معاناة الآخرين. لقد تحولت هارييت الأرملة إلى عجوز تعسة، وكانت هذه العجوز التعسة هي من قُتل مؤخرًا في

فنــدق بلوكسهام في لنــدن، أما هاربيت التي عرفتهــا وأحببتها، فقد توفيت مع زوجها جورج منذ وقت طويل". ثم نظرت نحوي فجأة وقالت: "لقد لاحظت أني غاضبة من جيني، ولكني لا أملك الحق في هذا، لأني مذنبة بقدرها لأني خذلت باتريك". ومن ثم بدأت في البكاء وغطت وجهها بيديها.

ناولهــا بوارو منديلاً وهو يقــول: "لا عليكِ يا سيدتــي، تفضلي. كيف خذلتِ باتريك أيضًا؟ لقد أخبرتنا بأنكِ على استعداد للتضحية بحياتك من أجله".

قالت نانسي: "أنا لست أفضل من جيني: أنا امرأة جبانة. عندما وقفت أمام الجميــع في كينجز هيد واعترفــت بالعلاقة الغرامية بيني وبيــن باتريك وبأننا نلتقي سرًا، لم أكن أقول الحقيقة. كانت لقاءاتنا السرية حقيقة، وكنت وباتريك غارقين في حب أحدنا الآخر حتى النخاع – هذا حقيقي أيضًا، ولكن..."، بدت نانسي حزينة لدرجة أنها لم تستطع أن تكمل حديثها، واهتز كتفاها بينما كانت تدفن وجهها في المنديل وتبكي.

قال بوارو: "أعتقد بأني أفهم ما تقصدينه يا سيدتي. لقد أخبرتِ القرويين في كينجز هيد، في ذلك اليوم، بأن العلاقة بينكِ وباتريك كانت عفيفة، ولكنكِ كنتِ تكذبين. هل أفلح بوارو في تخمينه؟".

صاحــت نانسي فــي يأس وقالــت: "لم أكــن لأتحمل الشائعــات، جميع تلك القصصــ الهامسة المريعة عــن تحضير أرواح الموتى مقابــل المال، وتهامس الأطفال في الشوارع عن تدنيس المعتقدات الدينية... شعرت بالفزع. لا يمكنك أن تتخيــل مدى الرعــب المتخلف عن الكثير من أصــوات الاتهام والإدانة والتي تحيط جميعها برجل واحد، رجل رائع".

كنــت قادرًا على تخيل الأمر، كنت قادرًا علــى تخيله كما لو كنت أراه يحدث أمام عيني لدرجة أني أملت أن تتوقف عن الحديث عنه.

قالــت نانسي: "كان عليَّ أن أفعــل أمرًا ما يا سيد بوارو، لذا، فكرت: عليَّ أن أواجه هذه الأكاذيب مستخدمــة شيئًا نقيًا وجيدًا: الحقيقة. كانت الحقيقة هي حبــي لـ باتريك وحبه لي، ولكني كنت خائفة، لــذا، مزجت حقيقتنا بالأكاذيب،

وكان هـذا خطئي. في خضم ثورتي، لم أتمكن من التفكير بوضوح، ولوثت حبي الجميل لـ باتريـك بكذبة جبانة. لم تكن العلاقة بيننـا عفيفة، ولكنني قلت إنها كذلـك. اعتقـدت أنه لا يوجـد أمامي خيار سـوى الكذب، وكان هـذا نابعًا عن جبني. يا لها من حقارة".

قال بوارو: "إنكِ تقسين على نفسكِ دون داعٍ".

مسحـت نانسي عينيها برفق وقالت: "كم أتمنى أن أصدقك. لمَ لم أخبرهم بالحقيقة الكاملـة؟ كان دفاعي عن باتريك أمام جميع تلك الاتهامات البغيضة أمـرًا نبيـلًا، ولكنني أفسدتـه، ولهذا السبـب، أصب اللعنات علـى نفسي في كل يـوم مـن أيام حياتي. لم يكن هـؤلاء الحمقى المدعون المتصيـدون للآثام في كينجـز هيد سيصدقوننـي على أية حال – كانوا يعتقـدون بأني امرأة ساقطة، وبأن باتريك هو الشيطان نفسه. ماذا كان ليحدث لو لم يصدقوني بدرجة أكبر قليـلًا؟ في الحقيقة، لـم أكن أعتقد أن هناك مستوى أكبـر من الخزي ليصلوا إليه".

سألها بوارو: "لماذا لم تخبريهم بالحقيقة إذن؟".

قالت نانسي: "أعتقد أني كنت أحاول أن أخفف من وقع الأمر على فرانسيس، ولكـي أتجنـب فضيحة أكبر، ولكن انتحر كل مـن فرانسيس وباتريك بعد ذلك، وفقدنـا كل أمل في محاولـة إصلاح الأمر. أعلم أنهما انتحرا، رغم ما يقوله أي أحد". قالت نانسي العبارة الأخيرة كما لو أن الفكرة خطرت ببالها فجأة.

سألها بوارو: "هل هناك من يشكك في هذا الأمر؟".

قالـت نانسي: "طبقًـا للطبيـب الشرعي وجميـع التقاريـر الرسمية، كانت وفاتهمـا عرضية، ولكن لم يصدق أحد في جريت هولينـج هذا. إن الانتحار إثم مـن وجهة النظـر الدينية، وكان طبيب القرية يرغب فـي الحفاظ على ما تبقى مـن سمعة فرانسيس وباتريـك أيف، فقد كان يحبهما كثيرًا، وكان يدافع عنهما عندمـا تخلى عنهما الجميـع. إنه رجل طيـب الطبيب فـلاوردي – أحد القلة الطيبيـن في جريـت هولينج. كان يعرف الكذبة الشريـرة بمجرد أن يسمعها".

صـدرت مـن نانسي ضحكة صغيـرة بدت شاحبـة بين دموعها وقالـت: "كذبة بكذبة، وسن بسن".

قال بوارو: "أو حقيقة بحقيقة؟".

بـدت نانسـي مندهشـة وهي تقـول: "نعـم، بالفعل. يـا إلهي، لقـد أفسدت منديلك".

قـال بوارو: "لا عليكِ، لـدي الكثير من المناديل. هناك سـؤال واحد أود أن أطرحه عليكِ يا سيدتي: هل يبدو اسم صامويل كيد مألوفًا بالنسبة لكِ؟".

قالت نانسي: "لا، هل يجب أن يكون كذلك؟".

قال بوارو: "ألم يكن يسكن في جرين هولينج بينما كنتِ تعيشين هناك؟".

قالـت نانسـي بمـرارة: "لا، لم يكن هنـاك أحد بهـذا الاسم، هـذا الرجل المحظوظ، أيًا كان".

الفصل ١٧

الرجل الشاب والمرأة الأكبر سنًا

قال بوارو بعدما غادرت ضيفتنا وأصبحنا بمفردنا: "إذن، تتفق نانسي دوكاين مع مارجريت إيرنست على أن عائلة أيف انتحرت، ولكن يقول التقرير الرسمي إنهما ماتا ميتة عرضية. وقد كذب أمبروز فلاورداي هذه الكذبة حتى يحمي ما تبقى من سمعة كل من فرانسيس وباتريك أيف".

قلت: "الأمر الغريب هو أن مارجريت إيرنست لم تقل أي شيء عن هذا الأمر".

قال بوارو: "ما يهمني الآن هو أن نكتشف السبب الذي جعلها تأخذ منك وعدًا بألا تتحدث مع الطبيب. ماذا لو كان أمبروز فلاورداي يفخر بهذه الكذبة – فخور بها لدرجة أن يعترف بها إن سُئل عنها. إن كانت مارجريت إيرنست ترغب في حمايته...".

وافقته قائلاً: "نعم، ربما كان هذا هو السبب الذي دفعها لأن تجعلني أبتعد عنه".

كان صوت بوارو مفعمًا بالمشاعر وهو يقول: "الرغبة في الحماية – هذا الأمر أفهمه تمامًا".

قلت: "لا يجب أن تلوم نفسك على ما حدث لـ جيني يا بوارو. إنك لم تكن لتتمكن من حمايتها".

قال بوارو: "أنت محق في هذا يا كاتشبوول. ربما كانت حماية جيني مستحيلة على أي شخص كان، حتى هيركيول بوارو، فقد كان أوان حمايتها قد فات قبل حتى أن ألقاها – لقد استوعبت هذا الأمر الآن، لقد سبق السيف العذل". ثم تنهد وقال: "أليس من المدهش وجود دماء في جريمة القتل الأخيرة، في حين كانت الجرائم الثلاث الأولى بسبب السم دون وجود دماء؟".

قلت: "لقد واصلت التساؤل: أين جثة جيني؟ لقد بحثنا في جميع أرجاء فندق بلوكسهام من قمته وحتى قاعدته ولكننا لم نعثر على شيء".

قال بوارو: "لا تسأل نفسك أين يا كاتشبوول. المكان ليس هو المهم، *بل اسأل نفسك لماذا*. سواءً خرجت الجثة من الفندق داخل عربة الغسيل أو حقيبة ملابس أو على عربة يد، ما سبب إخراجها؟ لماذا لم تُترك في الفندق، كما تُركت الجثث الثلاث الأخرى؟".

قلت: "حسنًا، ما إجابة هذا السؤال؟ إنك تعرفها، أخبرني بها".

قال بوارو: "بالطبع. يمكن شرح جميع هذه الأمور، ولكني أخشى أنه لن يكون بالتفسير المبهج".

قلت: "لا يهمني إن كان مبهجًا أم لا، أريد أن أعرفه".

قال بوارو: "ستعرف كل شيء في حينه، أما الآن فسأخبرك بما يلي: لم يرَ أحد من موظفي فندق بلوكسهام أيًا من هارييت سيبيل أو أيدا جرانسبري أو ريتشارد نيجوس أكثر من مرة واحدة، عدا شخص واحد: توماس برينجل، والذي رأى ريتشارد نيجوس مرتين: المرة الأولى عندما وصل نيجوس إلى الفندق يوم الأربعاء وكان برينجل هو من حجز له الغرفة، والمرة الثانية كانت في ليلة الخميس عندما التقى بالسيد نيجوس في الممر عندما طلب منه نيجوس بعض العصير". أطلق بوارو ضحكة خفيفة تدل على الرضا وقال: "فكر في الأمر يا كاتشبوول. هل فهمت ما تدل عليه هذه الحقيقة؟".

قلت: "لا".

قال بوارو: "آه".

قلت: "بحق الله يا بوارو". لم يكن بوارو يقول أبدًا كلمة مكونة من مقطع واحد مثل كلمة - *آه* - بمثل هذه الطريقة المثيرة للغضب.

قال بوارو: "لقد قلت لك يا صديقي؛ لا تتوقع أن تحصل على الإجابة دائمًا".

قلت: "أنا أشعر بالكثير من الارتباك. فمن جميع النواحي، يبدو أن نانسي دوكاين هي القاتلة التي نبحث عنها، ولكنها تمتلك حجة غياب عن مكان الجريمة قدمته الليدي لويزا والاس. من أيضًا قد يرغب في قتل كل من هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري وريتشارد نيجوس والآن جيني هوبز؟". ذرعت غرفة الاستقبال جيئة وذهابًا في حيرة، وكنت غاضبًا من نفسي لأنني لم أتمكن من إدراك الأمر. فقلت: "و- رغم أني ما زلت أعتقد بأنك مجنون لمجرد الشك في أي منهم - إن كان القاتل هو هنري نيجوس أو رافال بوباك أو توماس برينجل، فما دافعهم؟ ما الصلة بين أي من هؤلاء الأشخاص والأحداث المؤسفة التي وقعت في جريت هولينج منذ ستة عشر عامًا؟".

قال بوارو: "إن هنري نيجوس يمتلك أكثر الدوافع شيوعًا وقوة في العالم: المال. ألم يخبرنا بنفسه بأن أخاه ريتشارد كان يبذر ثروته؟ وأخبرنا أيضًا بأن زوجته لم تكن لتطرد ريتشارد من المنزل بأي حال من الأحوال، وإن مات ريتشارد، فلن يكون على هنري أن يستمر في إعالته. وإن لم يمت ريتشارد فكان أخوه سيستمر في خسارة المال".

قلت: "وماذا عن هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري؟ وجيني هوبز؟ لماذا قد يرغب هنري في قتلهم؟".

قال بوارو: "لا أعلم، ولكني قادر على القيام ببعض التخمين. أما بالنسبة لكل من رافال بوباك وتوماس برينجل - لا يمكنني التفكير في أي دافع ممكن لكل منهما، إلا إن كان أحدهما ليس الشخص الذي يتظاهر به".

قلت: "أعتقد أنه يجب علينا القيام ببعض البحث".

قال بوارو: "بينما نعد قائمة بالمشتبهين الحقيقيين. ماذا عن كل من مارجريت إيرنست والطبيب أمبروز فلاورداي؟ ربما لم يكونا قد وقعا في حب باتريك أيف، ولكن ربما كان دافعهما هو الثأر له. قالت مارجريت إيرنست إنها

كانت بمفردها في منزلها في الليلة التي وقعت فيها جرائم القتل. ولا نعلم أين كان الطبيب فلاورداي لأنك وعدت بألا تلتقي به وحفظت وعدك. سيكون على بوارو أن يذهب إلى جريت هولينج بنفسه".

ذكرته قائلاً: "لقد أخبرتك بأن تأتي معي، ولكني أعتقد بأنك إن كنت قد أتيت معي، لم تكن لتتحدث إلى كل من نانسي دوكاين أو رافال بوياك أو الآخرين. لقد كنت أفكر، بمحض المصادفة، في الرجل الشاب والمرأة الأكبر سنًا واللذين سمع رافال بوياك هارييت تتحدث عنهما مع كل من أيدا وريتشارد نيجوس، بفرض أننا نصدق قصته، وأعددت قائمة بالرجال والنساء الذين قد تنطبق عليهم هذه الشروط". قلتها وأخرجت القائمة من جيبي. (عليّ أن أعترف بأني كنت آمل أن أثير إعجاب بوارو، ولكنه لم يشعر بأي إعجاب ولم يحاول أن يخفي ذلك حتى).

قرأت بصوت عالٍ: "جورج وهارييت سيبيل. باتريك وفرانسيس أيف. باتريك أيف ونانسي دوكاين. ويليام دوكاين ونانسي دوكاين. تشارلز ومارجريت إيرنست. ريتشارد نيجوس وأيدا جرانسبري. لاتوجد بين هؤلاء الأزواج امرأة تكبر الرجل، ليس بالدرجة الكافية لتوصف بأنها: في سن والدته".

قال بوارو بنفاد صبر: "هراء. إنك لا تفكر يا صديقي. كيف تعلم بأن مثل هذين الزوجين موجودان في الواقع، حيث تكون المرأة أكبر من الرجل؟".

حدقت به متسائلاً عما إذا كان قد فقد عقله وقلت: "حسنًا، لقد تحدث عنهم والتر ستوكلي في كينجز هيد، كما أن رافال بوياك سمع...".

قاطعني بوارو بحزم وقال: "لا، لا. إنك لا تلقي بالاً للتفاصيل: في نزل كينجز هيد، تحدث والتر ستوكلي عن *امرأة أنهت علاقة عاطفية مع الرجل الذي أحبته*، أليس كذلك؟ أما المحادثة التي سمعها رافال بوياك تدور بين ضحايانا الثلاث فقد كانت تدور حول رجل *لم يعد يحب المرأة التي ما زالت غارقة في حبه*. كيف يمكن أن تشير كلتا المحادثتين إلى الزوج ذاته؟ العكس صحيح: لا يمكن *أن تكون المحادثتان قد دارتا حول الزوج ذاته*".

قلت مغمومًا: "أنت محق. لم أفكر في هذا".

قال بوارو: "لقد كنت سعيدًا بما توصلت إليه. رجل كبير في السن وامرأة شابة هنا، وامرأة عجوز ورجل شاب هناك. وافترضت على الفور بأنهما الزوج ذاته".

قلت: "نعم، بالفعل. لقد فعلت. لابد وأن هذا النوع من العمل لا يناسبني".

قال بوارو: "لا. إنك حاد الإدراك يا كاتشبوول. ليس دائمًا. ولكن في بعض الأحيان. لقد ساعدتني على الخروج من نفق الارتباك. هل تذكر، عندما أخبرتني بأن ما كان يخفيه توماس برينجل، كان يخفيه بسبب شعوره الشخصي بالإحراج؟ لقد كان ما قلته مفيدًا لي – مفيدًا لي للغاية".

قلت: "أخشى أني ما زلت داخل نفق الارتباك ولا يمكنني رؤية أي قبس من نور في أي من الاتجاهين".

قال بوارو: "سأعدك بأمر ما. غدًا، بعد الإفطار مباشرة، سنقوم بزيارة قصيرة، أنا وأنت. بعد هذا، ستستوعب المزيد من الأمور الغائبة عنك في الوقت الحالي، وآمل أن أفعل أنا أيضًا".

قلت: "أعتقد بأنه ليس من المسموح لي أن أسأل عمن سنزوره، أليس كذلك؟".

ابتسم بوارو وقال: "يمكنك أن تسأل كيفما شئت يا صديقي. لقد اتصلت بمقر شرطة سكوتلاند يارد وحصلت على العنوان، وأعتقد أنك ستتعرف على العنوان إن أخبرتك به".

ولكن، لا حاجة بي لأن أقول إنه لم يكن ينوي إخباري،

الفصل ١٨

اطرق الباب وانظر من سيفتحه

في صبــاح اليوم التالي، بينما كنا نشق طريقنا عبـر المدينة لنقوم "بزيارتنا" الغامضة، كان مزاج بوارو متقلبًا مثل طقس لندن، والذي لم يستطع أن يقرر ما إذا كان ليصبــح مشمسًا أم غائمًا. ففـي لحظة كان بوارو يبدو مسرورًا وراضيًا عــن نفسه، وفي اللحظة التالية كان يقطب حاجبيه كما لو كان يشعر بالقلق من أمر ما.

وصلنــا أخيـرًا إلى منـزل متواضع فـي شارع ضيــق، وقال بـوارو وهو يقف أمــام عتبته: "منزل رقــم ٢ من أكواخ يارماوث. من أين تعـرف هذا العنوان يا كاتشبوول؟ هل هو مألوف بالنسبة لك؟".

قلـت: "نعم، انتظر قليــلاً، سأتذكر، هذا صحيح. إنه عنــوان صامويل كيد، أليس كذلك؟".

قال بـوارو: "بالطبــع، شاهدنــا المتعاون الــذي رأى نانســي دوكاين تخرج مسرعــة من فنــدق بلوكسهام حيــث أسقطــت المفاتيح، رغم *أنــه لم يكن من الممكــن أن تكـون متواجدة في فندق بلوكسهام بعــد الثامنة مساءً في ليلة وقوع جرائم القتل*".

وافقته قائلاً: "لأنها كانت في منزل لويزا والاس. إننا هنا إذن لنخيف السيد كيد ونكتشف من حرصه على الكذب، أليس كذلك؟".

قال بوارو: "لا، أعتقد أن السيد كيد ليس هنا اليوم، لقد ذهب لعمله".

قلت: "حقًا..".

قال بـوارو وهو يبتسـم ابتسامة غامضـة: "دعنا نلعب لعبـة صغيرة اسمها لنطرق الباب ونر من سيفتحه. هيا، اطرق الباب. كنت لأطرقه لو لم أكن أرتدي قفازي، ولا أرغب في أن يتسخ".

طرقت البـاب وانتظرت متسائلاً عن سبب توقع بـوارو لأي شخص أن يفتح بـاب المنزل الذي يدرك جيدًا أن صاحبه ليس موجودًا في المنزل. فتحت فمي لأطـرح عليـه هـذا السؤال، ثـم أغلقته مرة أخـرى، فلم تكن هنـاك فائدة من طرحه. تذكرت بلهفة الوقت (منـذ أسبوعين ماضيين) عندما كنت أعتقد بأن طرح سؤال مباشر على شخص يعرف إجابته أمر يستحق العناء.

انفتـح باب المنـزل رقم ٢ مـن أكواخ يارمـاوث، ووجدت نفسـي أحدق في العينيـن الواسعتيـن لشخص لم يكـن صامويل كيد. شعـرت بالحيرة في بداية الأمـر لأني كنت أنظر في وجـه لا أعرفه، وراقبت ذلك الوجـه وأمارات الرعب تزحف عليه، فأدركت من يجب أن يكون صاحب الوجه.

قال بوارو: "صباح الخير يا آنسة جيني. كاتشبوول، هذه جيني هوبز، وهذا، يـا آنسـة، صديقي السيد إدوارد كاتشبوول. أتذكر أننا تحدثنـا عنه في مقهى بليزانت. اسمحي لي بأن أعبر عن مدى راحتي للعثور عليكِ على قيد الحياة".

كان هـذا عندمـا تيقنت من أني لا أعـرف أي شيء، حيـث أثبتت الكسرات الضئيلة التي أمتلكها من اليقين، والتي كنت أعتمد عليها، أنه لا يمكن الاعتماد عليهـا. كيف تمكـن بوارو من معرفة أن جيني هوبز هنـا؟ هذا مستحيل، ولكن، ها نحن ذا.

بعدما تمالكت جيني نفسها، وعدلت من التعبير على وجهها من كونه تعبيرًا يـدل على البؤس إلـى تعبير أكثر وقارًا، دعتنا للدخول إلـى المنزل وأشارت لنا بالتوجه إلى غرفة صغيرة مظلمة ذات أثاث بالٍ، ثم استأذنتنا قائلة إنها ستعود على الفور.

قلت بغضب لـ بوارو: "لقد قلت لي بأن أوان إنقاذها قد فات. لقد كذبت عليّ".

هز بوارو رأسه قائلاً: "كيف علمت بأني قد أعثر عليها هنا؟ كان هذا بفضلك يا صديقي. لقد ساعدت بوارو مرة أخرى".

قلت: "كيف؟".

قال بوارو: "أدعوك لأن تتذكر حديثك مع والتر ستوكلي في نزل كينجز هيد عندما قال شيئًا عن المرأة التي يمكنها أن تحصل على زوج وأطفال ومنزل خاص بها وحياة سعيدة. هل تتذكر هذا؟".

قلت: "ماذا عن هذا الحديث؟".

قال بوارو: "المرأة التي كرست حياتها إلى الرجل الثري؟ التي ضحت بكل شيء من أجله؟ بعد ذلك قال ستوكلي: ولكنها لم تتمكن من الزواج من شاب ما. ليس عندما وقعت في حب الرجل الثري، لذا تركته خلفها. هل تتذكر هذا يا صديقي؟".

قلت: "بالطبع أتذكر. أنا لست أحمق".

قال بوارو: "لقد اعتقدت أنك قد عثرت على المرأة المسنة والرجل الشاب، أليس كذلك؟ اللذين أشار إليهما رافال بوباك في فندق بلوكسهام – لقد أخبرنا بأن ضحايا جرائم القتل الثلاث كانوا يتحدثون عنهما – واعتقدت بأن والتر ستوكلي يتحدث عن الشخصين ذاتهما، لذا سألته عن فارق السن بين تلك المرأة والرجل الذي رفض حبها لأنك اعتقدت بأنك سمعته يقول: إنها لن تتمكن من الزواج من أي شاب؛ *ولكنك لم تسمعه يقول هذا بالفعل*".

قلت: "بلى – في حقيقة الأمر، لقد سمعته يقول هذا".

قال بوارو: "لا، لقد سمعته يقول: إنها لم تكن قادرة على الزواج من سام كيد. السيد صامويل كيد".

قلت: "ولكن... ولكن... دعك من كل هذا".

قال بوارو: "لقد قفزت إلى استنتاج خاطئ لأن والتر ستوكلي كان قد استخدم كلمة شاب أكثر من مرة خلال الحديث، فقد كان يقولها للشاب الذي كان يعاقر

الشـراب معه. لا بأس، فقد كان خطـؤك من النوع الذي قد يقع فيه الكثيرون لو كانوا في مكانك، لا تقسُ على نفسك كثيرًا".

قلت: "وبعد ذلك، بناءً على فهمي الخاطئ لما قاله، سألت ستوكلي عن فارق العمر بين المرأة التي كانت على وشك الزواج ولكنها لم تفعل وبين الشاب الذي لا نفـع منـه الـذي كان يعاقر الشراب قبـل أن أصل. لابد وأنـه تعجب من سبب رغبتـي في معرفة هذا حيث إنه لم تكن هنـاك أية علاقة بين جيني هوبز وبين الشاب عديم النفع".

هـز بوارو كتفيه وقال: "نعم، ربمـا كان سيسألك عن هذا لولا تأثير الشراب عليه".

قلـت محاولاً استيعاب كل ما قيل لي: "كانت جيني هوبز مخطوبة لـ صامويل كيـد إذن، و... هجرتـه في كامبريدج للذهـاب إلى جريت هوليـنـج مع باتريك أيف، أليس كذلك؟".

أومأ بوارو برأسه موافقًا وقال: "لقد أخبرتني في سبرينـج، النادلة من مقهى بليزانـت، أن جيني عانت من مأساة عاطفية في الماضي، ولطالما تساءلت عن هذه المأساة".

قلـت: "ألم تجب عن هـذا السؤال للتو؟ لابد وأن تلـك المأساة هي هجرها صامويل كيد".

قال بوارو: "أعتقد أنه من الأكثر ترجيحًا أن تكون المأساة هي وفاة باتريك أيـف، الرجل الذي أحبته جيني بحق. أعتقد أن هذا كان سبب تغييرها لأسلوب حديثها: حتى تبدو وكأنها امرأة من طبقته الاجتماعية، على أمل منها أن يراها مكافئة له وليست مجرد خادمة".

سألتـه وأنا أنظـر إلى باب الغرفـة المغلق: "ألا تخشى أنهـا قد تختفي مرة أخرى؟ ما الذي تفعله ويستغرق هذا الوقت الطويل؟ أتعلم، علينا أن نصطحبها إلى المستشفى مباشرة، إن لم تكن قد ذهبت بالفعل".

بدا بوارو مندهشًا وهو يقول: "إلى المستشفى؟".

قلت: "نعم، لقد فقدت الكثير من الدم في غرفة الفندق".

قال بوارو: "إنك تفترض الكثير من الأمور الخاطئة"، وبدا أنه يرغب في إضافة المزيد، إلا أن جيني فتحت الباب في تلك اللحظة.

•

قالت جيني: "اعذرني يا سيد بوارو".

قال بوارو: "على ماذا يا آنسة؟".

خيم صمت غير مريح على الغرفة، ورغبت في الحديث، ولكني شككت في قدرتي على قول أي شيء مفيد.

قال بوارو ببطء وتروٍّ: "نانسي دوكاين. هل كانت الشخص الذي فررت منه عندما دخلت إلى مقهى بليزانت طلبًا للمأوى؟ هل كانت من تخشين؟".

همست جيني قائلة: "أعلم أنها من قتل هارييت وأيدا وريتشارد في فندق بلوكسهام. لقد قرأت عن الأمر في الصحف".

قال بوارو: "وحيث إننا عثرنا عليكِ في منزل صامويل كيد، خطيبك السابق، هل يمكننا أن نفترض أنه أخبركِ بما رآه في ليلة الحادث؟".

أومأت جيني برأسها وقالت: "لقد أخبرني بأنه رأى نانسي دوكاين تخرج مسرعة من فندق بلوكسهام، وبأنها أوقعت مفتاحين على الرصيف".

قال بوارو: "يا لها من مصادفة غريبة يا آنسة: نانسي دوكاين، والتي قتلت ثلاثة أشخاص بالفعل، وترغب في قتلكِ أنتِ أيضًا، لم يرها أحد تفر من مسرح الجريمة سوى الرجل الذي كنتِ تنوين الزواج منه في يوم ما".

همست جيني بصوت سمعناه بالكاد: "نعم".

قال بوارو: "إن بوارو يشك في مصادفة بهذا الحجم. إنكِ تكذبين الآن، وكنتِ تكذبين عندما التقينا المرة السابقة".

قالت جيني: "لا، أقسم لك...".

قال بوارو: "لماذا حجزتِ غرفة في فندق بلوكسهام، وأنتِ تعلمين أنه المكان الذي قُتل فيه كل من هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري وريتشارد نيجوس؟ أرى أنه لن يمكنكِ الإجابة عن هذا السؤال".

قالت جيني: "اسمع لي بالحديث وسأجيبك عن هذا السؤال. لقد تعبت من الفرار، وبدا لي أنه من الأسهل أن ألاقي مصيري".

قال بوارو: "هل هذا هو ما حدث؟ لقد تقبلتِ القدر الذي ينتظركِ بكل هدوء؟ تقبلته وذهبتِ إليه بقدميكِ؟".

قالت جيني: "نعم".

قال بوارو: "لماذا إذن - كما قال السيد لازاري، مدير الفندق - طلبتِ منه أن يحجز لكِ غرفة بسرعة، كما لو كنتِ لا تزالين تحاولين الفرار ممن يتعقبكِ؟ وحيث إنكِ لم تكوني مجروحة عندما دخلتِ الغرفة، فمَن ذاك الذي كان في الغرفة ٤٠٢؟".

بدأت جيني تبكي وتترنح في مشيتها، فهب بوارو من مقعده ليساعدها على الجلوس على أحد المقاعد وهو يقول: "اجلسي يا آنسة. لقد حان دوري الآن لأقف وأخبركِ كيف علمت بما لا يحتمل الشك *أن أيًا مما قصصته عليَّ لم يكن حقيقيًا*".

حذرت بوارو قائلاً: "اهدأ قليلاً يا بوارو". فقد كانت جيني تبدو كما لو كانت على وشك السقوط مغشيًا عليها.

لم يبدُ بوارو مهتمًا بها، فواصل حديثه قائلاً: "هناك من أعلن عن مقتل كل من هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري وريتشارد نيجوس بواسطة رسالة كُتب فيها: "أرجو ألا يرقدوا في سلام. ١٢١، ٢٣٨، ٣١٧". وبدأت أتساءل الآن: هل يمكن للقاتل، الذي يسير بكل هدوء نحو مكتب استقبال الفندق ويترك هناك رسالة تعلن عن جرائم القتل الثلاث التي ارتكبها، أن يخرج من الفندق مسرعًا يحاول التقاط أنفاسه، بل ويسقط مفتاحي غرفتين أمام أحد الشهود؟ هل يمكن أن نصدق أن حالة الهلع التي انتابت نانسي دوكاين قد بدأت فقط بعدما تركت الرسالة عند المكتب الأمامي؟ لماذا بدأت تلك الحالة في ذلك الوقت؟ وإن كانت نانسي دوكاين قد خرجت من الفندق بعد الثامنة مساءً بقليل، فكيف تمكنت من تناول العشاء مع صديقتها الليدي لويزا والاس في اللحظة ذاتها؟".

قلت: "بوارو، ألا تعتقد أنه يجب عليك ألا تقسو عليها لهذه الدرجة؟".

قال بوارو: "لا، لن أفعل. أنا أسألكِ يا آنسة جيني: لم كانت نانسي دوكاين بحاجة لترك رسالة من الأساس؟ ولم كان يجب أن يُعثر على الجثث الثلاث بعد الثامنة مساءً بقليل في تلك الليلة؟ كانت خادمات الفندق سيعثرن على الجثث خلال جولاتهن الاعتيادية، فلم العجلة إذن؟ وإن كانت السيدة دوكاين هادئة ومتماسكة بالدرجة التي تكفي لأن تسير نحو مكتب استقبال الفندق وتترك رسالة هناك دون أن تثير أية شبهات حولها، فلابد وأن هذا يعني أنها قادرة على التفكير بعقلانية حيال ما يجب أن تفعله. لماذا إذن لم تضع مفتاحي الغرفتين في جيب معطفها العميق في تلك اللحظة، قبل أن تغادر الفندق؟ بل أمسكت بهما، بكل حماقة، في يديها ثم أسقطتهما من يديها أمام السيد كيد، الذي تمكن من رؤية أنهما يحملان أرقامًا: مائة وشيء ما، وثلاثمائة وشيء ما. كما أنه، وبمحض المصادفة، تمكن من التعرف على وجه السيدة الغامضة، وبعد القليل من التظاهر بأنه لا يتذكر اسمها، عاد وكان على استعداد تام لأن يعطينا اسم نانسي دوكاين. أيبدو كل ما قلته معقولاً بالنسبة لكِ يا آنسة هوبز؟ إنه لا يبدو معقولاً لـ هيركيول بوارو على الإطلاق – ليس عندما عثر عليك هنا في منزل السيد كيد والذي يعرف أن نانسي دوكاين تمتلك حجة غياب".

كانت جيني تغطي عينيها بكم ردائها وتبكي.

التفت بوارو نحوي وقال: "كانت شهادة صامويل كيد كذبًا منذ البداية يا كاتشبوول، فقد تآمر مع جيني هوبز لتلفيق تهمة قتل كل من هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري وريتشارد نيجوس إلى نانسي دوكاين".

صاحت جيني قائلة: "إنك مخطئ".

قال بوارو: "أعلم أنكِ كاذبة يا آنسة. لطالما شككت في أن لقائي بكِ في مقهى بليزانت كانت له علاقة بجرائم القتل في فندق بلوكسهام. الحدثان اللذان وقعا – إن صنفنا جرائم القتل الثلاث على أنها حدث واحد – كانت بينهما سمة مشتركة شديدة الأهمية وبالغة الغرابة".

جعلتني هذه الكلمات أعتدل لأجلس مستقيمًا، فقد كنت أتطلع لأسمع نقاط التشابه تلك منذ وقت طويل.

تابع بوارو حديثه قائلاً: "أولاً: التشابه النفسي: في كلتا الحالتين كان هناك اقتراح *ينص على أن الضحايا مذنبون أكثر من القاتل*. الرسالة التي تُركت عند مكتب الاستقبال في فندق بلوكسهام – أرجو ألا يرقدوا في سلام – تقول إن كلًا من هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري وريتشارد نيجوس يستحقون الموت، وأن قاتلهم قد نفذ العدالة فيهم. وقد قلت لي يا آنسة جيني، عندما التقينا في مقهى بليزانت، إنكِ تستحقين الموت، وأنه بمجرد أن تموتي، سيتم تحقيق العدالة أخيرًا".

كان محقًا. كيف فاتني هذا؟

تابع بوارو حديثه: "ثم هناك وجه تشابه آخر، والذي لم يكن نفسيًا بل ظرفيًا: فيما يتعلق بجرائم قتل فندق بلوكسهام وحديثي مع جيني الخائفة في المقهى، كانت هناك الكثير من الأدلة – الكثير من المعلومات التي توافرت بسرعة كبيرة. الكثير من الخيوط التي أظهرت نفسها جميعًا مرة واحدة، كما لو كان هناك من يرغب في تقديم يد المساعدة إلى الشرطة. من لقائنا القصير في المقهى، تمكنت من اكتشاف كم مذهل من الحقائق. إن جيني تشعر بالذنب، ويبدو أنها اقترفت ذنبًا لا يُغتفر، كما أنها لا ترغب في أن يُعاقب قاتلها، وحاولت التأكيد على ذلك عندما قالت: "لا تدعهم يفتحوا أفواههم من فضلك"؛ لذا، عندما أسمع عن الجثث الثلاث في فندق بلوكسهام والتي توجد بأفواهها أزرار أكمام، فربما أتذكر ما قالته وأتساءل، أو ربما يقوم عقلي الباطن بالربط بين الحدثين".

اعترضت جيني قائلة: "أنت مخطئ بشأني يا سيد بوارو".

تجاهلها بوارو وتابع حديثه قائلاً: "دعونا نفكر الآن في جرائم القتل التي وقعت في فندق بلوكسهام، وهناك أيضًا وجدنا أننا أمددنا بالكثير من المعلومات بمجرد وصولنا بشكل يثير الريبة: ريتشارد نيجوس كان هو من دفع مقابل حجز الغرف الثلاث، وكذلك مقابل السيارات التي أقلت كلًا منهم من

محطة القطار وحتى الفندق. يعيش الضحايا الثلاث أو عاشوا في قرية جريت هولينج، كما كانت هناك أدلة مفيدة عن الأحرف الأولى المنقوشة على أزرار الأكمام والتي قادتنا مباشرة نحو حقيقة أن هؤلاء الأشخاص الثلاثة كانوا يستحقون العقاب – على معاملتهم الجائرة للمبجل باتريك أيف. علاوة على ذلك، أشارت الرسالة التي تُركت عند مكتب الاستقبال أن الجرائم قد ارتُكبت بدافع الانتقام، أو الرغبة في تحقيق العدالة. من النادر أن يكتب القاتل دافعه في رسالة ويتركها في مكان بارز مثل مكتب الاستقبال، أليس كذلك؟".

قلت: "في حقيقة الأمر، هناك بعض القتلة الذين يرغبون في أن تُعرف دوافعهم".

قال بوارو بصير شديد: "صديقي، إن كانت نانسي دوكاين رغبت في قتل كل من هاربيت سيبيل وأيدا جرانسبري وريتشارد نيجوس، فهل كانت ستفعلها بالطريقة التي تجعل الأدلة تعود لتشير إليها؟ هل كانت ترغب في أن تُعدم؟ ولم دفع ريتشارد نيجوس – والذي كان على وشك الإفلاس كما أخبرنا شقيقه – جميع تكاليف الإقامة في الفندق؟ إن نانسي دوكاين امرأة ثرية، فإن كانت القاتلة التي استدرجت ضحاياها إلى لندن لتقتلهم، فلم لم تدفع تكاليف إقامتهم في الفندق وتنقلاتهم. إن هذه الأمور لا تتفق معًا".

قالت جيني: "دعني أتحدث من فضلك يا سيد بوارو، وسأخبرك بالحقيقة".

قال بوارو: "بل أفضل حاليًا أن أخبرك أنا بالحقيقة يا آنسة. اعذريني، ولكني أرى أني أكثر موثوقية منك. قبل أن تخبريني بقصتك، سألتني عما إذا كنت متقاعدًا، أليس كذلك؟ كما قمتِ بعرض مبهر من خلال إصرارك على التأكد من أني لا أمتلك أية سلطات للقبض على الناس أو لتطبيق القانون في هذا البلد. في تلك اللحظة بالذات، وبعد أن طمأنتكِ حيال هذا الأمر، التمستني على سرك. *ولكني كنت قد أخبرتك بالفعل أن أحد أصدقائي يعمل في شرطة سكوتلاند يارد*. لقد تحدثت معي ليس لأنك اعتقدت بأني لا أمتلك أية سلطة للقبض على القاتل، *بل لأنك كنت تعلمين جيدًا أني أمتلك بعض النفوذ في الشرطة* – لأنك كنتِ ترغبين في رؤية نانسي دوكاين متهمة بالقتل وأن تُعدم!".

قالت جيني: "*أنا لا أرغب في هذا!*". ثم أدارت وجهها المغرق بالدموع نحوي وقالت: "أوقفه أرجوك".

قال بوارو: "سأتوقف عندما أرغب في ذلك. لقد كنتِ عميلة دائمة في مقهى بليزانت يا آنسة. لقد أخبرتني النادلات بذلك، فقد كن يتحدثن عن عملائهن كثيرًا في غيابهم، وأتوقع أنكِ سمعتهن يتحدثن عني أيضًا: الرجل النبيل الأنيق ذو الشاربين الذي كان يعمل كرجل شرطة في جميع أنحاء القارة الأوروبية — وبأن صديقي كاتشبوول هذا، يعمل في شرطة سكوتلاند يارد. لقد سمعتهن يقلن بأني أتناول العشاء في المقهى ليلة كل خميس في تمام السابعة والنصف مساءً. نعم يا آنسة. لقد كنتِ تعلمين جيدًا متى تعثرين عليَّ، وكنتِ تعلمين أن هيركيول بوارو مناسب لأغراضكِ الملتوية. وصلتِ إلى المقهى ورسمتِ على وجهكِ أمارات الرعب، ولكن كان كل هذا كذبًا، تمثيلًا. حدقتِ عبر النافذة لفترة طويلة، كما لو كنتِ تخافين من شخص ما يتبعكِ، *ولكنكِ لم تكوني لترى أي شيء عبر النافذة سوى انعكاس صورة الغرفة التي تقفين فيها*. ورأت واحدة من النادلات انعكاس صورة عينيكِ على الزجاج ورأت أنكِ كنتِ تراقبينها، ولا تراقبين الشارع. لقد كنتِ تحسبين الأمر، أليس كذلك؟ هل ارتاب أي من الحاضرين في أني أصطنع حالة الرعب التي أنا عليها؟ هل ستخمن هذه النادلة ذات البصيرة الثاقبة الحقيقة وتُفشل خطتي؟".

نهضت واقفًا وقلت: "بوارو، لا شك لديَّ في أنك محق، ولكن لا يمكنك أن تواصل اتهام المرأة المسكينة دون أن تترك لها فرصة الدفاع عن نفسها".

قال بوارو: "اهدأ يا كاتشبوول. ألم أشرح لك للتو أن الآنسة هوبز بارعة في اصطناع مظهر التعاسة بينما تظل في داخلها هادئة ومتماسكة؟".

صاحت جيني: "إنك رجل قاسي القلب".

قال بوارو: "على العكس يا آنسة. سأسمح لكِ بالحديث في الوقت المناسب، ثقي في هذا، ولكن أولاً، هناك سؤال آخر أود طرحه عليكِ. لقد قلتِ لي: "من فضلك، لا تدع أحدًا يفتح أفواههم". كيف علمتِ بأن نانسي دوكاين قد وضعت

أزرار الأكمام في أفواه الضحايا الثلاث بعد أن قتلتهم؟ يبدو من الغريب بالنسبة لي أنك تعرفين هذا الأمر. هل هددت السيدة دوكاين بأنها ستفعل ذلك الأمر؟ يمكنني أن أتخيل قاتلًا يهدد بالعنف قائلاً "إن أمسكت بك، سأقطع رقبتك". أو شيئًا من هذا القبيل. ولكني لا أتخيل قاتلًا يقول "بعد أن أقتلك سأضع زر أكمام منقوشًا عليه بعض الحروف في فمك بعد موتك عن عمد". لا يمكنني تخيل أي شخص يقول هذا الأمر، رغم سعة مخيلتي".

"واعذريني يا آنسة! ملاحظة أخيرة. أيًا كان الذنب الذي اقترفته وأدى إلى المصير المأساوي الذي لاقاه كل من باتريك وفرانسيس أيف، فقد كان هناك ثلاثة أشخاص قد أذنبوا بنفس قدر ذنبك إن لم يكن أكثر منك: هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري وريتشارد نيجوس، فهم من صدق كذبتك وحرضوا القرية بأكملها ضد المبجل أيف وزوجته، والآن، كنت قد قلت لي في المقهى "بمجرد أن أموت، فستتحقق العدالة أخيرًا." وكنت قد شددت كثيرًا على كون الموت موتك "أنت": "بمجرد أن *أموت*". وقد جعلني هذا أدرك بأنك كنت تعلمين بالفعل بموت كل من هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري وريتشارد نيجوس. ولكن، إن نظرت إلى جميع الأدلة التي عُرضت أمامي حينها، *فلابد وأن جرائم القتل الثلاث التي وقعت في فندق بلوكسهام لم تكن قد ارتُكبت بعد*".

بكت جيني وقالت: "توقف أرجوك، توقف".

قال بوارو: "سيسعدني أن أتوقف بعد لحظات، ولكن دعيني أقل أولاً إن الوقت كان حوالي الثامنة إلا الربع عندما قلت لي هذه الكلمات: بمجرد أن أموت فستتحقق العدالة أخيرًا – ولكننا نعلم أن طاقم الفندق عثر على الجثث في الثامنة وعشر دقائق، ولكنك كنت تعلمين بوقوع جرائم القتل الثلاث مقدمًا بطريقة ما يا جيني هوبز. كيف علمت؟".

قالت جيني: "إن توقفت عن اتهامي، فسأخبرك بكل شيء. لقد كنت يائسة، وكنت مضطرة للاحتفاظ بجميع الأسرار والكذب باستمرار – لقد كنت أتعذب كثيراً، ولا يمكنني تحمل المزيد من هذا!".

قـال بوارو بلطـف مفاجئ: "جيد. لقـد تعرضتِ لصدمة قويـة اليوم، أليس كذلك؟ ربما ستعرفين الآن أنكِ لست قادرة على خداع بوارو، أليس كذلك؟".

قالـت جينـي: "لقد عرفت الآن. دعنـي أقص عليك ما حـدث منذ البداية. سأرتاح كثيرًا إن تمكنت من قول الحقيقة في النهاية".

تحدثـت جيني كثيرًا، ولـم أقاطعها أو بوارو حتى أعلنـت أن قصتها انتهت، وكان ما سمعته من كلماتها، كما آمل، القصة الحقيقية الصادقة لما حدث.

الفصل ١٩

الحقيقة أخيرًا

لقد دمرت حياة الرجل الوحيد الذي أحببته في حياتي، ودمرت حياتي معها.

لـم أقصد أن تنحى الأمـور المنحى الذي سلكته، فلم أتخيـل أبدًا أن بعض الكلمـات السخيفة القاسية التي تفوهت بهـا قد تقود إلى مثل تلك الكارثة. كان عليَّ أن أكون عاقلة وأن أترك فمي مغلقًا، ولكني كنت أشعر بأني مجروحة ، وفي لحظة ضعف، تركت الحقد يتملكني.

لقـد أحببـت باتريك أيف بكل جوارحـي، وحاولت أن أمنـع نفسي عن حبه، فقـد كنت مخطوبة لـ صامويـل كيد وكنا على وشك الـزواج عندما بدأت العمل لـدى باتريك – كخادمـة في كلية الدين بجامعة كامبريـدج، حيث كان يدرس. كان سـام يعجبني، ولكن قلبي كان ملكًا لـ باتريك في غضون بضعة أسابيع من لقائنـا الأول، وأدركت بـأن محاولتي لتغيير شعوري نحوه لـن تفيدني، فقد كان باتريـك مثالاً على الشخصـ الطيب. كنت أعشقه، ولكني لم أكن بالنسبة له إلا مجـرد خادمة. حتى بعد أن تعلمـت كيفية الحديث مثل ابنة أحد أساتذة جامعة كامبريـدج – مثل فرانسيس أيـف – ظللت في نظر باتريك الخادمة المخلصة ولا شيء أكثر.

كنت أعلم بالطبع عما يدور بينه وبين نانسي دوكاين، فقد تناهى إلى سمعي بعض من حواراتهمـا التي لم يكن مـن المفترض أن أسمعهـا، وكنت أعلم كم

يحبها. ولم أتمكن من تحمل ذلك. كنت قد تقبلت منذ زمن طويل أنه أصبح يخص فرانسيس أيف ولا يخصني أنا، ولكني لم أتمكن من تحمل فكرة أن يقع في حب امرأة ليست زوجته وأن هذه المرأة ليست أنا.

للحظات قليلة - وليس أكثر - كنت أرغب في عقابه، أن أجعله يشعر بالأذى الكبير الذي جعلني أشعر به. لذا، اختلقت تلك الكذبة الشريرة عنه، وليسامحني الله، وأخبرت هارييت سيبيل بها. كنت أشعر بالراحة بينما كنت أخبرها بالكذبة: فكرة أن كلمات الحب التي كان يهمس بها باتريك في أذن نانسي - الكلمات التي سمعتها أكثر من مرة - لم تكن تخرج من بين شفتي باتريك، بل من بين شفتي الراحل ويليام دوكاين، والتي كانت تصدر من قبره. كنت أعلم أن ما أقوله غير معقول، ولكن عندما أخبرت هارييت بهذا، بدا وكأن ما أقوله هي الحقيقة لبضع لحظات.

ثم بدأت هارييت عملها، وبدأت في نشر الكثير من الشائعات الشريرة والتي لا يمكن غفرانها عن باتريك في جميع أنحاء القرية - وساعدها كل من أيدا وريتشارد، الأمر الذي لم أفهمه على الإطلاق. فقد كانا يعرفان كم تحولت لتصبح امرأة شريرة، فقد كان جميع من في القرية يعلمون ذلك. كيف انقلبا على باتريك وأصبحا حليفيها؟ أنا أعرف الإجابة: كان هذا خطئي. أدرك كل من ريتشارد وأيدا أن الشائعة لم تصدر من هارييت في المقام الأول بل من خادمة لطالما كانت وفية ومخلصة لـ باتريك والتي لم يكن هناك سبب لكذبها.

أدركت على الفور أن غيرتي قد قادتني إلى أمور مريعة وشريرة، وراقبت عذاب باتريك وأردت بشدة أن أساعده، وفرانسيس - ولكني لم أعرف كيف أساعدهما. كانت هارييت قد رأت نانسي تدخل وتخرج من منزل باتريك في عتمة الليل، وكذلك فعل ريتشارد نيجوس. إن أقررت بالكذب، فسيكون عليَّ أن أقول لهما سبب تردد نانسي على منزل باتريك في الليل، ولم تكن هارييت لتستغرق الكثير من الوقت حتى تتوصل للأمر بنفسها.

الحقيقة المرة هي أني جبانة. الأشخاص على غرار أيدا جرانسبري وريتشارد نيجوس لم يكن يهمهم رأي الآخرين فيهم إن اعتقدوا بأن الحق

في صفهم، ولكني لست كذلك. لطالما كنت أرغب في ترك انطباع جيد لدى الجميع. إن اعترفت بكذبتي، فسيكرهني جميع من في القرية، وسيكون لهم الحق في ذلك. أنا لست امرأة قوية يا سيد بوارو، لذا، لم أفعل شيئًا ولم أقل شيئًا لأني كنت خائفة. ثم تقدمت نانسي، خوفًا من الكذبة ومن تصديق الناس لها، وقالت الحقيقة: أنها وباتريك كانا واقعين في الحب وأنهما كانا يلتقيان سرًا، ولكن لم يحدث بينهما أي شيء يخجلان منه.

زادت محاولة نانسي لتبرئة ساحة باتريك من الطين بلة، فقد بدأ الجميع يقولون: إنه ليس مشعوذًا يخدع القرويين فحسب، بل ينتهك أيضًا جميع القيم الدينية والأخلاقية. ولم تتحمل فرانسيس الأمر، فانتحرت، وعندما عثر عليها باتريك ميتة، أدرك أنه لن يتمكن من التعايش مع شعوره بالذنب – فرغم كل شيء، كان حبه لـ نانسي هو ما أشعل فتيل الأزمة، وأنه فشل في واجبه نحو فرانسيس، فانتحر هو الآخر.

قال طبيب القرية إن حالتي الوفاة كلتيهما كانتا عرضيتين، ولكن هذا لم يكن حقيقيًا. لقد انتحر كلاهما – إثم آخر من وجهة نظر من يرون أنفسهم ملائكة مثل أيدا جرانسبري، وأولئك المتعطشين للعقاب مثل هارييت سيبيل. كما ترك كل من باتريك وفرانسيس رسالة كما تعلم. كنت من عثر على الرسالتين وسلمتهما إلى الطبيب أمبروز فلاورداي، وأعتقد أنه أحرقهما، وقال إنه لن يسمح لأحد بأن يزيد من اتهاماته لكل من باتريك وفرانسيس، وكان الطبيب فلاورداي قد سئم من الطريقة التي انقلب بها جميع القرويين عليهما.

فطر موت باتريك قلبي، وظل مفطورًا منذ ذلك اليوم يا سيد بوارو. لقد أردت أن أموت، ولكن مع موت باتريك، شعرت بأنه يجب عليَّ أن أحيا لكي أحبه وأتذكره بالخير – كما لو كان هذا سيعوضه عن الصورة التي رسمها له الجميع في جريت هولينج كشيطان رجيم.

كان عزائي الوحيد هو أني لم أكن وحيدة في هذا العذاب، فقد شعر ريتشارد نيجوس بالخجل من الدور الذي لعبه في الأمر، والذي كان الوحيد من بين

متهمي باتريك من غير من رأيه، فعندما سمع قصة نانسي، أدرك على الفور أن الكذبة التي قلتها لم تكن حقيقية.

قبل أن ينتقل إلى منزل أخيه في ديفون، بحث ريتشارد عني وسألني مباشرة عن الأمر. أردت أن أقول له إن الشائعة التي أطلقتها ليست حقيقية، ولكني لم أجرؤ على ذلك، لذا، لم أنبس ببنت شفة، بل جلست صامتة كما لو أني قد ابتلعت لساني، واعتبر ريتشارد أن صمتي إقرار بالذنب.

تركت جريت هولينج بعد وقت قصير من تركه لها، وذهبت إلى سامي طلبًا للمساعدة في بداية الأمر، ولكني لم أستطع العيش في كامبريدج – فقد كانت هناك الكثير من الذكريات المتعلقة بـ باتريك – لذا حضرت إلى لندن، وكانت هذه فكرة سامي. عثر سامي على عمل هنا، وبفضل بعض الأشخاص الذين عرفني عليهم، تمكنت من الحصول على عمل أنا أيضًا. إن سامي يحبني بنفس قدر حبي لـ باتريك، وكان عليّ أن أكون ممتنة له على ذلك. طلب مني الزواج مرة أخرى ولكني لم أستطع رغم أني أعتبره صديقًا عزيزًا.

بدأ فصل جديد من حياتي بمجرد انتقالي إلى لندن، ولكني لم أتمكن من الاستمتاع بها، وكنت أفكر في كل يوم بـ باتريك وفي عذاب عدم رؤيته مرة أخرى. ثم وصلني خطاب من ريتشارد نيجوس في شهر سبتمبر الماضي، وكانت قد مرت خمس عشرة سنة، ولكني لم أشعر كما لو أن الوقت قد عاد بي إلى الماضي – لأني لم أكن قد تركت الماضي أبدًا.

حصل ريتشارد على عنواني من الشخص الوحيد الذي يعرفه في جريت هولينج: الطبيب أمبروز فلاورداي. لا أعلم سبب تركي عنواني له، ولكني كنت أرغب في أن يعلم شخص من هناك مكاني. وتذكرت أني فكرت حينها أني لم أكن أرغب في أن أختفي دون أثر، شعرت بأني...

لا، لن أقول هذا. ليس حقيقيًا أني تبصرت المستقبل ورأيت أن ريتشارد نيجوس سيبحث عني مرة أخرى ليطلب مني المساعدة على تصحيح الخطأ القديم الذي ارتكبناه، بل سأقول بأنه كان لدي هاجس قوي، رغم أني

لا يمكنني وصفه بالكلمات. كنت أعلم أن قرية جريت مولينج لم تفرغ مني تمامًا، وأني لم أفرغ منها، ولهذا السبب كان عليّ أن أرسل بعنواني إلى الطبيب فلاورداي.

كان ريتشارد يقول في الخطاب إنه يرغب في رؤيتي. ولم يخطر ببالي أن أرفض طلبه. لذا، حضر إلى لندن في الأسبوع التالي، ودون تمهيد، طلب مني مساعدته على تصحيح الأمور التي لا يمكن غفرانها التي اقترفناها في الماضي.

ولكني قلت له إني لا أعتقد بأنه يمكن تصحيح أي شيء. فقد مات باتريك، ولا يمكن تصحيح هذا. فقال ريتشارد: "نعم، لقد مات كل من باتريك وفرانسيس، ولن نرى، أنا وأنتِ، السعادة مرة أخرى. ولكن ماذا لو قمنا بتضحية مماثلة؟".

لم أفهم ما كان يقصده، فسألته.

أجابني قائلاً: "إذا كنا نحن من قتل كلًا من باتريك وفرانسيس أيف، وهذا ما أعتقد بأننا فعلناه، ألن يكون من الصواب أن نبذل أرواحنا فداءً لهما، أليس كذلك؟ ألم نجد أننا غير قادرين على الاستمتاع بالحياة مثل بقية البشر؟ ما سبب هذا؟ لماذا لم يُشفِ الزمن جراحنا كما من المفترض أن يفعل؟ أهذا بسبب أننا لا نستحق الحياة بينما يرقد المسكينان باتريك وفرانسيس في قبريهما؟". ثم اسودت عينا ريتشارد وهو يتحدث وتغيرتا من لونهما البني إلى الأسود القاتم وهو يقول: "قانون الأرض يعاقب بالموت من يسلبون أرواح الأبرياء، وقد احتلنا على هذا القانون".

كان من الممكن أن أقول له إن أيًا منا لم يحمل سلاحًا ويقتل به باتريك وفرانسيس، وكانت هذه هي الحقيقة، ولكن، تردد صدى كلماته في أذنيّ بأني أعلم أنه محق، رغم أن الكثيرين قالوا إنه مخطئ. بينما كان يتحدث، امتلأ قلبي بشيء أقرب للشعور بالأمل للمرة الأولى منذ خمس عشرة سنة. لم أكن قادرة على إعادة باتريك للحياة، ولكني كنت واثقة من أنني لن أهرب من وجه العدالة بسبب ما اقترفته في حقه.

سألت ريتشارد: "هل تعني أن أنتحر؟". لم يكن ريتشارد قد قالها صراحة.

قال ريتشارد: "لا، ولا أنا. إن ما أعنيه ليس انتحارًا، بل إعدامًا - سنتطوع للقيام به، أو سأفعل أنا على الأقل، فلا رغبة بي لأن أجبرك على المشاركة".

ذكرته قائلة: "لسنا المذنبين الوحيدين في هذا الأمر".

وافقني قائلاً: "لا، لسنا الوحيدين". وكاد ما قاله بعد ذلك أن يجعل قلبي يتوقف: "هل سيدهشك يا جيني أن تعلمي بأن كلًا من هارييت سيبيل وأيدا جراتسبري قد اقتنعتا بتفكيري هذا؟".

قلت له بأني لا أصدق ما يقول، وفكرت أنه لن تقر أي من هارييت أو أيدا أبدًا بأنهما قد ارتكبتا فعلاً قاسيًا ولا يمكن غفرانه، فقال لي ريتشارد إنه أيضًا، في لحظة ما. قد تعامل مع الأمر على أنه أمر مسلم به، حيث قال: "لقد أقنعتهما، والناس يثقون برأيي يا جيني. لطالما يفعلون. لقد عملت على كل من هارييت وأيدا، ليس من خلال الاتهام القاسي المباشر، بل من خلال التعبير، دون إبداء اهتمام كبير، عن عميق ندمي ورغبتي الشديدة في أن أعوض عن الأذى الذي سببته. لقد استغرقني الأمر سنوات طويلة - بعدد السنوات التي مرت منذ تحدثنا للمرة الأخيرة معًا - ولكن في نهاية المطاف، بدأت كل من هارييت وأيدا تريان الأمور من الزاوية التي أراها بها. وأصبحت كلتاهما امرأتين تعيستين أيضًا: هارييت منذ أن توفي زوجها، وأيدا منذ أخبرتها بأني لم أعد أرغب في الزواج منها".

فتحت فمي لأعبر عن عدم تصديقي لما يقال، ولكن تابع ريتشارد حديثه، حيث طمأنني لأن كلًا من هارييت وأيدا قد تقبلتا مسئوليتهما عن موت كل من باتريك وفرانسيس أيف، وأصبحتا راغبتين في تصحيح الخطأ الذي قامتا به، حيث قال: "إن علم النفس المتعلق بهذا الأمر مذهل، فـ هارييت تظل سعيدة طالما هناك شخص ما يمكنها عقابه، وفي الوقت الحالي، هذا الشخص هو هارييت نفسها. لا تنسي أنها تتوق لأن يلتئم شملها بزوجها مرة أخرى في الجنة، ولن تسمح بوجود احتمالية بأن ينتهي بها المطاف في مكان آخر".

كنت عاجزة عن الحديث من شدة الصدمة، وقلت له إني لا أصدق ما يقول، فأخبرني ريتشارد بأنهما سيؤكدان الأمر لي بمجرد أن أتحدث إليهما، وقال إنه يجب عليَّ أن ألتقيهما حتى أرى بنفسي كيف تغيرتا.

لم يمكنني أن أتخيل أن هارييت وأيدا تغيرتا، وخشيت أن أقتلهما إن وجدت نفسي في الغرفة ذاتها مع أي منهما.

قال ريتشارد: "عليكِ أن تحاولي استيعاب الأمر يا جيني. لقد عرضت عليهما طريقًا للخلاص من عذابهما — واطمئني، إنهما تتعذبان، فلا يمكن للمرء أن يتسبب بمثل هذا الأذى الكبير للآخرين ولا يجرح نفسه خلال ذلك. طوال سنوات، اعتقدت كل من هارييت وأيدا أن ما تمسكتا به هو اعتقادهما بأنهما كانتا محقتين بشأن باتريك، ولكن بمرور الوقت، تمكنتا من رؤية أني كنت أعرض عليهما شيئًا أفضل: الخلاص الحقيقي. إن الأرواح الآثمة تتوق للغفران يا جيني، وكلما أنكرنا احتمالية العثور على الغفران، زاد شوقنا له، وبفضل جهودي الحثيثة، تمكنت كل من هارييت وأيدا من رؤية أن الاشمئزاز الذي يتنامى في داخل كل منهما نابع من أفعالهما، نابع من الشر الذي حاولتا أن تلبساه رداء الحق، ولكنه ليس نابعًا من خطايا باتريك أيف الوهمية".

بعدما سمعت حديث ريتشارد، بدأت أرى أن أكثر الناس عنادًا — حتى هارييت سيبيل نفسها — قد يقنعها بحديثه، حيث إن لديه أسلوبًا خاصًا يجعلك ترى العالم بشكل مختلف.

طلب مني الإذن بأن يحضر كل من هارييت وأيدا إلى لقائنا القادم، ومنحته الإذن رغم الخوف والشك اللذين ملآ قلبي.

رغم أني صدقت كل ما قاله لي ريتشارد عندما غادر، إلا أني وجدت نفسي أترنح من فرط الصدمة عندما وجدت نفسي، بعد يومين، في الغرفة ذاتها مع كل من هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري، ورأيت بعيني أنهما قد تغيرتا مثلما أخبرني ريتشارد، أو أنهما ما زالتا على طبيعتهما المعتادة ولكنهما رغبتا في ذلك الوقت بالاحتفاظ بقسوتهما وانعدام شفقتهما لنفسيهما. عادت الكراهية

لتملأ نفسي نحوهما عندما بدأنا الحديث عن "باتريك المسكين العطوف" وعن "فرانسيس المسكينة البريئة"، فلم يكن لهما الحق في قول مثل تلك الكلمات.

اتفق أربعتنا على أنه يجب علينا أن نفعل شيئًا ما لتصحيح الخطأ الذي وقع، فقد كنا قتلة، ليس من وجهة نظر القانون، بل من وجهة نظر الحقيقة، ويجب أن يدفع القتلة الثمن حياتهم، ولن يسامحنا الله إلا بعد موتنا.

قال ريتشارد: "نحن الأربعة القاضي والمحلفون والجلاد، وسوف نعدم بعضنا البعض".

سألته أيدا وهي تنظر له بحب: "وكيف سنفعل ذلك؟".

قال ريتشارد: "لقد فكرت في طريقة، وسأهتم بجميع التفاصيل".

وبهذا، دون أية ضوضاء أو شكوى، وقعنا اتفاق موتنا، ولم أشعر بشيء سوى الراحة الغامرة، وأتذكر أني فكرت أني لن أكون خائفة من أن أقتل طالما ضحيتي لا تشعر بالخوف من الموت. كلمة ضحية لا تنطبق على هذه الحالة، ولا أعلم الكلمة الصحيحة التي تنطبق على هذا الوضع.

قالت هارييت حينها: "مهلاً، ماذا عن نانسي دوكاين؟".

*

كنت أعلم ما تقصده قبل حتى أن تتفوه به، ففكرت في نفسي: "آه، نعم، هذه هي هارييت سيبيل القديمة ذاتها". لم تكفها أربع وفيات من أجل هدف نبيل، فأصبحت تتوق للوفاة الخامسة.

سألها كل من ريتشارد وأيدا عما تعنيه.

قالت هارييت بعينين جامدتين كالحجارة: "يجب أن تموت نانسي دوكاين أيضًا، فهي من أغوت باتريك المسكين وأعلنت عارهما أمام سكان القرية بالكامل وفطرت قلب فرانسيس المسكينة".

قلت لها بقلق: "لا، لن توافق نانسي أبدًا على التضحية بحياتها، كما أن... باتريك كان يحبها".

أصرت هاربيت قائلة: "إنها مذنبة مثلنا تمامًا، ويجب أن تموت. يجب أن نموت جميعًا، جميع المذنبين، وإلا سيذهب كل ما فعلناه سدى. إن كنا بصدد فعل ما اتفقنا عليه، فيجب أن نفعله بالشكل الصحيح. لقد كان ما كشفت عنه فرانسيس، أتذكرون، هو ما عجل بانتحار فرانسيس، كما أني أعلم أمرًا ما لا تعلمونه".

طلب منها ريتشارد أن تخبرنا جميعًا بالأمر على الفور، فقالت هاربيت وعيناها تلمعان: "لقد أرادت نانسي أن تعلم فرانسيس بأنها تملك قلب باتريك، فقد قالت ما قالته بدافع من الغيرة والحقد. لقد أقرت لي بهذا. إنها مذنبة مثلنا تمامًا – بل أكثر. إن أردتم رأيي الحقيقي، وإن لم توافق على أن تموت... حسنًا إذن!".

جلس ريتشارد لوقت طويل واضعًا رأسه بين كفيه، وانتظرنا أنا وهاربيت وأيدا صامتين، وأدركت حينها أن ريتشارد هو قائدنا. وأيًا كان ما سيقوله بعد فترة الصمت تلك، فسنطيعه على الفور.

صليت من أجل نانسي، فلم أكن ألقي باللوم عليها فيما يتعلق بموت باتريك، لم أفعل ولن أفعل أبدًا.

قال ريتشارد رغم أنه لم يبدُ سعيدًا: "حسنًا، يحزنني أن أقر بهذا، ولكن نعم، لم يكن يجب على نانسي دوكاين أن تغوي زوج امرأة أخرى، ولم يكن عليها أن تعلن علاقتها بـ باتريك على الملأ في القرية بالطريقة التي فعلتها. إننا لا نعلم ما إذا كانت فرانسيس أيف لتمتنع عن الانتحار لو أن هذا لم يحدث، ولكن يجب أن تموت نانسي دوكاين أيضًا".

صرخت قائلة: "لا"، فكل ما كنت أفكر به حينها هو ما الذي كان سيشعر به باتريك إن سمع هذه الكلمات.

قال ريتشارد: "أنا آسف يا جيني، لكن هاربيت محقة. إنه أمر جريء وصعب علينا القيام به. لا يمكننا أن نطلب من أنفسنا تلك التضحية الكبيرة ونترك على قيد الحياة شخصًا شاركنا الذنب فيما حدث. لا يمكننا أن نعفي نانسي من الذنب".

كنت أرغب في الصراخ والخـروج مسرعة من الغرفة، ولكني أجبرت نفسي علـى البقاء والجلوس في مقعدي دون حراك. كنـت واثقة من أن هارييت كانت تكـذب فيما يتعلق بسبب تحدث نانسي أمام الجميع في كينجز هيد، ولم أصدق أن نانسي أقرت بأنها فعلت ذلك بدافع من الغيرة والرغبة في إيذاء فرانسيس، ولكنـي، أمام هارييت، كنت خائفة للغاية من قـول ذلك، كما أني لم أكن أمتلك أي دليل. قال ريتشارد إنه بحاجة للتفكير لبعض الوقت في كيفية تنفيذ خطتنا.

بعـد أسبوعين، حضر لزيارتـي مرة أخرى، وكان بمفـرده، وقال إنه قرر ما يجب أن يحدث. كنت وهو فقط من يعلم الحقيقة الكاملة – وكذلك سامي، فقد أخبرته بكل شيء دون أدنى شك.

قـال ريتشارد إننا سنخبر كلًّا من هارييت وأيدا بأن خطتنا تقضي بأن يقتل كل منـا الآخـر كما اتفقنا، وأن نلفق جرائم القتل لـ نانسي دوكاين، وحيث إنها تعيش في لندن، فيجب أن تحدث الجرائم في لندن، واقترح ريتشارد أن تحدث في أحد الفنادق، وقال إنه سيتحمل تكاليف كل شيء.

بمجـرد أن وصلـوا إلـى الفنـدق، كان كل شيء بسيطًـا: كانت أيـدا ستقتل هـارييت، وسيقتل ريتشارد أيدا، وسأقتل أنا ريتشارد، وكان على كل قاتل، عندما يحيـن دوره، أن يضع زر أكمام يحمـل أحرف اسم باتريك أيف الأولى داخل فم ضحيتـه وأن يعد مسرح الجريمة حتى تكون مماثلـة تمامًا للغرفتين الأخريين، حتـى تُسلم الشرطة بـأن القاتل نفسه هو من تسبب في حـالات الموت الثلاث، كنـت على وشك أن أقول جرائم القتل الثلاث، ولكنها لم تكن كذلك. لقد كانت إعدامـات. لقد خطرت لنا فكـرة أنه يجب القيام بإجـراءات معينة بعد إعدام المذنبيـن، أليس كذلك؟ حيث يكون على طاقـم السجن أن يعامل جميع الجثث بالطريقـة ذاتهـا، وكان ريتشارد هو من اقترح أن توضـع الجثث بالطريقة التي رأيتماها – باحترام وكرامة، بشكل رسمي – وكانت هذه كلمات ريتشارد.

وحيـث إن هناك ضحيتين سيعطيان عنوان سكنهمـا إلى إدارة الفندق على أنهمـا فـي قرية جريت هولينج، فكنـا نعلم أن الشرطة لن تستغـرق وقتًا طويلًا حتـى تذهب إلـى هناك وتحقق في الأمر وتبدأ في توجيـه الشكوك نحو نانسي.

من غيرها سيكون مشتبهًا به؟ وقد يتظاهر سامي بأنه رآها تخرج مسرعة من الفندق بعد ارتكاب الجريمة الثالثة، وأنها أسقطت مفاتيح الغرف الثلاث على الأرض. هذا صحيح: *مفاتيح الغرف الثلاث*. لقد كان مفتاح غرفة ريتشارد جزءًا من الخطة أيضًا، فقد كان من المفترض أن تأخذ أيدا مفتاح غرفة هارييت معها إلى غرفتها بعد أن تقتل هارييت وتغلق غرفتها، وكان من المفترض أن يفعل ريتشارد المثل: أن يأخذ مفتاحي غرفتي هارييت وأيدا معه بعدما يغادر غرفة أيدا ويغلقها خلفه. ثم كنت سأقتل أنا ريتشارد وآخذ مفاتيح الغرف الثلاث وأغلق غرفته وأقابل سامي خارج الفندق وأعطيه المفاتيح، ومن ثم سيدسها سامي في مكان ما من منزل نانسي، أو، كما تبين لاحقًا، في جيب معطفها في أحد الأيام بينما كانت تسير في الشارع، حتى تلفق لها تهمة القتل.

لا أعتقد أنه بالأمر المهم، ولكن باتريك أيف لم يرتد أزرار أكمام تحمل أحرف اسمه الأولى في حياته. فلم يكن يمتلك ولو حتى زوجًا منها على حد معرفتي، حيث أمر ريتشارد نيجوس بأن تتم صناعة أزرار الأكمام هذه خصيصًا من أجل أن يرشد الشرطة إلى الطريق الصحيح. كان ترك بقعة الدماء وقبعتي داخل غرفة الفندق الرابعة جزءًا من الخطة أيضًا، وكان الغرض من ذلك أن نجعلكم تعتقدون بأني قد قُتلت في هذه الغرفة – وأن نانسي دوكاين قد انتقمت لحبيبها المتوفى عبر قتل أربعتنا. كان ريتشارد مسرورًا بترك أمر بقعة الدماء لـ سامي، والتي حصل عليها من قطة شريدة، إن أردت أن تعلم مصدرها. كما أن ترك الرسالة التي تقول: "أرجو ألا يرقدوا في سلام"، وبعدها أرقام الغرف الثلاث، عند مكتب الاستقبال ليلة وقوع الجرائم كانت مهمة سامي أيضًا، حيث كان عليه أن يتركها عند مكتب الاستقبال عندما لا يكون ملحوظًا، بعد الثامنة مساءً بقليل، بينما كانت مهمتي في الوقت ذاته أن أظل على قيد الحياة لأتأكد من أن نانسي دوكاين قد شُنقت عقابًا على جرائم القتل الثلاث، أو ربما الجرائم الأربع إن صدقت الشرطة أني قد قُتلت.

كيف سأحقق ذلك؟ حسنًا، كالضحية الرابعة التي ترغب نانسي في قتلها – الضحية الرابعة هي المسئولة عما حدث لـ باتريك – كان عليّ أن أدع

الشرطة تعلم بأني أخشى على حياتي، وهذا ما فعلته في مقهى بليزانت، وكنت أنت جمهوري يا سيد بوارو. لقد كنت محقًا: لقد خدعتك. كما أنك محق بشأن سماعي لأحاديث النادلات في مقهى بليزانت عن المحقق الذي أتى من أوروبا والذي يحضر ليلة كل خميس في السابعة والنصف تمامًا والذي يتناول الطعام في بعض الأحيان مع صديقه الشاب من شرطة سكوتلاند يارد، وبمجرد أن سمعت الفتيات يتحدثن عنك، أدركت على الفور أنك مناسب تمامًا لما سأفعله.

ولكن يا سيد بوارو، هناك استنتاج خاطئ من بين الاستنتاجات التي خرجت بها. فقد قلت إنه بقولي: "بمجرد أن أموت ستتحقق العدالة أخيرًا"، سيعني هذا أني أعلم بأن الثلاثة الآخرين قد ماتوا بالفعل، ولكني لم أكن أعلم ما إذا كان كل من هارييت وأيدا وريتشارد قد ماتوا أم لا، لأني حينها سأكون قد دمرت كل شيء. كنت أفكر فقط، عندما تفوهت بهذه الكلمات، في أني، طبقًا للخطة التي وضعتها وريتشارد، سأعيش لفترة أطول منهم، لذا، فإنهم كانوا لا يزالون على قيد الحياة عندما تفوهت بتلك الكلمات.

يجب عليَّ أن أوضح ذلك: كانت هناك خطتان – الخطة التي وافقت عليها كل من هارييت وأيدا، وخطة أخرى مختلفة تمامًا لا يعلم أحد عنها شيئًا سواي وريتشارد. فالخطة التي كان يعرفها كل من هارييت وأيدا كانت ستسير على النحو التالي: أيدا تقتل هارييت، وريتشارد يقتل أيدا، وأقتل أنا ريتشارد، ومن ثم أزيف مقتلي في فندق بلوكسهام باستخدام الدم الذي سيحضره سامي، وأني سأعيش حتى أرى نانسي تتدلى من حبل المشنقة، ومن ثم أنتحر. كان عليَّ أن أكون آخر من يموت بسبب التمثيل الذي كان يتطلبه الأمر، فأنا ممثلة جيدة عندما أرغب في ذلك، عندما خدعتك خلال لقائنا في المقهى يا سيد بوارو... لم تكن هارييت سيبيل قادرة على القيام بمثل هذا الأداء، ولا أيدا ولا ريتشارد، لذا، كان عليَّ أن أكون آخر من يموت.

لم تكن الخطة التي وافقت عليها هارييت وأيدا هي خطة ريتشارد الحقيقية، فعندما حضر ليلقاني بمفردي، بعد أسبوعين من لقائنا الأول في لندن مع

هاربيت وأيدا، أخبرني أن مسألة ما إذا كان يجب أن تموت نانسي أم لا تقلقه بشدة، فقد كان مثلي، لا يصدق أن نانسي قد أقرت لـ هارييت بأنها تحدثت في نزل كينجز هيد لأسباب بعيدة كل البعد عن الدفاع عن باتريك ضد الأكاذيب التي تُحاك حوله.

بل على النقيض، كان ريتشارد يفهم وجهة نظر هارييت. كان موت باتريك وفرانسيس أيف بسبب إساءة حكم من الكثير من الأشخاص، وكان من الصعب عدم حساب نانسي دوكاين من بين هؤلاء الأشخاص.

لم أشعر بهذا القدر من الدهشة في حياتي، أو الخوف، عندما أخبرني ريتشارد بأنه لم يستطع التوصل إلى قرار فيما يتعلق بـ نانسي، ولهذا السبب، فقد ترك الأمر برمته لي لأقرر، حيث قال لي إنه بعد موته وهارييت وأيدا، ستكون لي حرية الاختيار: إما أن أبذل أقصى ما في وسعي حتى تُشنق نانسي، أو أن أنتحر وأترك رسالة أخرى لطاقم الفندق كُتب فيها: "أرجو ألا يرقدوا في سلام"، ولكن دون ذكر الحقيقة عن حالات القتل.

رجوت ريتشارد لكي لا يجبرني على التقرير بمفردي، لماذا أنا؟ طلبت منه أن أعرف.

قال ريتشارد – ولن أنسى ما قاله ما حييت: "لأنكِ يا جيني، لأنكِ أفضل واحدة منا، لأنكِ لم تفسدي بشعورنا الزائف بمناصرة الحق. نعم، لقد كذبتِ، ولكنكِ أدركتِ الخطأ الذي ارتكبته بمجرد أن خرجت الكلمات من فمك. لقد صدقت كذبتكِ لفترة طويلة دون أن أمتلك أي دليل مادي، وساعدت على شن حملة ضد رجل طيب وبريء، رجل مخطئ، نعم، ولكن من منا ليس له خطايا؟".

قلت لـ ريتشارد: "حسنًا، سأقوم بالاختيار الذي وثقت بي للقيام به"، وأعتقد أني كنت أشعر بالسعادة الغامرة من إطرائه.

وبهذا، نفذنا خطتنا، والآن، هل ترغب في أن أخبرك كيف فسدت الخطة؟.

الفصل ٢٠

كيف اتخذت الأمور المنحى الخاطئ

قال بوارو: "بالطبع، أخبرينا، أنا وكاتشبوول متشوقان لسماعها".

قالت جيني بصوت أصبح أجش في تلك اللحظة: "كان الأمر كله خطئي، فأنا جبانــة، وخفت من الموت. كنت قد اعتدت التعاسة والكآبة من دون باتريك ولم أكن أرغب في أن تنتهي حياتي، أي نوع من أنواع الحياة، حتى تلك الحياة المليئة بالعذاب، فضلتها على الموت. من فضلكما، لا تحكما عليَّ بأني لست امرأة تقية لأنــي قلت هذا، ولكني لست واثقة من أني سأدخل الجنة. كان خوفي يزداد أكثر فأكثـر كلما اقتــرب موعد تنفيذ حكـم الإعدام – خفت من اضطــراري للقتل. فكــرت فيما سيحدث، وتخيلت نفسي أقف في غرفة مغلقة وأراقب ريتشارد وهو يتنــاول السم، ولــم أكن أرغب في القيام بهذا الأمــر، ولكني وافقت على القيام به، ووعدت بذلك".

قال بوارو: "الخطـة التي كانت تبدو بسيطة قبل أشهر، بدت مستحيلة الآن، ولا شــك في أنكِ لم تتمكنــي من الإفصاح عن مخاوفكِ إلــى ريتشارد نيجوس، والــذي كان يقدركِ كثيـرًا، وكان تقديره لــكِ سيقل إن اعترفتِ لــه بمخاوفكِ، وربما خفتِ من أنه قد يقوم بإعدامكِ بموافقتكِ أو من دونها".

قالــت جيني: "نعم، لقد خشيــت ذلك، فكما أخبرتكما مــن قبل، استنبطت مــن مناقشاتنا مدى أهمية أن يموت أربعتنا، فقد أخبرني في إحدى المرات إنه

إن لم تسمح لنا هارييت أو أيدا بإقناعهما بالأمر فإنه "سيفعل ما عليه فعله دون انتظار موافقتهما". كانت هذه كلماته بالحرف الواحد. بعدما سمعت هذه الكلمات، كيف كنت سأذهب إليه وأخبره بأني قد غيرت من رأيي، وبأني لم أعد مستعدة لا للموت أو القتل؟".

قال بوارو: "أعتقد بأنك قد أثبت نفسك كثيرًا على ترددك هذا يا آنسة، حيث إنك اعتقدت بأن القتل والموت في هذه الحالة سيكونان أمرين صائبين وشريفين، أليس كذلك؟".

قالت جيني: "اعتقدت هذا بالجزء المتعقل من عقلي، وأملت ودعوت الله أني قد أكتشف في داخلي احتياطيًا إضافيًا من الشجاعة قد يمكنني من اجتياز الأمر بنجاح".

سألتها: "ماذا كنت تخططين لـ نانسي دوكاين؟".

قالت جيني: "لم أكن أعلم، فقد كان ذعري خلال ليلة لقائنا الأولى شديدًا يا سيد بوارو، فلم أتمكن من تقرير ما سأفعله حيال أي شيء. سمحت لـ سامي بأن يذهب إليك ليقص عليك قصة المفاتيح وبأن يتهم نانسي. تركت هذا يحدث مخبرة نفسي بأني قادرة على الذهاب للسلطات في أية لحظة وأخبرهم بالحقيقة لأبرئها، ولكني... لم أفعل ذلك. كان ريتشارد يعتقد بأني أفضل منه، ولكنه كان مخطئًا – مخطئًا للغاية".

"كان هناك جزء مني لا يزال يحسد نانسي لأن باتريك أحبها، نفس مقدار الحقد الذي بدأ المشكلة بأكملها في جريت هولينج، كما أني كنت أعلم أني لو أقررت بتآمري لإدانة امرأة بريئة بتهمة القتل، فإني سأدخل السجن، لقد كنت خائفة".

قال بوارو: "أخبرينا من فضلك يا آنسة: ماذا فعلتِ؟ ما الذي حدث في ليلة الإعدامات تلك في فندق بلوكسهام؟".

قالت جيني: "كان من المفترض أن أصل إلى هناك في تمام السابعة، فقد كان هذا هو الوقت الذي اتفقنا على اللقاء فيه".

قال بوارو: "المتآمرون الأربعة؟".

قالت جيني: "نعم، وسامي. قضيت اليوم بأكمله أراقب عقارب الساعة وهي تشق طريقها نحو تلك اللحظة المشئومة. عندما دقت الساعة تمام الخامسة، أدركت أني لن أتمكن من القيام بالأمر، ولم أذهب إلى الفندق على الإطلاق، بل ذرعت شوارع لندن عدوًا أبكي من فرط الخوف. لم أكن أعلم إلى أين أذهب أو ماذا سأفعل، لذا، عدوت وعدوت. كنت أشعر بأن ريتشارد نيجوس قد خرج للشارع للبحث عني وكان غاضبًا من أني خذلته والآخرين. وصلت إلى مقهى بليزانت في الوقت المتفق عليه، معتقدة بأنه يمكنني على الأقل أن أحفظ هذا الجزء من الوعد الذي قطعته على نفسي، حتى وإن لم أكن قادرة على قتل ريتشارد كما كان من المفترض أن أفعل.

"عندما وصلت إلى المقهى، كنت خائفة على حياتي، ولم تكن الحالة التي رأيتني عليها تمثيلاً، فقد اعتقدت بأن ريتشارد، وليس نانسي، سيقتلني — كما أني كنت مقتنعة بأنه إن فعل، فسيكون قد قام بالصواب. كنت أستحق الموت، لم أخبرك بأي شيء غير حقيقي يا سيد بوارو، من فضلك، حاول أن تتذكر ما قلته لك:

هل قلت لك إني كنت خائفة من أن أُقتل؟ بالفعل — أن يقتلني ريتشارد. هل قلت لك إني قد فعلت أمرًا مشينًا في الماضي؟ نعم — وإن تمكن ريتشارد من العثور عليَّ وقتلي، كما كنت أعتقد بأنه سيفعل في يوم ما، كنت لا أرغب حقًا في أن يُعاقب. أعلم أني خذلته، هل يمكنك أن تستوعب ذلك؟ ربما كان ريتشارد يرغب في أن يموت، ولكني أردت له أن يعيش، فرغم الضرر الذي سببه لـ باتريك، كان رجلاً جيدًا".

قال بوارو: "نعم يا آنسة".

قالت جيني: "كنت أرغب في أن أخبرك بالحقيقة في تلك الليلة يا سيد بوارو، ولكني افتقدت الشجاعة الكافية لذلك".

قال بوارو: "لقد اعتقدتِ إذن أن ريتشارد نيجوس سيعثر عليكِ ويقتلكِ لأنكِ لم تصلي إلى فندق بلوكسهام لتقتليه، أليس كذلك؟".

قالــت جينــي: "نعم، لقد افترضت أنه لن يكون سعيــدًا إن مات دون أن يعلم سبب عدم وصولي إلى الفندق كما خططنا".

قلت وأنا أفكر بسرعة كبيرة: "ولكنه مات".

أومأت جيني برأسها.

فهمت الآن أن كل شيء أصبح واضحًا: كانت أوضاع الجثث الثلاث المتطابقة تمامًا – في وضع مستقيم تمامًا وأقدامها تتجه نحو باب الغرفة، وكانت تقع بين طاولــة صغيرة ومقعد. كمــا قال بوارو، من المستحيــل أن يكون كل من هاريت سيبيــل وأيدا جرانسيــري وريتشارد نيجوســ قد سقطوا جميعًــا موتى بالوضع نفسه من تلقاء أنفسهم.

كان هنــاك تشابــه كبير مثير للريبة بيــن مسارح الجرائم الثــلاث، وأعتقد بأنــي فهمت السبب أخيرًا: كان المتآمرون يرغبون في أن تعتقد الشرطة بوجود قاتل واحد فقط. في الحقيقة، أي محقق يعرف عمله جيدًا سيفترض هذا الأمر بسبب أزرار الأكمام التي تحمل الحروف الأولى ذاتها التي عثر عليها داخل أفواه الضحايا، وبسبب حقيقة أن الجثث الثلاث قد ظهرت في الفندق ذاته في الليلة ذاتهــا. ولكن وقع القتلة في قبضة الشك، فقد كانوا يعلمون أنهم أكثر من قاتل، فخشــوا، كما يحدث مــع جميع المذنبين، أن تكون الحقيقــة واضحة للآخرين، فتكلفوا عناء *إعداد مسارح جرائم متطابقة تمامًا أكثر من المفترض*.

وضعية الجثث، المستقيمة والمتطابقة تمامًا، تتفق تمامًا مع فكرة أن حالات القتل الذي حدثت في فندق بلوكسهام لم تكن جرائم قتل، بل كانت إعدامات. هنــاك بعض الإجراءات التي تتبع الإعــدام، إجراءات شكلية ومراسم. وفكرت، ربمــا بــدا من المهم القيــام *بأمر ما* من أجــل الجثث بدلاً مــن تركها ترقد في المكان الذي سقطت به تمامًا، كما يحدث مع حالات القتل الشائعة أو المعتادة.

استحضــرت فــي ذهني صــورة لـ جيني هويــز عندما كانت أصغــر سنًا: في جامعــة كامبريدج في كلية الدين، وهي تتنقل مــن غرفة لأخرى لترتب الأسرّة. ربمــا كانت ترتبها جميعها بشــكل متطابق متبعة النمط الــذي تدربت عليه من

قبل... اقشعر بدني، وتساءلت عن السبب الذي يجعل صورة امرأة شابة ترتب الأسِرّة في الجامعة تتسبب في القشعريرة لبدني.

الأسِرّة وفراش الموت...

الأنماط ومخالفة الأنماط...

سمعت نفسي أقول: "ريتشارد نيجوس انتحر. لابد من أنه فعل، وحاول أن يجعل الأمر يبدو كجريمة قتل – بنفس نمط الجريمتين الأخريين، حتى تشك في القاتل ذاته – ولكن، كان عليه أن يغلق الغرفة من الداخل، ثم خبأ مفتاحها خلف المدفأة حتى يبدو الأمر كما لو كان القاتل قد أخذ المفتاح معه، ثم فتح النافذة على مصراعيها. وإن عثرنا على المفتاح، فسنتساءل، كما فعلنا بالفعل، عن السبب الذي جعل القاتل يغلق الغرفة من الداخل، ويخبئ المفتاح داخلها ويفر عبر النافذة، ولكن *سنظل حينها نبحث عن القاتل*. كان هذا هو كل ما يهم نيجوس. فإن كانت النافذة مغلقة وعثر على المفتاح داخلها، فلن يكون أمامنا سوى استنتاج وحيد: أن ريتشارد نيجوس قد انتحر. لم يرغب في المخاطرة بأن نصل إلى هذا الاستنتاج – هل فهمت الأمر؟ إن توصلنا إلى هذا الاستنتاج، فإن تلفيق تهمة جرائم القتل الثلاث لـ نانسي دوكاين ستفشل تمامًا. ومن الأكثر ترجيحًا أن نستنتج أن نيجوس قد قتل كلًّا من هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري قبل أن ينتحر".

قالت جيني: "نعم، أعتقد أنك محق".

غمغم بوارو قبل أن يرفع عينيه نحوي مشيرًا إلى أنه كان يرغب في أن أكمل حديثي: "الوضع المختلف لزر الأكمام...".

قلت: "كان وضع زر الأكمام في حالة ريتشارد نيجوس أقرب إلى حلقه لأن التشنجات الناتجة عن السم جعلت فمه ينفتح، كان قد رقد بحرص في وضع مستقيم على الأرض ووضع زر الأكمام بين شفتيه، ولكنه سقط إلى داخل فمه، على العكس من كل من هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري، لم يكن هناك قاتل في حالة ريتشارد ليراقبه عندما مات، لذا، لم يستقر زر الأكمام في المكان الذي كان من المفترض أن يكون فيه".

سألها بوارو: "آنسة جيني، هل تعتقدين بأن السيد نيجوس قد ابتلع السم ورقد على الأرض دون أن يحاول أولاً معرفة سبب عدم وصولكِ إلى الفندق؟".

قالت جيني: "لم أكن أعتقد بأنه سيفعل حتى قرأت خبر وفاته في الصحف".

ظهر تعبير غامض على وجه بوارو وهو يقول: "آه".

قالت جيني: "ظل ريتشارد لوقت طويل يتوقع وفاته في ليلة الخميس تلك، ويتطلع لإنهاء شعوره بالذنب والعذاب الذي عاشه لسنوات طويلة. أعتقد بأن كل ما كان يفكر به ريتشارد عندما وصل إلى بلوكسهام هو أن ينتهي عذابه، ولذا، فعندما لم أذهب لقتله كما خططنا، فعلها بنفسه".

نهض بوارو، وتمايل قليلاً ليعثر على توازنه بعدما جلس لوقت طويل، ثم قال: "شكرًا لكِ يا آنسة".

قالت جيني: "ماذا سيحدث لي يا سيد بوارو؟".

قال بوارو: "ابقي هنا من فضلكِ في هذا المنزل حتى أعود والسيد كاتشبوول بالمزيد من المعلومات، وإن ارتكبتِ خطأ الفرار مرة أخرى، فستسوء الأمور بشدة بالنسبة لكِ".

قالت جيني وقد ظهرت تلك النظرة الخاوية الزائغة في عينيها: "كما ستسوء إن بقيت. حسنًا يا سيد كاتشبوول، لا حاجة بك لأن تشعر بالأسف عليّ، فقد أصبحت مستعدة".

ملأتني كلماتها، التي كانت تهدف لطمأنتي، بالفزع. كانت تتصرف كما لو كانت قد رأت المستقبل وشاهدت الأحداث المؤسفة التي ستقع فيه. أيًّا كانت هذه الأحداث، كنت أعلم بأني لم أكن مستعدًا وأني لا أرغب في حدوثها.

الفصل ٢١

جميع الشياطين هنا

بعيدًا عـن أنه أخبرني مرتين بأنه يجب علينا أن نذهب إلى جريت هولينج على الفـور، ظل بـوارو صامتًا طوال الطريـق للمنزل، حيث بدا مشغـولاً بأمر ما ولا يرغب في الحديث.

وصلنـا إلى المنزل ووجدنا ستانلي بيير الشاب في انتظارنا ، فسأله بوارو: "ما الأمر؟ هل أنت هنا بشأن اللوحة التي رسمتها؟".

قـال ستانلـي: "عذرًا يا سيـدي؟ هل تعني شمـارك؟ لا، لقـد كان ممتازًا يا سيـدي، في الحقيقـة... ستجد إجابتك هنـا"، ثم مد يده داخـل جيبه وأخرج ظرفًا وسلمه لـ بوارو.

قـال بوارو: "شكرًا لك أيها الشرطي، ولكن يبدو أن هناك خطبًا آخر، فأنت تبدو قلقًا، أليس كذلك؟".

قـال ستانلي: "نعم يا سيـدي، لقد وصل خطاب إلى مقـر شرطة سكوتلاند يـارد من أمبروز فـلاورداي، طبيب قرية جريت هولينـج، يطلب فيها أن يذهب السيد كاتشبوول إلى هناك على الفور، ويقول إنهم يحتاجون إليه هناك".

نظـر بوارو نحوي، ثم عاد لينظر إلـى ستانلي بيير وقال: "كنا ننوي الذهاب إلـى هنـاك على الفـور. أتعلم أي شيء عمـا حث الطبيب فـلاورداي على طلب حضور كاتشبوول؟".

قال ستانلي: "أخشى أني أعرف السبب يا سيدي. إنه ليس بالأمر المبهج يا سيدي، فهناك امرأة تُدعى مارجريت إيرنست قد هوجمت ومن المرجح أن تموت".

غمغمت قائلاً: "لا".

تابع ستانلي حديثه قائلاً: "وتقول إنها ترغب في الحديث مع السيد كاتشبوول قبل أن تموت، وبعدما تحدثت مع الطبيب فلاورداي، أنصحك بأن تسرع يا سيدي. هناك سيارة تنتظر بالخارج لتقلكما إلى محطة القطار".

فكرت في طبيعة بوارو المنهجية وعزوفه عن أية أنشطة متسرعة. قلت: "هل تمهلنا نصف ساعة لنستعد؟".

نظر بيير في ساعته وقال: "خمس أو عشر دقائق كحد أقصى، ولكن ليس أكثر يا سيدي- ليس إذا كنت ترغب في اللحاق بالقطار التالي".

عليَّ أن أقر بقليل من الخجل، أن بوارو كان قد هبط إلى الطابق الأرضي حاملاً حقيبة ملابسه قبلي وهو يقول: "أسرع يا صديقي".

في السيارة، قررت أني بحاجة للحديث، حتى وإن لم يكن بوارو يرغب في ذلك، فقلت: "إن لم آتِ إلى تلك القرية اللعينة، لم تكن لتُهاجم. لابد وأن هناك من رآني أذهب إلى كوخها ولاحظ أني بقيت عندها لوقت طويل".

قال بوارو: "لقد بقيت عندها لوقت يكفي لأن تخبرك بكل شيء أو تقريبًا كل شيء، فما الفائدة التي ستعود على أي شخص كان من محاولة قتلها بعدما أخبرت الشرطة بكل ما تعرفه؟".

قلت: "الانتقام، العقاب. في الحقيقة، لا يبدو الأمر معقولاً. إن كانت نانسي دوكاين بريئة وكانت جيني هوبز وصامويل كيد هما من دبرا الأمر برمته – أعني، إن كانوا الوحيدين الذين بقوا على قيد الحياة ممن دبروا الأمر برمته – فلم قد ترغب جيني وكيد في قتل مارجريت إيرنست؟ إنها لم تقل أي شيء لي يدينهم، كما أنها لم تؤذِ أيًا من باتريك أو فرانسيس أيف".

قال بوارو: "أوافقك الرأي، لم تكن جيني هوبز وصامويل كيد يرغبان في قتل مارجريت إيرنست على ما أعتقد".

ضربت الأمطار نوافذ السيارة مما جعل السماع والتركيز أمرين بالغي الصعوبة، ولكني سألته: "من فعل إذن؟ ها نحن ذا، نعتقد بأننا نمتلك الإجابات جميعها ـــــ".

قال بوارو: "إنك لم تفكر في أمر مثل هذا يا كاتشبوول، أليس كذلك؟".

قلت: "بلى، لقد فعلت، وأتوقع أنك على وشك إخباري بأني مخطئ، ولكن يبدو أن كل شيء يتفاقم، أليس كذلك؟ كان كل شيء واضحًا حتى وصل خبر الهجوم على مارجريت إيرنست".

ابتسم بوارو ابتسامة متكلفة وهو ينظر عبر نافذة السيارة التي تغطيها قطرات المطر: "إنه يقول لي إن كل شيء كان واضحًا".

قلت: "حسنًا، لقد بدا بسيطًا بالنسبة لي، جميع القتلى ماتوا، فقد قتلت أيدا هارييت، بموافقة هارييت، ثم قتلها ريتشارد نيجوس – بموافقتها التامة هي أيضًا. ثم انتحر نيجوس عندما لم تصل جيني لقتله طبقًا للخطة، ولكن لم يقتل جيني هويز أو صامويل كيد أي أحد. لا شك في أن مؤامرتهما قد أدت إلى ثلاث وفيات، ولكنها لم تكن جرائم قتل، هذا من وجهة نظري، فقد كانت...".

قال بوارو: "إعدامات بموافقة من سيُعدم؟".

قلت: "بالضبط".

قال بوارو: "لقد كانت خطة محكمة تلك التي دبروها، أليس كذلك؟ هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري وريتشارد نيجوس وجيني هويز. دعنا نطلق عليهم "أ"، و"ب"، و"ج"، و"د" للوقت الحالي، وسوف نرى إحكام خطتهم بشكل أكثر وضوحًا".

سألته: "لم لا ندعوهم بأسمائهم؟".

تجاهلني بوارو وقال: "شعر كل من "أ"، و"ب"، و"ج"، و"د" بالكثير من الذنب وسعوا للغفران، واتفقوا على أنه يجب أن يدفعوا ثمن الخطيئة التي ارتكبوها في الماضي بحياتهم، لذا، خططوا لقتل بعضهم البعض: "ب" يقتل "أ"، و"ج" يقتل "ب"، و"د" يقتل "ج"".

قلت: "عدا أن "د" لم يقتل "ج"، أليس كذلك؟ "د" هي جيني هوبز وهي لم تقتل ريتشارد نيجوس".

قال بوارو: "ربما لم تفعل، ولكن كان من المفترض بها أن تفعل، فقد كانت هذه هي الخطة المتفق عليها، وكذلك كان على "د" أن تظل على قيد الحياة حتى ترى "هـ" - نانسي دوكاين – وهي تتدلى من حبل المشنقة عقابًا على قتلها كلًا من "أ"، "ب"، و"ج"، حينها فقط، يمكن لـ "د"...". ثم توقف بوارو عن الحديث، وظل يكرر: "د، هلاك، إنها الكلمة المناسبة".

قلت: "ماذا؟".

قال بوارو: "من أجل لغز الكلمات المتقاطعة الذي تعده. الكلمة التي تعني الموت ومكونة من أربعة أحرف. هل تذكر هذا؟ كنت قد اقترحت عليك كلمة القتل وقلت لي إنها ستصلح فقط إن بدأت الكلمة بحرف الهاء...". ثم صمت بوارو عن الحديث وهو يهز رأسه.

قلت: "إن بدأت الكلمة بحرف الهاء، نعم أتذكر هذا. بوارو، هل أنت بخير؟".

كانت عيناه الخضراوان تحملان ذلك التعبير الغريب الذي يظهر عليهما في بعض الأحيان.

قال بوارو: "ماذا؟ ولكني أقسم بأن هذا صحيح. إن بدأت كلمة القتل بحرف الهاء. لا شك في هذا، لقد توصلت للحل. صديقي، إنك لا تعلم كم ساعدتني. الآن أنا أفكر... نعم، هذا صحيح. لا بد من ذلك. الرجل الشاب والمرأة الأكبر منه سنًا – نعم، لقد اتضح الأمر بأكمله أمامي الآن".

قلت: "فسر الأمر من فضلك".

قال بوارو: "نعم، نعم، عندما أكون مستعدًا لذلك".

قلت: "ولم لست مستعدًا؟ ما الذي تنتظره؟".

قال بوارو: "أعطني عشرين ثانية حتى أهدأ وأرتب أفكاري يا كاتشبوول. هذا أمر ضروري إن أردت أن أفسر لك الأمر الذي لا تفهم منه شيئًا. إن جميع كلماتك تدل على أنك لم تفهم أي شيء. إنك تتحدث عن امتلاك جميع

الإجابـات، ولكـن القصة التي سمعناهـا من جيني هوبز هـذا الصباح لم تكن سوى استكمال منمق لكذبها. ألم تر هذا بعد؟".

قلت: "حسنًا... أعني...".

قـال بوارو: "ربما اتفـق ريتشارد نيجوس مع هارييت سيبيـل على أن نانسي دوكاين يجب أن تُعدم بسبب جرائم لم ترتكبها، أليس كذلك؟ ثم كان يرغب في ترك مصير نانسي بين يدي جيني هوبز، أليس كذلك؟ ريتشارد نيجوس، القائد، رمز السلطة المبجل – ريتشارد نيجوس نفسه الذي شعر بالذنب منذ ستة عشر عامًـا على اتهامه الجائر لـ باتريك أيف. ريتشارد نيجوس الذي اكتشف، بعدما سبـق السيـف العذل، أنه مـن الخطأ اتهـام ومحاكمة رجل علـى ضعف بشري يمكننـا جميعًا الوقوع فيه، ريتشارد الذي أنهى خطبتـه بـ أيدا جرانسبري لأنها أصـرت بشدة على عقاب جميع المخطئين بأقصـى درجة من درجات القسوة. هـل سيستمتـع ريتشارد نيجوس هـذا بفكرة ترك نانسي دوكايـن – التي كانت جريمتهـا هي الوقوع في حب رجـل كان متزوجًا بامرأة أخرى – تعاقب من قبل القانون وأن تُشنق على ثلاث جرائم قتل لم ترتكبها؟ لا، هراء. لا يوجد ترابط، إنها قصة خيالية ابتكرتها جيني هوبز حتى تشتتنا مرة أخرى".

استمعـت إلى أغلب ما قيـل وفمي مفتوح في دهشة، ثم قلت: "هل أنت واثق من هذا يا بوارو؟ عليَّ أن أقول إني صدقت كل ما قالته".

قـال بـوارو: "أنا واثـق مما قلت بكل تأكيـد. ألم يخبرنا هنـري نيجوس بأن أخـاه قـد قضى ستة عشر عامًا في منزله منعـزلاً دون أن يرى أو يتحدث مع أي شخـص؟ ولكن، قالت لنا جيني هوبز إنه قضى نفس تلـك الفترة محاولاً إقناع هاريـت سيبيل وأيدا جرانسبري بأنهما مسئولتان عن موت باتريك وفرانسيس أيـف، وأنهما يجب أن تدفعـا الثمن. كيف كان ريتشارد ليتمكن من ذلك دون أن يلاحظ أخوه أنه يتواصل مع امرأتين من جريت هولينج؟".

قلت: "ربما تكون محقًا في هذا. لا أعتقد أن هذا ممكن".

قـال بـوارو: "إنها نقطة صغيرة. لا شك في أنـك لاحظت الكثير من النقاط الخاطئة في قصة جيني؟".

قلت: "أن تلفق تهمة القتل لشخص بريء أمر خاطئ".

قال بوارو: "كاتشبوول، أنا لا أقصد من الناحية الأخلاقية، بل عن الأمور غير الممكنة من الناحية الواقعية. هل هذه هي طريقتك في إجباري على أن أفسر لك الأمر قبل أن أستعد، عبر إغضابي؟ حسنًا، سألفت انتباهك لنقطة واحدة على أمل أن تقودك إلى باقي التفاصيل. طبقًا لما روته جيني هوبز، كيف وصل مفتاحا الغرفتين ١٢١ و٣١٧ من فندق بلوكسهام إلى جيب معطف نانسي دوكاين الأزرق؟".

قلت: "لقد وضعهما صامويل كيد هناك، ليلفق التهمة لـ نانسي".

قال بوارو: "لقد وضعهما صامويل في جيبها خلسة بينما كانت تسير في الشارع، أليس كذلك؟".

قلت: "هذا أمر ممكن، على ما أعتقد".

قال بوارو: "نعم، ولكن كيف حصل السيد كيد على المفتاحين؟ كان من المفترض أن تأخذهما جيني، مع مفتاح غرفة نيجوس، من داخل الغرفة ٢٣٨ عندما ستذهب إليها لتقتل ريتشارد نيجوس، وكان من المفترض أن تعطي المفاتيح الثلاثة إلى صامويل كيد بعد أن تغادر الغرفة ٢٣٨ وتغلقها بالمفتاح. ولكن، حسب ما قالته، فإنها لم تذهب إلى غرفة ريتشارد نيجوس في فندق بلوكسهام على الإطلاق في الليلة التي وقعت فيها جرائم القتل. أغلق السيد نيجوس غرفته من الداخل وانتحر، وخبأ مفتاح غرفته خلف واحد من أحجار المدفأة. كيف إذن حصل صامويل كيد على المفتاحين الآخرين؟".

انتظرت قليلاً عل الإجابة تخطر على بالي، ولكن لم يحدث هذا، فقلت: "لا أعلم".

قال بوارو: "ربما عندما لم تظهر جيني هوبز في الفندق، ارتجل كل من صامويل كيد وريتشارد نيجوس: حيث قتل الأول الثاني، ثم أخذ مفتاحي غرفتي كل من هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري من غرفة السيد نيجوس، ولكن، على أية حال، لمَ لم يأخذ مفتاح غرفة السيد نيجوس أيضًا؟ ولم خبأه خلف أحد أحجار المدفأة المائلة؟ التفسير المنطقي الوحيد هو أن السيد نيجوس كان يرغب

في أن يبدو انتحاره كما لو كان جريمة قتل. كان هذا ليتحقق بسهولة يا صديقي إن أزال صامويل كيد المفتاح من الغرفة. فلم تكن هناك حاجة حينها إلى النافذة المفتوحة حتى يعطي انطباعًا بأن القاتل قد فر من الغرفة من هذا الطريق".

أقنعتني حجته القوية، فقلت: "وحيث إن ريتشارد نيجوس قد أغلق غرفته من الداخل، فكيف تمكن صامويل كيد من الدخول إلى الغرفة رقم ٢٣٨ حتى يأخذ مفتاحي الغرفتين ١٢١ و٣١٧؟".

قال بوارو: "بالضبط".

قلت: "ماذا لو دخل متسلقًا عبر النافذة المفتوحة، بعدما تسلق واحدة من الأشجار؟".

قال بوارو: "كاتشبوول – فكر. تقول جيني هوبز إنها لم تذهب إلى فندق بلوكسهام في هذه الليلة، لذا، إما أن صامويل كيد قد تعاون مع ريتشارد نيجوس لإكمال الخطة من دونها، أو أنهما لم يتعاونا، وإن لم يفعلا، فلم دخل السيد كيد غرفة السيد نيجوس متطفلاً عبر النافذة المفتوحة وأخذ المفتاحين منها؟ ما السبب الذي دفعه لذلك؟ وإن تعاون الرجلان، فلا شك في أن الأمر كان سينتهي بـ صامويل كيد واضعًا ثلاثة مفاتيح في جيب نانسي دوكاين بدلاً من مفتاحين. هذا بالإضافة إلى أنه إن كان ريتشارد نيجوس قد انتحر، كما تعتقد الآن، مما تسبب في سقوط زر الأكمام عميقًا داخل فمه، فمن الذي وضع جسده في هذه الوضعية المستقيمة؟ هل تعتقد بأن هناك رجلاً قد يتناول السم ثم يختار أن يموت بهذه الوضعية المنظمة بشكل استثنائي؟ لا، هذا مستحيل".

قلت: "سأكون بحاجة للتفكير في هذا الأمر مرة أخرى، لقد جعلت رأسي يدور، حيث امتلأ بكم هائل من الأسئلة لم تكن موجودة من قبل".

قال بوارو: "مثل ماذا؟".

قلت: "لم طلب ضحايانا الثلاث شطائر وكعكًا ولم يتناولوا أيًا منها؟ وإن لم يتناولوا الطعام، فلمَ لم يكن متواجدًا في الأطباق التي عثرنا عليها في غرفة أيدا جرانسبري؟ ما الذي حدث له؟".

قال بوارو: "الآن، أنت تفكر مثل محقق حقيقي، لقد علمك هيركيول بوارو كيف تستخدم خلايا مخك الرمادية الصغيرة".

قلت: "هل فكرت في هذا – تباين أنواع الطعام؟".

قال بوارو: "بالطبع، لمَ لم أسأل جيني هوبز عن هذا الأمر عندما طلبت منها توضيح الكثير من الأمور الأخرى المتناقضة؟ لم أفعل هذا لأني أردت أن نجعلها تعتقد بأننا نصدق قصتها عندما تركناها، ولهذا، لم أكن قادرًا على سؤالها عن أمر لم تكن لتجيبني عنه".

قلت: "بوارو، وجه صامويل كيد!".

قال بوارو: "أين يا صديقي؟".

قلت: "لا، أنا لا أعني أني أستطيع رؤيته الآن، بل أعني... أتذكر المرة التي التقيناه فيها في مقهى بليزانت، عندما جرح وجهه في أثناء الحلاقة؟ كان هناك جرح في مساحة صغيرة حليقة من وجهه، بينما كان بقية وجهه مغطى بشعر اللحية، أليس كذلك؟".

أومأ بوارو برأسه.

فتابعت حديثي قائلاً: "ماذا لو لم يكن الجرح في وجهه جرحًا بسبب حلاقة الذقن، بل كان جرحًا سببه غصن حاد من الشجرة؟ ماذا لو كان صامويل كيد قد جرح نفسه بينما كان يدخل أو يخرج من النافذة المفتوحة للغرفة رقم ٢٣٨؟ كان يعلم بأنه سيلتقينا ليخبرنا بكذبته عن رؤيته لـ نانسي دوكاين تخرج مسرعة من الفندق، ولم يكن يرغب في أن تربط بين جرحه الغامض على وجهه والشجرة التي تقبع خارج نافذة غرفة نيجوس المفتوحة، لذا قام بحلاقة مساحة صغيرة من بشرة وجهه".

قال بوارو: "كان يعلم بأننا سنفترض بأنه بدأ حلاقة ذقنه ثم جرح نفسه بشدة فتوقف، ومن ثم، عندما زارني في المنزل، كانت لحيته قد اختفت وأصبح وجهه مغطى بالجروح؛ *ليذكرني بأنه لا يستطيع أن يحلق ذقنه دون أن يجرح وجهه*. حسنًا، إن صدقت هذا، فسأفترض أن جميع الجروح التي أراها على وجهه قد سببتها الحلاقة".

سألته: "لِمَ لا تبدو متفعلاً؟".

قال بوارو: "لأن هذا أمر شديد الوضوح، وقد توصلت لهذا الاستنتاج منذ ساعتين".

شعرت بالضآلة، فقلت: "أوه، مهلاً لحظة – إن كان صامويل كيد قد خدش وجهه في الشجرة التي تقع خارج نافذة ريتشارد نيجوس المفتوحة، مما يعني أنه قد تسلق الشجرة وصولاً لنافذة الغرفة ودخل عبرها وحصل على مفتاحي الغرفتين ١٢١ و ٣١٧، أليس كذلك؟".

قال بوارو بصرامة: "لا يوجد وقت لمناقشة الممنى الآن، فقد وصلنا لمحطة القطار، ويبدو من سؤالك أنك لم تستمع جيدًا لما قلته".

•

تبين أن الطبيب أمبروز فلاورداي رجل طويل القامة قوي البنية في حوالي الخمسين من عمره أسود الشعر أجعده، وكان يرتدي قميصًا مجعدًا ينقصه زر. كان قد ترك بعض التوجيهات لنا لكي نتبعه إلى منزل رجل الدين، ووصلنا بالفعل إلى هناك، وكنا واقفين في الردهة الباردة ذات السقف المرتفع والأرضية الخشبية المتشققة.

كان يبدو أن المكان بأكمله قد تُرك للطبيب فلاورداي ليستخدمه كمشفى مؤقت لمريض واحد فقط. فتحت الباب ممرضة ترتدي زيًّا رسميًا. في ظروف أخرى، ربما كنت لأشعر بالفضول حيال هذه الترتيبات، ولكن كل ما كان يشغل بالي في هذه اللحظة هي مارجريت إيرنست المسكينة.

سألت، بمجرد أن فرغنا من التعارف: "كيف حالها؟".

انقلب وجه الطبيب في ألم، ثم تمالك نفسه وقال: "لقد سُمح لي أن أقول بأن حالتها مستقرة حاليًا".

سأله بوارو: "من الذي سمح لك بهذا؟".

قـال الطبيـب: "مارجريت، حيث إنها لا تتقبـل أن أتحدث عنهـا كشخص مهزوم".

قال بوارو: "وهل ما طلبت منك إخبارنا به صحيح؟".

بعد فترة قصيرة من الصمت، أومأ الطبيب فلاورداي برأسه وقال: "لم يكن أغلـب الناس ليعيشوا لهذه الفترة بعد هجوم مـن مثل هذا النوع، إن مارجريت لديهـا بنية جسدية قوية وعقل قوي، ولكن الهجوم كان قويًا، ولكن، تبًا، سأعمل على أن أحافظ على حياتها حتى لو كلفني ذلك حياتي".

قال بوارو: "ما الذي حدث لها؟".

قـال الطبيـب: "توجه مجرمان عتيدان من أقصى أطـراف القرية إلى فناء دار العبـادة تحت جنح الليل، و... حسنًا، فملا أمورًا لقبر عائلة أيف لا يمكنني تكرارهـا، فسمعتهمـا مارجريت، فحتى خلال نومها تكـون يقظة، حيث سمعت صوت ارتطام المعدن بالأحجـار، وعندما هرعت لإيقافهما، هاجماها بمجرفة كانا قد أحضراها معهمـا، ولم يهمهما أن يضرباها بالمجرفة حتى تموت. كان هـذا جليًـا لشرطي القريـة عندما ألقى القبض عليهما بعد بضـع ساعات من الهجوم".

قال بوارو: "اعذرني أيها الطبيب، هل تعلم من فعل ذلك بالسيدة إيرنست؟ المجرمان العتيدان اللذان أشرت إليهما... هل اعترفا بالجرم؟".

قال الطبيب فلاورداي وهو يضغط على أسنانه: "بفخر".

قال بوارو: "لقد ألقي القبض عليهما إذن، أليس كذلك؟".

قال الطبيب: "نعم، لقد ألقت الشرطة القبض عليهما".

سألته: "من هما؟".

قـال الطبيب: "فريدريك وتوبايـاس جلوتون، والد وابنه، وكان كلاهما يعاقر الشراب".

تساءلـت عما إذا كان الابن هـو ذلك الشاب عديم النفع الـذي رأيته يعاقر الشراب مع والترستوكلي في نزل كينجز هيد. (اكتشفت فيما بعد أني كنت على حق: فقد كان هو ذلك الشاب).

التفت الطبيب فلاورداي نحوي وقال: "قالا إن مارجريت اعترضت طريقهما، أما بالنسبة لقبر آل أيف... من فضلك، لا تفكر في أني ألقي باللوم عليك لما حدث، ولكن زيارتك هي ما أثار الأمور، فقد شوهدت وأنت تدخل إلى كوخ مارجريت، ويعلم جميع القرويين موقفها فيما يتعلق بآل أيف. كانوا يعلمون أن القصة التي كنت تسمعها داخل ذلك المنزل لن تصور لك باتريك أيف على أنه مشعوذ فاسق، بل إنها ستصوره على أنه ضحية لحملة من القسوة والحقد – حملتهم، الأمر الذي جعلهم يرغبون في عقاب باتريك مرة أخرى، ولأنه قد مات ولا يمكنهم الوصول إليه، فقد دنسوا قبره بدلاً من ذلك. لطالما قالت مارجريت إن هذا سيحدث في يوم ما، لذا، كانت تجلس بجوار نافذتها يومًا بعد يوم على أمل أن تقبض عليهم وأن توقفهم. هل تعلم أنها لم تقابل باتريك أو فرانسيس في حياتها؟ هل أخبرتك بهذا؟ لقد كانا صديقيَّ، وسببت مأساتهما لي الكثير من الحزن، وأصبحت مهووسًا بالجور الذي واجهاه، ولكنهما أصبحا محور اهتمام مارجريت منذ الوهلة الأولى، فقد أرعبها التفكير في إمكانية حدوث أمر كهذا في مكان عمل زوجها الجديد، وتأكدت من أن يهتم بالأمر هو الآخر، وكان من حسن الحظ حضور كل من مارجريت وتشارلز إلى جريت هولينج، فلم يكن المرء ليأمل في حليف أفضل منها"، ثم صحح قوله: "حليفين أفضل منهما".

سألته: "هل يمكننا التحدث مع مارجريت؟"، فإن كانت على فراش الموت – وكنت أشعر بأنها ستفعل، رغم تأكيد الطبيب على أنها ستنجو – فسأرغب في أن أسمع ما ترغب في أن تخبرني به قبل أن يفوت الأوان.

قال أمبروز فلاورداي: "بالطبع، إنها ستغضب مني بشدة إن منعتكما عن رؤيتها".

تبعته وبوارو والممرضة صاعدين درجًا خشبيًا غير مفروش بالسجاد إلى واحدة من غرف النوم. حاولت أن أخفي صدمتي عندما رأيت الضمادات والدم والجروح والكدمات ذات اللونين الأزرق والوردي التي غطت وجه مارجريت إيرنست، واغرورقت عيناي بالدموع.

سألت قائلة: "هل هما هنا يا أمبروز؟".

قال أمبروز: "نعم".

قال بوارو: "صباح الخير يا سيدة إيرنست. أنا هيركيول بوارو، لا يمكنني أن أعبر عن مدى أسفي ـــ".

قالت: "ادعني مارجريت من فضلك، هل السيد كاتشبوول معك؟".

تمكنت من التحدث قائلاً: "نعم، أنا هنا". لم أستوعب كيف يمكن لرجل أو رجال أن يحدثوا مثل هذه الإصابات بامرأة، فلم يكن هذا من أفعال البشر، بل الحيوانات، الوحوش.

سألت مارجريت: "هل تحاولان رسم تعبيرات مهذبة على وجهيكما لكي لا أشعر بالانزعاج؟ إن عينيَّ مغلقتان بسبب تورمهما، لذا لن يمكنني رؤية وجهيكما. أعتقد بأن أمبروز قد أخبركما بأني على وشك الموت؟".

قال بوارو: "لا يا سيدتي، لم يخبرنا الطبيب بهذا".

قالت مارجريت: "حقًا؟ حسنًا، إن هذا ما يعتقده".

قال الطبيب أمبروز: "مارجريت، عزيزتي ـــ".

قالت مارجريت: "إنه مخطئ. أنا غاضبة لدرجة أنه لا يمكنني أن أموت".

سألها بوارو: "هل هناك أمر ما ترغبين في إخبارنا به؟".

صدرت حشرجة مبهمة من حلق مارجريت، وكانت تحمل بعض السخرية، حيث قالت: "نعم، بالفعل، ولكنني كنت أتمنى ألا تسألني عن هذا الأمر بهذه السرعة أو بهذا الإلحاح، كما لو أن هناك أمرًا ما يدفعكما لهذا التسرع — كما لو أن نفسي التالي سيكون الأخير. لقد أعطاكما أمبروز الانطباع الخاطئ عن حالتي إن كان هذا ما تعتقدانه. والآن، عليَّ أن أخلد للراحة، فلا شك أنه عليَّ أن أدافع عن نفسي عدة مرات اليوم أمام الاتهامات غير الأكيدة بأني سأموت! أمبروز، ستخبرهم بما يحتاجون إلى معرفته، أليس كذلك؟". ثم ارتجفت مقلتا عينيها.

قال أمبروز: "نعم، إن كان هذا ما ترغبين فيه"، ثم اتسعت عيناه في ذعر وأمسك بيدها وهو يقول: "مارجريت؟ مارجريت؟".

تحدثت الممرضة للمرة الأولى قائلة: "اتركوها، دعوها تنام".

ردد الطبيب فلاورداي ما قالته وهو يبدو مرتبكًا: "تنام، نعم، بالطبع، إنها بحاجة للنوم".

سأله بوارو: "ما الذي ترغب منك السيدة أن تخبرنا به؟".

اقترحت الممرضة قائلة: "ربما ترغب في اصطحاب زائريك إلى غرفة الاستقبال؟".

قال فلاورداي: "لا، لن أتركها، كما أنني بحاجة للتحدث مع هذين الرجلين النبيلين على انفراد، فهلا كنتِ لطيفة ومنحتنا بعض الوقت أيتها الممرضة؟".

أومأت المرأة الشابة برأسها وغادرت الغرفة.

خاطبني فلاورداي قائلاً: "لقد أخبرتك بأغلب ما أنا بصدد قوله، أليس كذلك؟ عما فعلته هذه القرية اللعينة بكل من باتريك وفرانسيس أيف؟".

قال بوارو: "أعتقد أننا نعلم عن القصة أكثر مما تظن، فقد تحدثت مع كل من نانسي دوكاين وجيني هوبز اللتين أخبرتاني بأن التحقيق قد وجد أن وفاة كل من باتريك وفرانسيس أيف عرضية، إلا أن مارجريت إيرنست أخبرت كاتشبوول بأنهما قد تناولا السم بقصد الانتحار: هي أولاً، ثم هو. سم يُدعى أبرين".

أومأ فلاورداي برأسه وقال: "هذه هي الحقيقة، وقد ترك كل من باتريك وفرانسيس أيف رسالة: كلماتهما الأخيرة في هذا العالم، ولكني أخبرت السلطات بأن رأيي هو أن وفاتهما عرضية، لقد كذبت".

سأله بوارو: "لماذا؟".

قال أمبروز: "إن الانتحار خطيئة من وجهة النظر الدينية، وبعدما لاقته سمعة باتريك من ضرر شديد، لم أستطع أن أجعل من موته دليل إدانة آخر ضده، وكذلك فرانسيس المسكينة والتي لم ترتكب أية خطيئة وكانت امرأة صالحة...".

قال بوارو: "نعم، يمكنني أن أفهم ذلك".

قال أمبروز: "أعرف العديد من الأشخاص الذين كانوا سيستمتعون بما فعلوه إن أخبرتهم بأن أفعالهم قد دفعت آل أيف للانتحار، ولم أكن أرغب في أن أجعلهم يشعرون بالرضا عن أنفسهم، وخاصة هارييت سيبيل".

قال بوارو: "هل لي أن أسألك عن أمر ما يا سيد فلاورداي؟ بفرض أن هارييت سيبيل قد شعرت بالندم حيال معاملتها المهينة لـ باتريك أيف، هل كنت ستصدق هذا؟".

ضحك أمبروز فلاورداي بسخرية قائلاً: "تندم على ما فعلته؟ أعتقد يا سيد بوارو أنك قد فقدت عقلك. إن هارييت لم تندم على أي شيء اقترفته، ولا أنا، إن كان هذا يهمك. أنا مسرور لأني كذبت منذ ستة عشر عامًا، وكنت لأفعل الأمر ذاته مرة أخرى. دعني أخبرك بأمر ما: كان الجمع الذي قادته كل من هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري ضد باتريك أيف جمعًا شريرًا، ولا يوجد تعبير آخر يصفه غير هذا. أعتقد أنك، كرجل مثقف، تعلم مسرحية "العاصفة"، وتحديدًا عبارة "أصبحت جهنم فارغة؟".

أكمل بوارو الاقتباس من المسرحية قائلاً: "وجميع الشياطين أصبحت هنا".

قال الطبيب فلاورداي: "بالضبط". ثم التفت نحوي وقال: "لهذا السبب لم تكن مارجريت تريدك أن تتحدث معي يا سيد كاتشبوول، فقد كانت فخورة هي أيضًا بأننا كذبنا لصالح باتريك وفرانسيس أيف، ولكنها كانت أكثر مني حذرًا. لقد كانت تخشى أن أخبرك بعملي الجريء هذا، مثلما فعلت الآن". ثم ابتسم بحزن وقال: "أعلم أنه يجب عليَّ الآن أن أتحمل عواقب هذا الفعل حيث قد أفقد رخصة ممارسة الطب وربما أفقد حريتي أيضًا، وربما كنت أستحق ذلك. إن الكذبة التي نشرتها قتلت تشارلز".

قلت: "زوج مارجريت الراحل؟".

أومأ الطبيب برأسه وقال: "لم أكن أو مارجريت نهتم بأن ينعتنا الناس بالكاذبين همسًا عندما يروننا في الشارع، ولكن كان هذا يضايق تشارلز كثيرًا، الأمر الذي أضر كثيرًا بصحته. إن لم أكن على هذا القدر من الإصرار على مقاومة الشر في القرية، ربما كان تشارلز لا يزال على قيد الحياة الآن".

سأله بوارو: "أين رسالتا الانتحار اللتان تركهما آل أيف الآن؟".

قال أمبروز: "لا أعلم. لقد أعطيتهما لـ مارجريت منذ ستة عشر عامًا ولم أسألها عنهما منذ ذلك الحين".

قالت مارجريت فجأة: "لقد أحرقتهما".

أسرع أمبروز فلاورداي إلى جانبها قائلاً: "مارجريت، هل استيقظتِ؟".

قالت مارجريت: "أتذكر كل كلمة منهما، فقد بدا أنه من المهم أن أتذكرهما، لذا، تأكدت من حفظهما عن ظهر قلب".

قال أمبروز: "مارجريت، يجب أن ترتاحي. إن الحديث يرهقكِ".

قالت مارجريت: "نصت رسالة باتريك على إخبار نانسي بأنه أحبها ولطالما فعل، ولكني لم أخبرها بذلك، فكيف كنت سأفعل دون أن أكشف أن أمبروز قد كذب بشأن سبب الوفاة خلال التحقيق؟ ولكن... والآن، بعدما انكشفت الحقيقة، عليك أن تخبرها يا أمبروز. أخبرها بما كتبه باتريك".

قال أمبروز: "سأخبرها بذلك. لا تقلقي، سأعتني بكل شيء".

قالت مارجريت: "بل سأقلق، فأنت لم تخبر السيد بوارو والسيد كاتشبوول عن تهديدات هارييت سيبيل، بعد دفن باتريك وفرانسيس أيف. أخبرهما بها الآن"، ثم أغلقت عينيها، وبعد ثوانٍ قليلة، كانت تغط في نوم عميق.

سأله بوارو: "ماذا كانت تلك التهديدات أيها الطبيب؟".

قال الطبيب أمبروز فلاورداي: "وصلت هارييت سيبيل إلى منزل رجل الدين في أحد الأيام، وكانت تقود خلفها جماعة مكونة من عشرة أو عشرين شخصًا، وأعلنت أن سكان جريت هولينج قد قرروا إخراج جثتي باتريك وفرانسيس أيف من قبريهما، حيث قالت، من منطلق أنهما قد انتحرا، فلا يجب أن يُدفنا في تلك الأرض المقدسة — هذا هو القانون العرفي. خرجت مارجريت إلى الباب وقالت إن ما تقوله هراء؛ لقد كان هذا القانون قديمًا، ولم يعد معمولاً به في الوقت الحالي، فقد توقف العمل به منذ ثمانينات القرن التاسع عشر، وكنا حينها في عام ١٩١٣. بمجرد أن يموت المرء، تصبح روحه بين يديّ الله ولا يسير عليها

الحكم الدنيوي. أصرت مساعدة ماريت المدعية بالتقوى، أيدا جرانسبري، على أنه إن كان من الخطأ دفن المنتحرين في أرض مقدسة قبل عام ١٨٨٠، فلا بد وأنه لا يزال أمرًا خاطئًا حتى ذلك الحين، حيث قالت: "إن القوانين العرفية التي تتعلق بالسلوكيات المقبولة لا تتغير". عندما سمع ريتشارد نيجوس الكلمات الجائرة التي قالتها خطيبته، أنهى خطبته بتلك المرأة الشريرة ورحل إلى ديفون، وكان هذا أفضل قرار اتخذه على الإطلاق".

سأله بوارو: "من أين حصل باتريك وفرانسيس أيف على سم الأبرين الذي انتحرا بواسطته؟".

بدا أمبروز فلاورداي ذاهلاً وهو يقول: "لم أتوقع هذا السؤال، لم طرحته؟".

قال بوارو: "لأني أتساءل إن كانا قد حصلا عليه عن طريقك؟".

جفل الطبيب كما لو كان يشعر بألم شديد، ثم قال: "بالفعل، فقد سرقته فرانسيس من منزلي. كنت قد قضيت بضع سنوات أعمل في المناطق الاستوائية، وكنت قد أحضرت قنينتين من هذا السم معي عندما عدت. كنت شابًا حينها، ولكني خططت لأن أستخدمهما في وقت لاحق من حياتي إن كانت هناك حاجة لذلك – في حالة إصابتي بمرض عضال لا أمل في الشفاء منه. فبعدما رأيت العذاب الذي كان يشعر به بعض من مرضاي، كنت أرغب في أن أكون قادرًا على استثناء نفسي من هذا العذاب. لم أكن أعلم أن فرانسيس تعلم أني أمتلك قنينتين من هذا السم الزعاف في خزانتي، ولكن لا بد وأنها قد عثرت عليهما في يوم ما بينما كانت تبحث عن شيء ما ليحقق أغراضها. كما قلت من قبل، ربما كنت أستحق العقاب، وأيًا كان ما تقوله مارجريت، لطالما شعرت بأن فرانسيس لم تقتل نفسها، بل أنني من قتلها".

قال بوارو: "لا، لا يجب أن تلقي باللوم على نفسك، فإن كانت مصرة على الانتحار، كانت ستفعل ذلك بقنينة السم خاصتك أو بدونها".

انتظرت أن يسأل بوارو عن سم السيانيد، حيث إن الطبيب الذي يمكنه الوصول إلى أحد أنواع السم، يمكنه الوصول إلى نوعين، ولكنه قال بدلاً

من ذلك: "أيها الطبيب فلاورداي، أنا لا أنوي أن أخبر أي شخص بأن وفاة باتريك وفرانسيس أيف لم تكن عرضية. وستظل حرًا وقادرًا على ممارسة مهنة الطب".

نقل فلاورداي عينيه ما بين بوارو وبيني وقال: "ماذا؟". فأومأت له برأسي دليلاً على موافقتي، رغم انزعاجي لأن بوارو لم يسألني عن رأيي، فقد كنت أنا المكلف بتنفيذ القانون في البلاد.

إن كان قد استشارني، كنت سأجبره على ألا يكشف الكذبة التي قالها أميروز فلاورداي.

قال أميروز: "شكرًا لك، إنك رجل منفتح العقل وكريم الخلق".

تفادى بوارو امتنان فلاورداي وقال: "لا شكر على واجب، ولكن لديَّ سؤالاً آخر لأطرحه عليك أيها الطبيب: هل أنت متزوج؟".

قال الطبيب: "لا".

قال بوارو: "إن سمحت لي بقول هذا، عليك أن تفعل".

أخذت حينها نفسًا عميقًا.

وقلت: "إنك أعزب، أليس كذلك؟ وترملت مارجريت إيرنست منذ عدة سنوات، ومن الجلي أنك تحبها كثيرًا، وأعتقد أنها تبادلك ذلك الحب، فلم لا تطلب يدها للزواج؟".

بدا أن الطبيب فلاورداي، المسكين، يحاول أن يخفي دهشته، ولكنه قال أخيرًا: "لقد اتفقت ومارجريت منذ وقت طويل على ألا نتزوج أبدًا، وربما كان هذا خاطئًا، وبعدما فعلناه – والذي كان ضروريًا طبقًا لما شعرنا به حينها – وبعدما حدث لـ تشارلز المسكين... حسنًا، لم يكن من المناسب لنا أن نسمح لأنفسنا بأن نشعر بهذه السعادة، أن نسعد بكوننا معًا، فقد كان هناك الكثير من العذاب".

كنت أراقب مارجريت، ورأيت عينيها مفتوحتين.

قالت مارجريت بصوت واهن: "كفانا عذابًا".

وضع فلاورداي يده على فمه وقال: "أوه، مارجريت، ما أهمية الحياة من دونك؟".

نهض بوارو واقفًا، وقال بصوت شديد الصرامة: "أيها الطبيب، إن السيدة إيرنست تعتقد بأنها ستنجو، وسيكون من المخزي للغاية أن يكون تحليلك الغبي للسعادة هو مجرد أن تنجو مارجريت، إن شخصين طيبين مثلكما يحبان بعضهما الآخر لا يجب أن يفترقا عندما لا يكون هناك داع لذلك".

قالها وخرج من الغرفة.

*

أردت أن أهرب من القرية متوجهًا إلى لندن على الفور، ولكن قال بوارو إنه يرغب في رؤية قبر باتريك وفرانسيس أيف أولاً، حيث قال: "أود أن أترك لهما بعض الزهور يا صديقي".

قلت: "إننا في شهر فبراير يا صديقي، أين ستعثر على الزهور؟".

تسبب ما قلته في نوبة من التذمر من المناخ الإنجليزي.

كان شاهدا القبرين ملقيين على جانبهما وملطخين بالطين، وكانت هناك الكثير من آثار الأقدام المتداخلة في الطين مما يشير إلى أن هذين الحيوانين الوحشيين، فريديريك وتوبياس كلوتن، قد قفزا صعودًا وهبوطًا على الأحجار قبل اقتلاعها من الأرض بمجرفتيهما.

خلع بوارو قفازه، ثم انحنى واستخدم أصبع السبابة من يده اليمنى، ورسم زهرة كبيرة على الأرض – كما يرسمها الأطفال، وقال: "ها هي ذي، زهرة في شهر فبراير، رغم المناخ الإنجليزي الرهيب".

قلت: "بوارو، هناك طين على أصبعك".

قال بوارو: "نعم، ولم تبدو مندهشًا؟ حتى هيركيول بوارو الشهير لا يمكنه أن يرسم زهرة في الطين دون أن تتسخ يداه. سيُزال بسهولة – الطين، لا تقلق. يمكنني العناية بأظافري فيما بعد".

ابتسمت قائلاً: "لا شك في هذا، يسرني أن أعرف أنك متفائل بشأن هذا الأمر".

أخرج بوارو منديلاً، وراقبته بانبهار بينما كان يمسح آثار الأقدام عن شاهد القبر، وكان يلهث ويترنح للأمام والخلف، وكاد يفقد توازنه مرة أو اثنتين.

ثم قال: "ما رأيك؟ هكذا أفضل، أليس كذلك؟".

قلت: "نعم، هكذا أفضل".

قطب بوارو حاجبيه وأحنى رأسه مطرقًا وقال بهدوء: "هناك مناظر تبعث على الكآبة يتمنى المرء لو لم يرها، يجب أن نتأكد من أن باتريك وفرانسيس أيف سيرقدان معًا في قبريهما بسلام".

كانت كلمة "معًا" هي ما أحدث الأمر، حيث أحضرت كلمة أخرى إلى عقلي: الانفصال، ولا بد من أن تعبيرًا غريبًا قد ظهر على وجهي.

حيث قال بوارو: "كاتشبوول، إنك تفكر في أمر ما – ما هو؟".

معًا، منفصلين.

كان باتريك أيف يحب نانسي دوكاين، ولكن عندما مات، تشارك قبره مع المرأة التي كان ملكًا لها خلال حياته: زوجته فرانسيس، هل شمرت روحه بالسلام، أم كانت تتوق لـ نانسي؟ هل طرحت نانسي على نفسها هذا السؤال؟ هل كانت تتمنى، بسبب حبها الشديد له، أن يتحدث الموتى مع الأحياء؟ أي شخص أحب شخصًا ما وفقده قد يتمنى هذا...

قال بوارو: "كاتشبوول، ما الذي تفكر به الآن؟ يجب أن أعرف".

قلت: "بوارو، لقد واتتني أكثر الأفكار غرابة، دعني أخبرك بها بسرعة، حتى تخبرني بأني مجنون". ثم بدأت أثرثر بحماس حتى انتهيت من عرض فكرتي بكاملها، واختتمت حديثي قائلاً: "أنا مخطئ، أليس كذلك؟".

شهق بوارو وقال: "لا، لا، لا، أنت لست مخطئًا يا صديقي. بالطبع، كيف، كيف فاتتني رؤية هذا الأمر؟ يا إلهي. أتدرك ما يعنيه هذا؟! ما الذي علينا أن نستنتجه الآن؟".

قلت: "لا، أخشى أني لم أدرك هذا بعد".

قال بوارو: "هذا مؤسف".

قلت: "بحق الله يا بوارو، ليس من العدل أن تدعني أفصح لك عن فكرتي وتمنع فكرتك عني".

قال بوارو: "لا وقت أمامنا لمناقشة هذا الآن، علينا أن نسرع بالعودة إلى لندن، حيث ستذهب لتحصل على ملابس هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري ومتعلقاتهما الشخصية".

قلت: "ماذا؟"، ثم قطبت حاجبي في حيرة، متسائلاً عما إذا كانت أذناي تخدعانني.

قال بوارو: "نعم، إن متعلقات السيد نيجوس قد أُخرجت من الفندق بواسطة أخيه، إن كنت تذكر".

قلت: "أذكر، ولكن...".

قال بوارو: "لا تناقشني يا كاتشبول. لن يستغرق حزم حقيبتي ملابس سيدتين الكثير من الوقت. نعم، لقد فهمت الأمر، فهمت كل شيء الآن، أخيرًا. جميع حلول الكثير من تلك الألغاز الصغيرة، لقد أصبح كل شيء في مكانه. أتعلم، إنها تشبه ألغاز الكلمات المتقاطعة كثيرًا".

قلت: "لا تعقد هذه المقارنة من فضلك، فمن المحتمل أن تجعلني أعزف عن أفضل تسلية لي إن قارنتها بهذه القضية".

تابع بوارو حديثه متجاهلاً ما قلته: "فقط عندما يرى المرء جميع الإجابات مجمعة، يدرك بكل تأكيد أنه محق. حتى ذلك الحين، وطالما أن بعض الإجابات لا تزال مفقودة، قد يكتشف المرء أن بعض التفاصيل التي بدا أنها تتفق مع الحقائق، لا تتفق معها على الإطلاق".

قلت: "في هذه الحالة، انظر لي على أني مربعات كلمات متقاطعة فارغة، لا توجد بها أية كلمات".

قال بوارو: "ليس لوقت طويل يا صديقي — ليس لوقتٍ طويل. سيجري بوارو تحقيقًا أخيرًا في قاعة طعام فندق بلوكسهام".

الفصل ٢٢

جرائم الحروف المزخرفة

في عصر اليوم التالي، حوالي الساعة الرابعة والربع، كنت وبوارو واقفين في أحد جوانب صالة الطعام بفندق بلوكسهام منتظرين أن يأخذ الناس أماكنهم حول الطاولات العديدة التي في صالة الطعام. كان طاقم عمل الفندق بأكمله قد وصل بمجرد أن دقت الساعة الرابعة كما وعدنا لوكا لازاري بأنهم سيفعلون. ابتسمت محييًا الوجوه المألوفة بالنسبة لي: جون جوود، توماس بريجنل، رافال بوبال، والذين قاموا بتحيتي بإيماءات عصبية.

كان لازاري يقف بجوار الباب مشيحًا بذراعيه في جميع الاتجاهات في إشارات عشوائية بينما يتحدث مع الشرطي ستانلي بيير الذي واصل الانحناء والتراجع للخلف ليتجنب أن تصيبه أذرع لازاري في وجهه. كنت في مكان بعيد عنهما ولم أتمكن من سماع ما يقوله لازاري، كما أن الغرفة كانت صاخبة للغاية، ولكني سمعت عبارة "جرائم الحروف المزخرفة" أكثر من مرة.

هل هذه هي التسمية التي قرر لازاري أن يطلقها عليها؟ كان بقية سكان البلاد يدعونها بالاسم الذي أطلقته عليها الصحف منذ اليوم الأول: جرائم قتل فندق بلوكسهام، إلا أنه يبدو أن لازاري قد ابتكر اسمًا بديلاً رائعًا على أمل منه بألا تظل منشأته الأثيرة إلى قلبه تحمل هذه الوصمة إلى الأبد. رأيت بوضوح أن هذا الأمر يبعث على الإزعاج، ولكني كنت أعلم بأن مزاجي قد تعكر

بسبب الفشل الذي لاقيته على جبهة إعداد حقائب الملابس. من السهل أن أعد حقائبي قبل أن أسافر، ولكن هذا بسبب أني آخذ أقل القليل من الملابس في أثناء السفر. لابد أن ملابس أيدا جرانسبري قد زادت خلال فترة إقامتها القصيرة في فندق بلوكسهام، فقد قضيت فترة مثيرة للحنق محاولاً الضغط على الحقيبة بكل ثقلي، ولكني لم أستطع أن أضع الكثير من ملابسها في حقيبتها. لا شك في أن هناك مهارة نسائية تجعلهن يبرعن في مثل هذه الأمور والتي لن يمكن لرجل أخرق مثلي أن يبرع بها. وشعرت براحة غامرة عندما طلب مني بوارو أن أتوقف عن المحاولة وأن أتوجه إلى صالة طعام الفندق حتى أصل في الموعد المحدد في تمام الرابعة.

وصل صامويل كيد، والذي كان يرتدي حلة رمادية خفيفة، متأبطًا ذراع جيني هوبز الشاحبة الوجه بعد الرابعة بخمس دقائق. ثم وصل بعدهما بدقيقتين هنري نيجوس، شقيق ريتشارد، ثم بعد عشر دقائق، مجموعة مكونة من أربعة أشخاص: رجل وثلاث نساء، إحداهن كانت نانسي دوكاين، والتي كانت عيناها حمراوين بلون الدم ومليئتين بالدموع. عندما دخلت صالة الطعام، حاولت جاهدة أن تخفي وجهها خلف وشاح مصنوع من قماش شفاف دون جدوى.

غمغمت موجهًا حديثي لـ بوارو: "إنها لا ترغب في أن يرى الناس أنها كانت تبكي".

قال بوارو: "لا، إنها تضع الوشاح على وجهها لأنها لا ترغب في أن يتعرف عليها أحد، وليس لأنها خجلة من دموعها. ليس من المخجل أن يسمح المرء لمشاعره بالظهور في العلن، على العكس مما تعتقدونه يا معشر الإنجليز".

لم أكن أرغب في أن يتحول النقاش لينصب عليَّ بدلاً من الحديث عن نانسي دوكاين، والتي كنت أهتم بها كثيرًا، فقلت: "أعتقد أنها لا ترغب في أن تلفت انتباه معجبيها، حيث إنهم سيتهافتون عليها بمجرد رؤيتها".

بدا أن بوارو، والذي كان شخصية شهيرة هو أيضًا والذي لم يكن يعجبه شيء أكثر من تهافت المعجبين عليه، سيبدأ في جدالي حول هذه النقطة أيضًا.

ولكنـي شتت انتباهه سائلاً: "من هم الأشخاص الثلاثة الذين حضروا مع نانسي دوكاين؟".

قـال بـوارو: "اللورد سانـت جون والاس، والليدي لويزا والاس وخادمتهما دوركاس". ثم نظر في ساعته وقال: "لقد تأخرنا عن موعد البدء لخمس عشرة دقيقة كاملة. لم لا يصل الناس في موعدهم أبدًا؟".

لاحظت أن كلًا من توماس بريجنل ورافال بوباك قد نهضا واقفين، وقد بدا أن كلًا منهمـا يرغـب في الحديث، رغـم أننا لم نكن قد بدأنـا الاجتماع بشكل رسمي بعد.

قال بوارو: "اجلسا من فضلكما أيها السيدان".

قال بريجنل: "ولكني يا سيد بوارو، يجب أن ـــ".

قال بوباك: "ولكني ـــ".

قـال بـوارو: "لا تقلقا أيها السيدان. ما الذي ترغبـان بشدة في أن تخبرا به بوارو؟ ثقا بأنه يعلم كل شيء بالفعل، وأنه على وشك أن يخبركما به، وجميع من تجمعوا هنا. اصبرا، أرجوكما".

استـكان كل مـن بوباك وبريجنـل وجلسا مكانهمـا، وفوجئت برؤيـة المرأة ذات الشعـر الأسود التـي تجلس بجانب بريجنل وهي تمسك بيده، والذي ضغط بدوره على يدها وظلـت يديهما متشابكتين، ورأيت النظرة التي تبادلاها، والتي أخبرتنـي بكل ما كنت بحاجة لأن أعرفه: لقد كانا عاشقين. ولكن، لم تكن هذه المرأة نفسها التي رأيت بريجنل يعانقها في حدائق الفندق.

همس بوارو في أذني قائلاً: "كانت المـرأة التي كان بريجنل يعانقها بجوار عربة اليد شقراء الشعـر، أليس كذلك؟ المرأة ذات المعطف البني؟". وابتسم لي على نحو غامض.

خاطـب بـوارو الجمع قائـلاً: "والآن، وبعدما وصل الجميع، هـل يمكنكم أن تلتزموا الصمت وتعطوني كامل انتباهكم؟ شكرًا لكم. أنا مدين لكم جميعًا".

بينمـا كان بوارو يتحدث، تفحصت وجوه الحاضرين في الغرفة. هل هذه... يا إلهي! إنها هي! في سبرينغ، النادلة من مقهى بليزانت والتي كانت تجلس في

مؤخـرة القاعة. وقد فعلت مثلمـا فعلت نانسي دوكاين، حيـث حاولت أن تغطي وجهها – باستخدام قبعة أنيقة –ولكنها لم تفلح أيضًا. غمزت لي كما لو كانت قـد قدمت لي وبـوارو خدمات جليلة عندما كنا ندخـل مقهاها من أجل احتساء أحـد المشروبـات وإخبارها إلى أيـن سنذهـب فيما بعد. لمَ لـم تبق تلك الفتاة الوقحة في المقهى حيث تنتمي؟".

قـال بوارو: "عليَّ أن أطلب منكم أن تتحلوا بالكثير من الصبر اليوم، فهناك الكثير من الأمور التي تحتاج إلى معرفتها وفهمها والتي لم تعرفوها أو تفهموها بعد".

نعـم، لقـد لخص ما قالـه موقفي تمامًا، فأنـا أعلم بالكاد مـا يزيد على ما يعلمـه خـدم الغرف والطهاة فـي الفندق، ربما حتى فـي سبرينـج قد تعرف من الحقائـق أكثـر مما أعـرف، وربما كان هذا هـو سبب دعوة بوارو لهـا إلى هذا الحـدث الكبيـر الذي نظمـه. عليَّ أن أقر بأنـي لا أفهم ولن أفهـم سبب دعوته لهذا الجمع الغفير. إنه ليس عملاً مسرحيًا. عندما أحل لغز جريمة ما – وكنت محظوظًـا لأني تمكنـت من حل عدد منها دون تلقي المساعدة من بوارو – كنت أعرض استنتاجاتي على رئيسي ومن ثم نقبض على المجرم لاستجوابه.

تساءلـت، بعدما فـات الأوان، عمـا إذا كان يجـب عليَّ أن أطلـب من بوارو أن يخبرنـي بـكل شيء في وقت سابق، قبل أن أكون محط أنظـار الجميع بهذه الطريقة، ولكن، ها أنا ذا، من المفترض أني من يرأس التحقيق، ولكني لا أعلم أي شيء عن حل اللغز الذي على وشك أن يعرضه.

دعـوت قائلاً: "أيًـا كان ما سيقوله، أرجـوك، دع الأمر يمر علـى خير، فإن تمكـن مـن التوصل لحل اللغز وكنت أقف بجواره، فلـن يشك أحد في أني كنت، وحتى آخر لحظة، لا أعلم أي شيء عن اللغز مثلما أنا الآن".

خاطـب بـوارو كل من في الغرفـة قائـلاً: "إن القصة طويلة لدرجـة أنه لن يمكننـي أن أقصها دون مساعدة، حيث إنـي سأجهد صوتي كثيرًا، لذا، عليَّ أن أطلب منكم أن تستمعوا إلـى متحدثين آخرين، أولاً، فلتتحـدث السيدة نانسي دوكاين، الرسامة الشهيرة والتي شرفتنا بحضورها اليوم".



كان الأمر مفاجئًا، ولكني لاحظت أنه لم يفاجئ نانسي. فقد بدا على وجهها أنها كانت تعلم أن بوارو سيدعوها للحديث. لقد اتفق كلاهما على هذا الأمر في وقت سابق.

ملأت أصوات الهمهمات الغرفة بينما توجهت نانسي، التي كانت تضع وشاحها حول وجهها، لتقف بجانبي حيث يمكن للجميع أن يروها. فهمست لـ بوارو قائلاً: "لقد أفسدت عليها محاولة إخفاء نفسها عن معجبيها".

ابتسم بوارو قائلاً: "نعم، ولكنها لا تزال تضع الوشاح حول وجهها بينما تتحدث".

استمع الجميع، في طرب، بينما كانت نانسي تقص قصة باتريك أيف؛ وحبها المحرم له، وزياراتها السرية إلى منزل رجل الدين تحت جنح الليل، والكذبة الشريرة التي قالت إنه يتقاضى أموالاً من سكان القرية في مقابل تحضير أرواح أحبائهم الراحلين للتواصل معهم. لم تذكر جيني هوبز بالاسم عندما ذكرت الشائعة التي بدأت المشكلة بأكملها.

شرحت نانسي كيف أنها أفصحت أخيرًا عن سرها الدفين في نزل كينجز هيد وأخبرت أهل القرية عن علاقة الحب بينها وباتريك أيف، والتي لم تكن علاقة عفيفة، رغم أنها تظاهرت في ذلك الوقت بأنها علاقة عفيفة، ثم ارتعش صوتها عندما ذكرت الميتة المأساوية لكل من باتريك وفرانسيس أيف مسممين. لاحظت أن كل ما قالته عن سبب الوفاة هو التسمم، ولكنها لم تذكر أي شيء عن أنها ميتة عرضية أو انتحار، وتساءلت عما إذا كان بوارو قد طلب منها هذا أم لا، من أجل أمبروز فلاورداي ومارجريت إيرنست.

قبل أن تعود لمكانها، قالت نانسي: "ما زلت أحب باتريك الآن مثلما كنت أحبه من قبل، ولن أتوقف عن حبه أبدًا، وَسَيُلَمُّ شملنا في يوم ما".

انحنى بوارو وقال: "شكرًا لكِ يا سيدة دوكاين. عليَّ الآن أن أخبركِ بأمر ما اكتشفته مؤخرًا، والذي أعلم بأنه سيريحكِ كثيرًا. قبل أن يموت، كتب باتريك... رسالة ذكر فيها أنه يجب إخباركِ بأنه أحبكِ وسيظل دائمًا".

وضعت نانسي يدها على فمها وطرفت عيناها عدة مرات، وقالت: "أوه، سيد بوارو، لا يمكنك أن تتخيل كم أسعدتني".

قال بوارو: "بل على العكس يا سيدتي، يمكنني تخيل هذا بشكل جيد، حيث إن الرسالة التي تصل بعد موت أحد أحبائنا... إنها عبارة عن تأكيد، أليست كذلك، لطبيعة الشائعة عن باتريك أيف: أنه قد أرسل رسالة من قبره؟ ومن ذا الذي لا يأمل في الحصول على رسالة من شخص أحبه وفقده؟".

عادت نانسي دوكاين إلى مقعدها وجلست، وربتت لويزا والاس على ذراعها.

قال بوارو: "والآن، ستتحدث امرأة أخرى عرفت وأحبت باتريك أيف: خادمته السابقة جيني هوبز، هلا تفضلت يا آنسة هوبز؟".

نهضت جيني وتوجهت إلى حيث كانت تقف نانسي، وكانت تبدو مندهشة لأنه طُلب منها التحدث، وقالت بصوت مرتجف: "لقد أحببت باتريك أيف بنفس قدر حب نانسي له، ولكني لم أكن بالنسبة له إلا مجرد خادمة وفية، وكنت أنا من بدأ تلك الشائعات الملعونة عنه، لقد كذبت كذبة لا تُغتفر. كنت أشعر بالغيرة الشديدة لأنه أحب نانسي ولم يحبني أنا. رغم أني لم أقتله بيدي، ولكني أعتقد بأني تسببت بموته عندما أثرت الأحقاد حوله أنا وثلاثة آخرون: هارييت سيبيل وريتشارد نيجوس وأيدا جرانسبري، الأشخاص الثلاثة الذين قُتلوا في الفندق. لقد شعر أربعتنا في وقت لاحق بالندم على ما اقترفته أيدينا، ندمنا بشدة، ووضعنا خطة لتصحيح الأمور".

نظرت إلى الوجوه المشدوهة لطاقم فندق بلوكسهام بينما كانت جيني تشرح الخطة ذاتها التي شرحتها لي ولبوارو في منزل صامويل كيد، وكذلك متى وكيف انحرفت الخطة عن مسارها. صرخت لويزا والاس عندما وصلت جيني في سردها للجزء المتعلق بتلفيق تهمة جرائم القتل لـ نانسي دوكاين والتأكد من أن تُشنق، وصاح سانت جون والاس قائلًا: "إن تلفيق تهمة لامرأة من أجل أن تُشنق على ثلاث جرائم قتل لم ترتكبها ليس تصحيحًا للأمور، إنما هو انحطاطًا".

لم يعارضه أي من المتواجدين في الغرفة، بصوت عالٍ على الأقل، حيث لاحظت أن في سبرينج لم تبدُ مصعوقة مثلما كان أغلب المتواجدين، بل كانت تبدو كما لو أنها تستمع باهتمام.

قالت جيني: "لم أرغب أبدًا في تلفيق التهمة لـ نانسي، أبدًا. وقد تصدقون هذا أو لا تصدقونه. كما تشاءون".

قال بوارو: "سيد نيجوس، سيد هنري نيجوس – هل تعتقد بأن أخاك قد يضع مثل تلك الخطة التي سمعتها للتو؟".

نهض هنري نيجوس وقال: "لا يمكنني الجزم بهذا يا سيد بوارو. فـ ريتشارد الذي أعرفه لم يكن ليحلم حتى بأن يقتل شخصًا ما. أما ريتشارد الذي حضر ليسكن معي في ديفون منذ ستة عشر عامًا لم يكن *ريتشارد الذي أعرفه*. كان الرجل ذاته من حيث المظهر الخارجي، ولكنه لم يكن الشخص ذاته من الداخل. أخشى قول إني لم أتعرف على ذلك الرجل الذي تحول إليه. وبالتالي، لا يمكنني أن أعلق على السلوكيات التي من المحتمل أن يقوم بها".

قال بوارو: "شكرًا لك سيد نيجوس، وشكرًا لكِ يا آنسة هوبز". ثم أضاف بفتور واضح: "يمكنكِ العودة لمقعدك".

ثم بدأ مخاطبة الحضور مرة أخرى قائلاً: "كما ترون، أيها السيدات والسادة، أن قصة الآنسة هوبز، إن كانت حقيقية، تتركنا دون وجود قاتل لنقبض عليه ونحاكمه، فقد قُتلت هارييت سيبيل على يد أيدا جرانسبري – بموافقة هارييت. وقُتلت أيدا جرانسبري على يد ريتشارد نيجوس – بموافقتها أيضًا – ثم انتحر ريتشارد نيجوس عندما لم تصل جيني هوبز للفندق لتقتله طبقًا للخطة. انتحر ريتشارد وجعل الأمر يبدو كما لو كان جريمة قتل من خلال إغلاق غرفته بالمفتاح وإخفائه خلف حجر سائب من أحجار المدفأة، ثم فتح النافذة. وكان من المفترض أن تفكر الشرطة في أن القاتل – نانسي دوكاين – قد أخذ مفتاح الغرفة وفر عبر النافذة المفتوحة وهبط على الشجرة بجوار النافذة إلى الأرض. ولكن لم يكن *هناك أي قاتل*، طبقًا لما قالته جيني هوبز – لم يُقتل أحد دون موافقته".

أدار بـوارو عينيه في أرجاء الغرفة وكرر ما قالـه: "لا يوجد قاتل، ولكن، إن كان هـذا صحيحًا، فسيظل هناك مجرمان على قيد الحياة ويستحقان العقاب: جيني هوبز وصامويل كيد، واللذان تآمرا لتلفيق التهمة لـ نانسي دوكاين".

صاحت لويزا والاس: "أرجو أن تقبض على كليهما يا سيد بوارو".

قال بوارو: "أنا لا أقبض على أي شخص كان أو أحرره يا سيدتي، هذه مهمة صديقي كاتشبوول وزملائـه. كل ما أفعله أنا هو كشف الحقائق والأسرار. سيد صامويل كيد، قف من فضلك".

نهض كيد واقفًا وقد بدت على وجهه أمارات عدم الارتياح.

قال بوارو: "هـل كان دورك في الخطة أن تترك رسالة عند المكتب الأمامي للفندق؟ رسالة تقول: "أرجو ألا يرقدوا في سلام. ١٢١، ٢٣٨، ٣١٧".

قال صامويل كيد: "نعم يا سيدي، كما قالت جيني".

قال بوارو: "هل أعطتك جيني الرسالة في الوقت المناسب لتقوم بذلك؟".

قـال صامويل كيد: "نعم. لقد أعطتني إياها في وقت سابق من ذلك اليوم. في الصباح".

قال بوارو: "ومتى كان عليك أن تترك الرسالة عند مكتب الاستقبال؟".

قال صامويـل: "بعد الثامنة مساءً بقليل، كما قالت جيني. بمجرد أن أتمكن من ذلك بعد الثامنة، ولكن كان عليَّ أن أتأكد أولاً من أنه لا يوجد من قد يراني وأنا أضع الرسالة عند مكتب الاستقبال".

سأله بوارو: "ممن حصلت على هذه التعليمات؟".

قال كيد: "جيني".

قـال بوارو: "وكانت جيـني أيضًا هي من أعطاك التعليمـات بوضع مفتاحي الغرفتين في جيب معطف نانسي دوكاين، أليس كذلك؟".

قـال كيد في صـوت كئيب: "هذا صحيح. لا أعلم لِـمَ تسألني عن جميع هذه الأمور رغم أنها قد انتهت للتو من إخبارك بها".

قال بـوارو: "سأشرح لك الأمـر. حسنًا، طبقًا للخطـة الأصلية، كما سمعنا جميعًـا جيني هوبز وهي ترويها، كان يجب أن يتـم أخذ مفاتيح الغرف جميعها

– ١٢١ و٢٣٨ و٣١٧ – من غرفة ريتشارد نيجوس بواسطة جيني بعدما تقتله، ومن ثم تعطيها إلى صامويل كيد، والذي سيضعها بدوره في مكان ما من شأنه يورط نانسي دوكاين في الجريمة – جيب معطفها، كما تبين لنا في النهاية. ولكن، *لم تذهب جيني هوبز إلى فندق بلوكسهام على الإطلاق في ليلة حدوث الجرائم، طبقًا لروايتها*، حيث إنها لم تتمتع بالجرأة الكافية للقيام بذلك. لذا، عليَّ أن أسألك يا سيد كيد: كيف حصلت على مفتاحيّ الغرفتين ١٢١ و٣١٧؟".

قال صامويل كيد: "كيف حصلت... كيف حصلت على المفتاحين؟".

قال بوارو: "نعم، هذا هو السؤال الذي طرحته عليك. أجب عنه من فضلك".

قال صامويل كيد: "حسنًا، إن أردت أن تعرف، لقد حصلت على المفتاحين بفضل فطنتي. لقد تحدثت مع أحد أعضاء طاقم عمل الفندق وطلبت منه أن يكون كريمًا معي ويعطيني المفتاح العمومي، وقد فعل. ثم أعدته له مرة أخرى بعد أن انتهيت من استخدامه. كل هذا تم في سرية تامة".

كنت على مقربة من بوارو فتمكنت من سماع الصوت الذي أصدره والذي ينم عن عدم الاقتناع، ثم قال: "من هو عضو طاقم العمل الذي تقصده يا سيدي؟ إنهم جميعًا هنا في هذه القاعة. أشر بأصبعك إلى الشخص الذي أعطاك المفتاح العمومي".

قال صامويل كيد: "لا يمكنني تذكر من كان. إنه رجل – هذا هو كل ما أذكره. إن ذاكرتي ضعيفة فيما يتعلق بالوجوه". وبعدما قال هذا، ربت كيد على الخدوش الحمراء الظاهرة في وجهه بإبهامه وسبابته.

قال بوارو: "وباستخدام هذا المفتاح العمومي، تمكنت من دخول الغرف الثلاث، أليس كذلك؟".

قال صامويل كيد: "لا، بل الغرفة ٢٣٨ فحسب، فهذه هي الغرفة التي كان يجب أن تكون جميع المفاتيح بها لتأخذها جيني، ولكني لم أعثر إلا على اثنين فقط. فكما قلت، كان هناك مفتاح مخبأ خلف حجر سائب من أحجار المدفأة، ولم أكن أرغب في الانتظار وتفتيش الغرفة بحثًا عن المفتاح الثالث مع وجود جثة السيد نيجوس معي في الغرفة ذاتها".

قال له بوارو: "أنت تكذب، ولكن هذا لا يهم، وستكتشف في الوقت المناسب أنه لا يمكنك النجاة بكذبتك من هذا المأزق. ولكن، دعنا نواصل. لا، لا تجلس، فلدي سؤال آخر – لك وجيني هوبز. هل كان جزء من الخطة أن تحمل جيني قصتها الأخلاقية إليَّ في مقهى بليزانت في تمام السابعة والنصف من ليلة حدوث جرائم القتل؟".

قالت جيني ولم تكن تنظر إلى بوارو، بل إلى صامويل كيد: "نعم".

قال بوارو: "اعذريني، ولكني لا أفهم أمرًا ما بالغ الأهمية. لقد كنتِ خائفة لدرجة أنكِ لم تستطيعي إكمال الخطة، كما قلتِ، ولهذا، لم تذهبي إلى الفندق في تمام السادسة، ولكنكِ أكملتِ الخطة. وكان الانحراف الوحيد عن الخطة هو أن ريتشارد انتحر، أليس كذلك؟ حيث وضع السم في شرابه بنفسه بدلاً من أن تضعيه أنتِ. هل ما قلته حتى الآن صحيح يا آنسة؟".

قالت جيني: "نعم، إنه كذلك".

قال بوارو: "إن كانت التفصيلة الوحيدة التي تغيرت من الخطة هي أن ريتشارد نيجوس انتحر بدلاً من أن تقتليه، فسيمكننا الافتراض بأن الوفيات قد حدثت كما خُطط لها: بعد طلب الشطائر والكعك، في الفترة ما بين السابعة والربع وتمام الثامنة مساءً، أليس كذلك يا آنسة هوبز؟".

قالت جيني: "هذا صحيح". ولكنها لم تكن واثقة من نفسها مثلما كانت قبل لحظات.

قال بوارو: "هل يمكنني أن أسألكِ، كيف كان جزء من الخطة أن تقتلي ريتشارد نيجوس؟ لقد أخبرتني بأنه كان من المفترض أن تمشي عليَّ في مقهى بليزانت بعد السابعة والنصف بقليل، حيث كنتِ تعلمين أني سأكون هناك لأتناول عشائي المعتاد يوم الخميس، ومن المستحيل أن تتوجهي من فندق بلوكسهام إلى مقهى بليزانت في أقل من نصف الساعة. لا يمكن هذا، أيًا كانت وسيلة المواصلات التي سيستقلها المرء. لذا، حتى وإن قتلت أيدا جرانسبري هارييت سيبيل، وقتل ريتشارد نيجوس أيدا جرانسبري، الأمر الذي كان ممكنًا

بعد السابعة والربع. لم يكن أمامك الوقت الكافي لقتل ريتشارد نيجوس في الغرفة ٢٣٨ بعد هذا الوقت، والوصول إلى مقهى بليزانت بحلول الوقت الذي التقينا به. هل يفترض بنا أن نصدق هذا، مع كل هذا التخطيط الدقيق الذي قمتم به، لم يفكر أي منكم في هذه الاستحالة العملية؟".

امتقع وجه جيني، وأتوقع أن يكون وجهي قد امتقع أيضًا، رغم أنني لم أستطع أن أراه.

كان ما وضحه بوارو خللاً واضحًا بروايتها، خللاً لم أتمكن من تحديده. لم يخطر لي هذا الأمر على بال.

الفصل ٢٣

حقيقة أيدا جرانسبري

ضحك صامويل كيد، واستدار حتى يتمكن بقية الحضور من رؤيته، وقال: "سيد بوارو، بالنسبة لرجل يفخر بقدراته البوليسية الخارقة، لا أعتقد أنك أفضل من في هذا المجال، أليس كذلك؟ لقد سمعت جيني تتحدث عن هذا الأمر أكثر مما فعلت أنت، وأعتقد أنه يمكنني الجزم بأن الخطـة لم تكن أن تقع جرائم القتل بعد السابعة والربع. لا أعلم من أين حصلت على هذه الفكرة. لقد كانت الخطة أن يتم الأمر بعد تمام السادسة، ولم يكن طلب الطعام في السابعة والربع جزءًا من الخطة أيضًا".

قالـت جيني: "هذا صحيح"، وبدا أنها حصلت على مخرج من المأزق الذي كانت فيه بفضل خطيبها السابق سريع البديهة، وبدا أنها قد استعادت هدوءها وهي تقـول: "يمكنني أن أستنتج أن عدم وصولي إلى الفندق في الموعد المتفق عليـه هو مـا سبب التأخير. وربما كان الآخرون يرغبـون في مناقشة سبب عدم حضوري في موعدي، كنت سأفعل ذلك لو كنت مكانهم، وربما استمرت مناقشة ما عليهم فعله بعض الوقت".

قـال بوارو: "حسنًا، ولكنـك لم تصححي ما قلته منـذ بضع لحظات عندما قلـت إن الوفيات قد وقعت طبقًا للمخطط: ما بين السابعة والربع وتمام الثامنة مساءً، كما أنكِ لم تذكـري أن طلب شاي ما بعد الظهيـرة في وقت متأخر عن

موعده لم يكن جزءًا من الخطة أيضًا".

قالت جيني: "معذرة، كان يجب أن أصحح لك ما قلته. أنا.. أعني، إن هذا الأمر برمته يربكني بشدة".

قال بوارو: "أنت تقولين الآن، إنه كان من المفترض أن تحدث جرائم القتل في تمام السادسة، أليس كذلك؟".

قالت جيني: "نعم، وأن يتم كل شيء قبل السابعة إلا الربع حتى يمكنني الوصول إلى مقهى بليزانت بحلول السابعة والنصف".

قال بوارو: "في هذه الحالة، يجب أن أطرح عليكِ سؤالًا آخر يا آنسة. لماذا تتطلب الخطة أن ينتظر السيد كيد ساعة كاملة، بعد موت كل من هارييت وآيدا وريتشارد، وبعد مغادرتكِ للفندق، قبل أن يضع الرسالة عند مكتب استقبال الفندق؟ لمَ لم يتم الاتفاق على أن يفعل السيد كيد ذلك في الساعة السابعة والربع أو حتى السابعة والنصف، على سبيل المثال؟ لماذا في تمام الثامنة؟".

جفلت جيني كما لو أن هناك صاعقة أصابتها، وقالت بتحدٍ: "*لماذا في تمام الثامنة*؟ ما الضرر الذي كان سيقع جراء القليل من الانتظار؟".

قال سام كيد: "إنك تطرح أسئلة سخيفة يا سيد بوارو".

قال بوارو: "لا يوجد أي ضرر من الانتظار يا آنسة – أوافقكِ تمامًا، ولهذا، يجب علينا أن نسأل أنفسنا: لمَ كان يجب ترك رسالة في المقام الأول؟ لمَ لم تنتظروا حتى تعثر عاملات خدمة الغرف بالفندق على الجثث في صباح اليوم التالي؟ جيني؟ لا تنظري إلى صامويل كيد، بل انظري إلى هيركيول بوارو، وأجيبي عن السؤال".

قالت جيني: "لا... أعلم، أعتقد أنه ربما كان ريتشارد...".

قاطعها بوارو قائلًا: "لا، ليس ريتشارد. إن لم ترغبي في إجابة سؤالي، فاسمحي لي أن أفعل. لقد أخبرتِ السيد كيد بأن يترك الرسالة عند مكتب الاستقبال بعد الثامنة بقليل لأنه كان جزءًا من الخطة *أن يبدو الأمر كما لو أن الجرائم قد ارتُكبت في الفترة ما بين السابعة والربع والثامنة مساءً*".

التفت بوارو مرة أخرى إلى الجمع الصامت المذهول وقال: "دعونا نفكر في شاي ما بعد الظهيرة المتأخر الذي طلبه الأشخاص الثلاثة، والذي تم توصيله إلى الغرفة ٣١٧ – غرفة أيدا جرانسبري. دعونا نتخيل أن ضحايانا الثلاث، يشعرون بالحيرة بسبب عدم حضور جيني هوبز، وكانوا يرغبون في تقرير ما عليهم فعله، لذا ذهبوا إلى غرفة أيدا جرانسبري لمناقشة الأمر. كاتشبوول، إن كنت قد سمعت للتو بأن يتم إعدامك على ذنب اقترفته في الماضي، فهل ستطلب بعض الشطائر والكعك قبل أن تُعدم؟".

قلت: "لا، كنت سأشعر بالكثير من التوتر لدرجة أني لن أتمكن من تناول أي طعام أو شراب".

قال بوارو: "ربما كان الثلاثة يعتقدون بأنه من المهم أن يحافظوا على قوتهم من أجل المهمة بالغة الأهمية التي أمامهم، ثم عندما وصل الطعام، لم يستطيعوا أن يتناولوا منه شيئًا، ولكن، أين اختفى كل هذا الطعام؟".

قالت جيني: "هل تسألني أنا؟ أخشى أني لا أعلم، لأني لم أكن حاضرة".

قال بوارو: "بالعودة إلى توقيت الوفيات، يرى الطبيب الشرعي أن جميع حالات الوفاة قد وقعت في الفترة ما بين الرابعة والثامنة والنصف، ثم ضيق دليل ظرفي لاحق هذه الفترة لتنحصر ما بين السابعة والربع والثامنة إلا عشر دقائق، حيث رأى النادل رافال بوباك الضحايا الثلاث على قيد الحياة في السابعة والربع خلال توصيل الطعام إلى الغرفة ٣١٧، ثم رأى توماس بريجنل السيد ريتشارد نيجوس على قيد الحياة في السابعة والنصف في ردهة الفندق عندما أطرى نيجوس على كفاءة بريجنل وطلب منه أن يتأكد من أن الطعام والشاي سيضافان على فاتورته وطلب بعض العصير، لذا، يبدو أن أيًا من حالات الوفاة لم تحدث قبل السابعة والربع، وأن وفاة ريتشارد نيجوس لم تكن لتحدث قبل السابعة والنصف".

"رغم وجود بعض التفاصيل التي لا تتفق مع بعضها البعض لإيضاح الصورة الكاملة، فأولاً: "هناك الطعام المختفي الذي نعلم جيدًا أن أيًا من هارييت سيبيل أو أيدا جرانسبري أو ريتشارد نيجوس لم يتناوله، فلا أعتقد أن هناك

شخصًا ما على وشك أن يقتل للمرة الأولى قد يستطيع تناول كعكة قبل ذلك. فلمَ إذن طلبوا طعامًا لا ينوون تناوله *إلا إن كانوا يرغبون في أن يراهم أحد الشهود على قيد الحياة في السابعة والربع*. أليس كذلك؟ ولم كان من المهم بالنسبة لضحايانا الثلاث أن يراهم شخص ما على قيد الحياة في هذا الوقت بالتحديد. يمكنني أن أفكر في تفسير واحد فقط يتفق مع رواية جيني هوبز: إن كانوا يعلمون، بطريقة ما، أن نانسي دوكاين لا تمتلك أية حجة غياب معقولة في الفترة ما بين السابعة والربع والثامنة والربع، فسيرغبون في أن يبدو الأمر كما لو أن جرائم القتل قد وقعت في تلك الفترة. ولكن، كانت نانسي دوكاين تمتلك حجة غياب قوية، أليس كذلك يا ليدي والاس؟".

نهضت لويزا والاس واقفة وقالت: "نعم، بالفعل، لقد ظلت معي وزوجي حتى العاشرة مساءً في تلك الليلة، حيث تناولنا العشاء في منزلنا".

قال بوارو: "شكرًا جزيلاً لكِ يا سيدتي. يمكنني إذن أن أفكر في سبب واحد أخير لجعل الجرائم الثلاث تبدو كأنها حدثت في الفترة ما بين السابعة والربع والثامنة وعشر دقائق: فخلال هذه الفترة كانت لدى جيني هوبز حجة غياب لا تقبل الجدل، فأنا، هيركيول بوارو، أعلم جيدًا أنها لم تكن لتتواجد في فندق بلوكسهام وقت حدوث الجرائم، فقد كانت تجلس معي في مقهى بليزانت في الفترة ما بين السابعة وخمس وثلاثين دقيقة والسابعة وخمسين دقيقة، وقد تحدثت بالفعل عن الوقت الذي يستغرقه التنقل ما بين الفندق والمقهى.

"أضع كل هذا معًا إلى جانب اعتقادي بأن حالات الوفاة الثلاث لم تحدث في الفترة ما بين السابعة والربع والثامنة وعشر دقائق، وأبدأ في التساؤل: لم يتكبدون كل هذا العناء ليبعدوا شبهة قتلهم عن جيني هوبز، *إلا إن كانت هي من ارتكبها بالفعل*؟".

قفزت جيني من مقعدها وقالت: "أنا لم أقتل أحدًا، اقسم لك إني لم أفعل. لا شك في أنهم ماتوا في الفترة ما بين السابعة والربع والثامنة – إن الأمر جلي أمام الجميع عداك أنت".

قال بوارو ببرود: "اجلسي يا آنسة هوبز والتزمي الصمت إلا إن وجهت لك سؤالاً مباشرًا".

احمر وجه صامويل كيد غضبًا وقال: "إنك تختلق كل هذا يا سيد بوارو. كيف علمت أنهم لم يطلبوا هذا الطعام إلا لأنهم كانوا يتضورون جوعًا؟ ليس لأنك لم تكن لتفعل أو أني لم أكن لأفعل، لا يعني أنهم مثلنا".

سألته: "لمَ لم يتناولوا الطعام إذن يا سيد كيد؟ أين اختفت كل هذه الشطائر والكعكات؟".

غمغم لوكا لازاري: "أفضل وجبة شاي ما بعد الظهر في جميع ربوع لندن".

قال بوارو: "سأخبرك أين ذهبت يا كاتشبوول. لقد ارتكب القاتل خطأً يتعلق بوجبة شاي ما بعد الظهر -- واحدًا من بين الكثير من الأخطاء. إن تَرك الطعام في الأطباق في الغرفة رقم ٣١٧ لتعثر عليه الشرطة، فلن يكون هناك لغز. وكانت ستفترض أن القاتل قد وصل مقاطعًا الجمع السعيد قبل بدء الوليمة. ولكن اعتقد القاتل كل هذا الطعام الذي لم يمسه أحد سيثير الشبهات، ولم يرغب في أن يطرح أحد السؤال التالي: لم يطلبون الطعام ولا يتناولونه؟".

سألته: "ما الذي حل بالطعام إذن؟ إلى أين اختفى؟".

قال بوارو: "لقد أزاحه المتآمرون من المشهد. آه، نعم، سيداتي وسادتي، لا شك في أن هناك مؤامرة قد حيكت لارتكاب جرائم القتل الثلاث. وفي حالة لم أتمكن من توضيحها لكم حتى الآن: كان كل من هارييت سيبيل وريتشارد نيجوس وأيدا جرانسبري قد ماتوا جميعًا قبل وقت طويل من السابعة والربع من مساء يوم الخميس الذي نتحدث عنه".

تقدم لوكا لازاري للأمام خطوة وقال: "اعذرني على المقاطعة يا سيد بوارو. ولكن يجب أن أخبرك بأن رافال بوباك، أكثر النُدل إخلاصًا، لن يكذب. لقد رأى الضحايا الثلاث أحياء معافين بينما كان يقدم لهم الطعام في السابعة والربع، أحياء معافين. لابد وأنك مخطئ فيما تقول".

قال بوارو: "أنا لم أخطئ، وأنت لم تخطئ في أحد الجوانب: لا شك في أن رافال بوباك شاهد مثالي، ولا شك في أنه رأى الأشخاص الثلاثة في الغرفة

٣١٧ عندما قدم لهم وجبة شاي ما بعد الظهر – *ولكنهم لم يكونوا هارييت سيبيل أو أيدا جرانسبري أو ريتشارد نيجوس*".

امتلأت الغرفة بأصوات الشهقات النابعة عن الصدمة، حتى أني شهقت أنا أيضًا، مجبرًا عقلي على التفكير فيمن قد يكون هؤلاء الأشخاص الثلاثة. لم تكن بينهم جيني هوبز، حيث إنها كانت في طريقها إلى مقهى بليزانت في ذلك الوقت. من إذن؟

قلت بعصبية: "بوارو، هل تقول إن هناك من جسد شخصيات الضحايا الثلاث حتى يبدو كما لو كانوا أحياء عند تقديم الطعام لهم؟".

قال بوارو: "ليس بالضبط. هناك شخصان جسدا شخصية اثنين من الضحايا، أما الشخص الثالث... أيدا جرانسبري، فلم يكن كذلك، أنا آسف لقول هذا. لا، لسوء الحظ، كانت هي أيدا جرانسبري الحقيقية. سيد بوياك، هل تذكر ما أخبرتني به عما سمعته ورأيته عندما أخذت وجبة شاي ما بعد الظهر إلى الغرفة ٣١٧؟ أتذكر كل كلمة مما قلت، حيث إنك قلته لي مرتين، هل تمانع لو قلته على الملأ الآن ليسمعه جميع الحضور؟".

قال بوياك: "لا، على الإطلاق يا سيدي".

قال بوارو: "شكرًا لك. وصلت إلى الغرفة لتجد أن الضحايا الثلاث لا يزالون على قيد الحياة ويتحدثون عن أشخاص يعرفونهم، وسمعت هارييت سيبيل، أو المرأة التي ناداها الرجل في الغرفة باسم هارييت فيما بعد، تقول" لم يكن أمامها خيار، أليس كذلك؟ إنها لم تعد المرأة التي يأتمنها على أسراره. إنه لم يعد يهتم بأمرها الآن – لقد أهملت نفسها، وهي قد تكون في عمر والدته. لا، إن كانت ترغب في معرفة ما يدور في رأسه، عليها أن تلتقيَ بالمرأة التي يأتمنها على أسراره حاليًا، وأن تتحدث معها". كان هذا عندما قطع الرجل في الغرفة حديثه معك واهتمامه بالطعام وقال "هارييت، هذا ليس عدلاً. إن أيدا تُصدم بسهولة، كوني رفيقة بها". هل كنت دقيقًا يا سيد بوياك؟".

قال بوياك: "نعم يا سيدي".

قال بوارو: "ثم أخبرتني بأن أيدا أو هاربيت قد قالت أمرًا ما لم تتمكن من تذكره، ثم قال الرجل الذي افترضت أنه ريتشارد نيجوس: "عقله؟ أعتقد أن لا عقل له، كما أني أعارض أن المرأة في سن والدته. أعارضه تمامًا"؛ حينها ضحكت المرأة التي نوديت باسم هاربيت وقالت "حسنًا، لا يمكن لأي منا أن يثبت صحة وجهة نظره، لذا دعونا نتفق على ألا نتفق!"؛ هل هذا صحيح؟".

أكد رافال بوباك هذا، مرة أخرى، فقد كان كل ما قاله بوارو صحيحًا.

قال بوارو: "هل يمكنني أن أقترح يا سيد بوباك أن الملاحظة التي قالتها أيدا أو هاربيت والتي لم تتمكن من تذكرها قد قيلت في الحقيقة بواسطة هاربيت؟ أنا على قناعة – قناعة تامة – بأنك لم تسمع أيدا جرانسبري تنطق ولو بكلمة واحدة، كما أنك لم تر وجهها لأنها كانت تجلس معطية ظهرها لباب الغرفة".

قطب بوباك حاجبيه في تركيز، ثم قال أخيرًا: "أعتقد أنك محق يا سيد بوارو. لا، لم أر وجه الآنسة أيدا جرانسبري، كما لا أذكر الآن، بعدما أثرت الأمر في ذهني، أني سمعتها تتحدث".

قال بوارو: "إنك لم تسمع أيدا جرانسبري تتحدث يا سيدي لسبب بسيط، فمع وضعها في مقعدها وظهرها يواجه الباب، كانت قد *قُتلت بالفعل في السابعة والربع، وكان الشخص الثالث في الغرفة ٣١٧ التي أخذت وجبة شاي ما بعد الظهر إليها... امرأة ميتة!*".

الفصل ٢٤

الزهرية والقدر الأزرقان

صرخ بعض الحضور في ذعر، وكانت هناك فرصة قوية أن أكون أحدهم. يا له من أمر غريب: لقد رأيت الكثير من الجثث بفضل عملي في شرطة سكوتلاند يارد، ولم تُثر أي منها ذعري في أي وقت – ولكن، لا توجد فكرة أكثر رعبًا من فكرة إسناد جثة امرأة ميتة لتبدو حية وتتحدث مع أصدقائها بينما يتناولون شاي ما بعد الظهر.

بدا أن رافال بوباك المسكين يرتعد وشفتاه ترتعشان. فلا شك في أنه كان يفكر في أنه قد اقترب من هذا الفعل الشنيع أكثر مما قد يرغب فيه أي إنسان عاقل.

تابع بوارو حديثه قائلاً: "لهذا السبب، طُلب الطعام إلى غرفة أيدا جرانسبري. كانت غرفة ريتشارد نيجوس، رقم ٢٣٨، لتصبح أفضل مكان للقاء بالنسبة للضحايا الثلاث، حيث إنها تقع في الطابق الثاني ما بين الغرفتين الأخريين، وكان الطعام سيضاف على فاتورة السيد نيجوس بشكل تلقائي دون أن يطلب ذلك، ولكن، لم يكن من الممكن أن تكون الغرفة رقم ٢٣٨ هي الغرفة التي يُرى فيها الضحايا الثلاث على قيد الحياة بواسطة رافال بوباك، فقد كان هذا يتطلب نقل جثة أيدا جرانسبري من غرفتها، ٣١٧، التي قُتلت بها قبل بضع ساعات، عبر ممرات وردهات الفندق إلى غرفة ريتشارد نيجوس. كان هذا

الأمر ينطوي على مخاطرة كبيرة، فلا شك في أن يراهما شخص ما".

كانت أوجه الجمع الحائر المصدومة تحدق مشدوهة، وتساءلت عما إذا كان لوكا لازاري سيضطر للبحث عن طاقم جديد. لا شك في أني لا أنوي العودة إلى فندق بلوكسهام بمجرد أن تنتهي هذه القضية المشئومة، وأعتقد أن الكثير ممن في الغرفة قد شعروا بالمثل.

واصل بوارو تفسيره للأمر قائلاً: "تخيلوا، أيها السيدات والسادة، سخاء السيد ريتشارد نيجوس. يا له من رجل سخيّ، حيث أصر على تحمل تكاليف الطعام والشاي، كما تحمل تكاليف انتقال كل من أيدا وهارييت من المحطة إلى الفندق في سيارة مستقلة. لمَ لم تركبا القطار معًا وتتشاركا السيارة ذاتها إلى الفندق؟ ولمَ كان ريتشارد نيجوس حريصًا على أن تُرسل له فاتورة الطعام والشراب عندما كان يعلم أنه وهارييت سيبيل وأيدا جرانسبري على وشك الموت؟".

كان سؤالاً جيدًا للغاية، وكانت جميع النقاط التي يثيرها بوارو وثيقة الصلة بالموضوع، كما أنها عبارة عن نقاط كان يجب أن أفكر بها بنفسي، ولكني، بطريقة ما، فشلت في ملاحظة أن الكثير من جوانب قصة جيني هوبز لا تتفق مع حقائق القضية. كيف لم أتمكن من ملاحظة مثل هذه التناقضات الجلية؟".

قال بوارو: "لم يكن الرجل، الذي جسد شخصية ريتشارد نيجوس أمام رافال بوباك، ومرة أخرى أمام توماس بريجنل، يهتم بأية فاتورة، فقد كان يعلم أنه أو شركاءه لن يدفعوها، ولكنه خرج من الغرفة ليتخلص من الطعام. كيف تمكن من إخراجه؟ في حقيبة الملابس! كاتشبوول – أتذكر المتشرد الذي رأيته بالقرب من الفندق عندما كنا في جولة بالحافلة؟ المتشرد الذي يتناول الطعام من حقيبة الملابس؟ لقد وصفته حينها بأنه: المتشرد الذي حصل على الكريمة. أخبرني، هل رأيته يتناول الكريمة على وجه التحديد؟".

قلت: "يا إلهي، نعم، بالفعل. لقد كان يتناول... كعكة محشوة بالكريمة".

أومأ بوارو برأسه وقال: "من حقيبة الملابس التي عثر عليها ملقاة بجانب فندق بلوكسهام والتي كانت مليئة بوجبة شاي ما بعد الظهر التي تكفي ثلاثة

أشخاص. والآن، اختبار آخر لذاكرتك يا صديقي: هل تتذكر عندما أخبرتني، خلال زيارتي الأولى لفندق بلوكسهام، أن أيدا جرانسبري قد أحضرت معها كمًا من الملابس يكفي لملء دولاب ملابس كامل؟ ولكن لا توجد في غرفتها إلا حقيبة ملابس واحدة فقط – نفس عدد حقائب كل من ريتشارد نيجوس وهارييت سيبيل اللذين أحضرا كمًا أقل من الملابس. لقد طلبت منك، عصر اليوم، أن تحزم ملابس أيدا جرانسبري في حقيبتها، وماذا وجدت؟".

قلت وأنا أشعر بأني شديد الحماقة: "لم تكف لاحتواء ملابسها بالكامل". بدا وكأني محكوم عليَّ بأن أشعر بالحماقة فيما يتعلق بحقيبة ملابس أيدا جرانسبري، ولكن لسبب، في الوقت الحالي، يختلف عن السبب السابق.

قال بوارو: "كنت تلوم نفسك، إنك تحب أن تفعل ذلك دائمًا، ولكن في الحقيقة، كان من المستحيل أن تتمكن من حزم جميع الملابس داخل حقيبة واحدة لأنها أحضرت هذه الملابس إلى فندق بلوكسهام في حقيبتين. حتى هيركيول بوارو نفسه لم يكن ليتمكن من حزم جميع الملابس في حقيبة واحدة".

ثم قال لطاقم الفندق المجتمعين في صالة الطعام: "عندما كان عائدًا من مهمة التخلص من الحقيبة المليئة بالطعام، قابل ذلك الرجل الموظف المساعد في فندق بلوكسهام، توماس بريجنل، بالقرب من باب هذه الغرفة التي نجتمع فيها الآن. لم بدأ التحدث مع بريجنل عن الفاتورة؟ لسبب واحد فقط: *ليعطي انطباعًا لـ توماس بريجنل بأن ريتشارد نيجوس كان لا يزال حيًا في تمام السابعة والنصف*. عندما كان يلعب دور السيد نيجوس، قال أمرًا غير دقيق: قال إن نيجوس يمكنه تحمل تكاليف الإقامة بالفندق، بينما لا يمكن لأي من هارييت سيبيل أو أيدا جرانسبري ذلك. ولم يكن هذا صحيحًا، حيث يمكن لـ هنري نيجوس، شقيق ريتشارد، أن يؤكد أنه لم يكن لـ ريتشارد أي دخل ولم يتبق من الثروة التي ورثها من عائلته الكثير. ولكن، لم يكن الرجل الذي يجسد شخصية ريتشارد نيجوس يعلم ذلك، فقد افترض أنه بما أن ريتشارد نيجوس رجل نبيل، وكان يعمل محاميًا في وقت ما، فلابد من أنه ثري.

"عندمـا تحدث هنـري نيجوس معي وكاتشبـوول للمرة الأولـى، أخبرنا أنه بمجـرد انتقاله ليعيش في ديفون، ظل أخوه نكدًا وعابسًا. وكان منعزلاً فقد حب الحياة – هل هذا صحيح يا سيد نيجوس؟".

قال هنري نيجوس: "نعم، أخشى أن ذلك صحيح".

قال بوارو: "منعزلاً. سأطـرح عليك هذا السؤال. هل يبدو وكأنه شخص قد يتلذذ بتناول الكعك والعصير، وأن يثرثر بشكل مرح مع امرأتين في أحد فنادق لنـدن الفاخرة؟ لا. لـم يكن الرجل الذي أخذ الطعام مـن رافال بوباك، والذي طلب العصير من السيد بريجنل هو ريتشارد نيجوس الحقيقي. هذا الرجل الذي أطـرى على السيد بريجنل وقال أمرًا يشبه مـا يلي: "أعلم أنه يمكنني الاعتماد عليـك لأنـي أعلم أنـك موظف كـفء – ضع الطعـام والشراب علـى فاتورتي، ريتشارد نيجوس، غرفة ٢٣٨". تمت صياغة هذه الكلمات لجعل توماس بريجنل يصدق أن هذا الرجل، ريتشارد نيجوس، على علم بمدى كفاءته. *ولهذا السبب، لابـد أنهما قد التقيا من قبل*. ربما شعر السيد بريجنل ببعض الذنب، ربما لأنه لم يتمكن من تذكر تعامله الأول مع السيد نيجوس – ولا شك في أنه قد قرر ألا ينسـاه مرة أخرى، وسيتذكر من الآن فصاعدًا ذلك الرجل الذي التقاه مرتين، حيـث إنـه بطبيعة عمل السيد بريجنل في أحد فنـادق لندن الكبرى، لا شك في أنـه يلتقي الكثير من الناس طوال الوقـت، المئات كل يوم. وعادة ما يحدث، أنا علـى يقيـن من ذلك، أن يتذكر النـزلاء وجهه واسمه بينمـا ينسى هو وجوههم وأسماءهم – فرغم كل شيء، ما هم إلا نزلاء".

تقـدم لوكا لازاري للأمـام مسرعًا وقال: "معذرة يا سيد بوارو، معذرة. إنك محق إلى حدٍّ ما، إذا ما كنت تتحدث بشكل عام، ولكن في حالة توماس بريجنل، فعلـى النقيض، حيث إنه يمتلك ذاكـرة استثنائية فيما يتعلق بالوجوه والأسماء. استثنائية!".

ابتسم بوارو في تقدير وقال: "هل هذا صحيح؟ حسنًا، أنا محق إذن".

سألته: "بشأن ماذا؟".

قال بوارو: "اصبر واستمع لما سأقوله يا كاتشبوول، فأنا على وشك أن أقص تسلسل الأحداث. كان الرجل الذي جسد شخصية ريتشارد نيجوس متواجدًا في بهو الفندق عندما وصل ريتشارد نيجوس للفندق يوم الأربعاء، اليوم السابق لليوم الذي وقعت فيه جرائم القتل. ربما كان يرغب في استكشاف المنطقة استعدادًا للدور الذي سيلعبه لاحقًا. لقد رأى ريتشارد نيجوس عندما وصل للفندق على أية حال، ولكن، كيف علم أنه ريتشارد نيجوس؟ سأعود إلى تلك النقطة مرة أخرى. يكفي القول إنه عرف. لقد رأى توماس بريجنل يقوم بالأعمال الورقية المطلوبة ويسلم السيد نيجوس مفتاح غرفته. وفي مساء اليوم التالي، بعدما تظاهر بأنه ريتشارد نيجوس في أثناء استقباله لوجبة شاي ما بعد الظهر ثم خروجه للتخلص منها، كان هذا الرجل عائدًا إلى الغرفة رقم ٣١٧ ومر بـ توماس بريجنل. وكان الرجل سريع البديهة، ورأى فرصة ذهبية ستعزز من تشتيت الشرطة، لذا، اقترب من بريجنل وتحدث معه، ذلك المدعي، كما لو كان ريتشارد نيجوس، وذكره باسمه مشيرًا إلى اللقاء السابق بينهما.

"في الحقيقة، لم يقابل توماس بريجنل هذا الرجل من قبل، ولكنه يتذكر الاسم من المرة التي سلم فيها ريتشارد نيجوس مفتاح غرفته. والآن، وفجأة، يتحدث معه هذا الرجل بطريقة واثقة وودودة ويطلق على نفسه الاسم ذاته، لذا، افترض توماس بريجنل بأنه *ولابد أن يكون ريتشارد نيجوس*. إنه لم يتذكر وجهه، ولكنه ألقى باللوم على نفسه لأنه لم يفعل".

احمر وجه توماس بريجنل بشدة.

تابع بوارو حديثه قائلًا: "طلب الرجل الذي يجسد شخصية ريتشارد نيجوس كوبًا من العصير. لماذا؟ ليطيل من محادثته مع بريجنل قليلًا، هل ليطبع نفسه بشكل أكبر داخل ذاكرته؟ ليهدئ أعصابه من خلال تناول بعض الشراب المنعش؟ وربما لكلا السببين.

"والآن، إن سمحتم لي بانحراف بسيط عن الموضوع: عثرنا على سم السيانيد في بقايا العصير التي في الكوب، كما كانت في أقداح شاي كل من هارييت وأيدا، ولكن لم يكن العصير أو الشاي هو ما قتل الضحايا الثلاث،

لا يمكـن هذا، فقد وصلت هـذه المشروبات بعد فترة من مـوت الضحايا. كوب العصيـر وقدحـا الشاي اللتـي وجدت على الطـاولات الصغيـرة بجانب الجثث الثـلاث – كانـت ضرورية لإكمـال مشهد مسـرح كل جريمة، لإعطـاء انطباع خاطـئ بأن الجرائم قد وقعت بعد السابعة والربـع. في حقيقة الأمر، تناول كل مـن هاريت سيبيـل وأيدا جرانسبـري وريتشارد نيجوس سـم السيانيد، الذي قتلهم، في وقت سابق بوسائل أخرى. هناك كوب مياه بجوار الحوض في كل من غرف الفندق، أليس كذلك يا سيد لازاري؟".

قال لازاري: "بلى يا سيدي. بلى، هذا صحيح".

قال بوارو: "يمكنني أن أتوقع إذن كيف تناولوا السم: عن طريق الماء، ويمكن فـي كل حالـة غسل الكوب جيدًا ووضعـه بجوار الحوض. سيـد بريجنل"، ناداه بـوارو بشكل مفاجئ، ممـا جعل الموظف المساعد يسقط على مقعده كما لو أنه قد أصيب بطلق ناري: "أنت لا تحب التحدث أمام جمع كبير من الناس، ولكنك استجمعت شجاعتك وفعلت ذلك في المرة الأولى التي اجتمعنا فيها جميعًا هنا، حيـن أخبرتنا بلقائك مع السيـد نيجوس في ردهة الفندق، ولكنك لم تذكر *أمر العصير، رغم أني سألت عنه بالتحديد*. بعد ذلك، بحثت عني وأضفت تفصيلة أخرى لقصتك تتعلق بكوب العصير، وعندما سألتك عن سبب عدم ذكرك لهذا الأمـر منذ البداية، لم تجبني، ولم أفهم حينها سبب ذلك، ولكن صديقي هذا، كاتشبـوول – قال أمرًا ينطوي على الكثير مـن المنطق والتنوير. قال إنك رجل ذو ضميـر حـي *قد تخفي معلومـات مهمة تتعلق بالتحقيق فـي جريمة قتل فقط إن كنـت ستتعرض لإحراج شخصي كبير، وإن كنت واثقًـا من أنها لن تفيد في التحقيق*. لقد أصاب كبد الحقيقة فيما يتعلق بهذا التقييم، أليس كذلك؟".

أومأ بريجنل برأسه.

رفـع بوارو مـن صوته قليلاً، رغم أنـه كان عاليًا بدرجة كافيـة من البداية، قائـلاً: "اسمحـوا لـي بالتوضيح. عندما التقينـا هنا في هـذه الغرفة من قبل، سألـت، إن كان أي منكم قد أعطـى كوبًا من العصير للسيد نيجوس في غرفته، ولم يجبني أحد. لماذا لم يقل توماس بريجنل "أنا لم آخذه لغرفته بل أحضرته

لـه بينما كان ينتظر في الردهة"؟ سيخبركـم بوارو بالسبب! لقد فعل ذلك لأنه كانـت لديه بعض الشكوك في عقله، ولم يكن يرغب في المخاطرة بقول أمر قد لا يكون صحيحًا.

"كان السيد بريجنل هو عضو طاقم الفندق الوحيد الذي رأى أحد الضحايا الثـلاث أكثر من مرة – أو، لنتحر الدقـة، اقتيد *للاعتقاد* بأنه قد رأى ريتشارد نيجوس أكثر من مرة. كان يعلم بأنه أعطى كوبًا من العصير لرجل يدعو نفسه ريتشارد نيجوس والذي كان يتصرف كما لو كان قد قابله من قبل، *ولكن لم يكن هذا الرجل يشبه ريتشارد نيجوس الذي قابله توماس بريجنل من قبل*. أتذكرون أن السيـد لازاري قد أخبرنا بأن السيد بريجنل يمتلك ذاكرة ممتازة فيما يتعلق بالوجـوه والأسمـاء. كان هذا هو سبب عدم تحدثه عندمـا سألت عن العصير، فقد كانت أفكاره تشغله، حيث صاح صوت في عقله يقول: لابد وأنه الرجل ذاته، ولكنه لم يكن الرجل ذاته – كنت سأتذكره".

"بعـد بضع لحظات، قال السيـد بريجنل لنفسه: يا لي من أحمق! لا شك في أنه ريتشارد نيجوس لأنه قال إن هذا اسمه. ربما خذلتني ذاكرتي للمرة الأولى، كمـا أن الرجـل كان يتحـدث مثل السيد نيجوس، بلهجته التي تنـم عن تعليمه الراقي. كان مـن الصعب على توماس بريجنل الصادق أن يتخيل أنه يمكن لأي شخص كان أن ينتحل شخصية شخص آخر حتى يخدعه.

"بعدمـا قرر توماس بريجنل أن هـذا الشخص هو ريتشارد نيجوس، قرر أن يعود ليخبرني بلقائه بالسيد نيجوس في السابعة والنصف في ليلة وقوع الجرائم، ولكنه كان خجـلاً للغاية من ذكر العصير، لأنه كان سيبدو أحمق بسبب جلوسه صامتًا عندما سألت فـي وقت سابق عن المشروب. كنت سأسأله أمام الجميع: لماذا لم تخبرني بهذا الأمر من قبل؟ وكان سيجيبني السيد بريجنل قائلاً: لأني كنت منشغلاً بالتساؤل كيف يمكن للسيد نيجوس أن يمتلك وجهًا مختلفًا كل مرة ألتقيـه فيها. سيد بريجنل، هل يمكنك أن تؤكد أن ما أقوله صحيح؟ لا تقلق من أنك قد تبدو أحمق، فعلى العكس، لقد كان وجهًا آخر بالفعل، ورجلًا آخر".

قال بريجنل: "حمدًا لله. كل ما قلته صحيح تمامًا يا سيد بوارو".

قال بوارو في زهو: "حسنًا، لا تنسوا، أيها السيدات والسادة، أن الاسم ذاته لا يعنـي بالضرورة أن يكون الشخص ذاته. فعندما وصف لي السيد لازاري تلك المرأة التي حجزت غرفة في الفندق تحت اسم جيني هوبز، اعتقدت أنها ربما تكون المرأة ذاتها التي قابلتها في مقهى بليزانت. كانت تحمل الأوصاف ذاتها: الشعر الأشقر والقبعة البنية الداكنة والمعطف البني، ولكن عندما يكون هناك رجـلان تمكنا من رؤيـة امرأة تطابق هـذه الأوصاف لمرة واحـدة، لا يمكنهما الجزم بأنهما قد قابلا المرأة نفسها.

قـال بوارو: "قادني هذا إلـى المزيد من التفكير، فقد كنـت قد بدأت أشك بالفعل بـأن ريتشارد نيجوس الراحل الذي رأيت جثتـه وريتشارد نيجوس الحي الذي رآه كل من رافال بوباك وتوماس بريجنل في ليلة حدوث الجرائم شخصان مختلفـان. ثم تذكرت أن هناك مـن أخبرني بأن توماس بريجنل هو الذي حجز الغـرف لـ ريتشارد نيجوس، وإن كانت فرضيتي صحيحة، فسيكون هذا ريتشارد نيجوس آخر، ريتشارد نيجوس الحقيقي. ثم فهمت فجأة المأزق الذي تورط فيه توماسـ بريجنل. كيف سيقول علـى الملأ، إن هذا الرجل بدا وكأنه ذو وجهين؟ وسيظن الجميع أنه جُن".

قال صامويل كيد في سخرية: "يبدو أنك أنت من جُن يا سيد بوارو".

تجاهلـه بوارو تمامًا وواصل حديثه قائـلاً: "ربما لم يكن هذا المدعي يشبه ريتشـارد نيجوسـ في مظهره، ولكنـي لا أشك في أنه تمكن مـن محاكاة صوته تمامًا. إنه مقلد ممتاز للأصوات – ألست كذلك يا سيد كيد؟".

قال كيد: "لا تستمعوا لهذا الرجل! إنه كاذب!".

قال بوارو: "لا يا سيد كيد، إنك أنت الكاذب. لقد قلدت شخصيتي أكثر من مرة".

نهضـت فـي سبرينـج مـن مقعدها فـي مؤخرة القاعـة وقالـت: "عليكم أن تصدقـوا ما يقوله السيد بـوارو، إنه يقول الحقيقة، لقد سمعت بنفسي صامويل

كيد وهو يقلد لهجة السيد بوارو، وإن كنت مغمضة العينين، لم أكن لأفرق بينهما".

قال بوارو: "لم يكن صامويل كيد يكذب بصوته فقط، فخلال المرة الأولى التي التقينا فيها، قدم نفسه على أنه رجل ذو ذكاء أقل من المتوسط ومظهر قذر؛ فقد كانت هناك أزرار ناقصة من قميصه والذي كان مليئًا بالبقع، وكذلك اللحية غير الكاملة – كان قد حلق مساحة صغيرة للغاية من وجهه. سيد كيد، أخبر الجميع من فضلك، لماذا تكبدت كل هذا العناء لتبدو غير مهندم خلال لقائنا الأول".

حدق صامويل كيد أمامه في تصميم، وكانت عيناه مليئتين بالمقت.

قال بوارو: "حسنًا، إن لم تكن ترغب في الحديث، فسأشرح الأمر بنفسي. جرح السيد كيد وجنته بينما كان يهبط على الشجرة التي تقع خارج نافذة الغرفة ٢٣٨، غرفة ريتشارد نيجوس بالفندق. وكان جرح وجه رجل أنيق الملابس من شأنه أن يثير الكثير من الأسئلة، أليس كذلك؟ فالرجل الذي يعتني بملابسه لن يسمح للشفرة بأن تترك علامة على وجهه، ولم يكن السيد كيد يرغب في أن أفكر في الأمر بهذه الطريقة، فلم يكن يرغب في أن أتساءل عما إذا كان قد خرج من نافذة غرفة مفتوحة وتسلق الشجرة التي أمامها هابطًا، لذا فقد ابتكر مظهرًا غير مهندم. لقد رتب مظهره ليبدو كرجل مهمل لدرجة أنه قد يجرح نفسه في أثناء حلاقة ذقنه، ومن ثم، ولكي يتجنب إحداث المزيد من الجروح في وجهه، يتجول في كل مكان بلحية قد حلق نصفها وترك النصف الآخر. لا شك في أن مثل هذا الرجل الفوضوي سيحمل شفرة الحلاقة بإهمال ويجرح نفسه – كان هذا هو المفترض أن يعتقده بوارو، وقد فعل في البداية".

قلت: "مهلاً قليلاً يا بوارو، إن كنت تقول إن صامويل كيد قد خرج عبر نافذة غرفة ريتشارد نيجوس في الفندق ــــ".

قال بوارو مبتسمًا: "هل أقول إنه قد قتل السيد نيجوس؟ لا، إنه لم يفعل، بل ساعد على قتل ريتشارد نيجوس. أما من الذي ساعده... فأنا لم أخبركم باسمه بعد".

قلت بحدة: "لا، لم تفعل، ولم تخبرني من كان الأشخاص الثلاثة المجتمعون في الغرفة رقم ٣١٧ عندما أخذ رافال بوباك وجبة شاي ما بعد الظهر إليها، فقد قلت إن الضحايا الثلاث كانوا قد ماتوا بالفعل في ذلك الوقت ___".

قال بوارو: "كانوا قد ماتوا بالفعل، وكانت واحدة من الضحايا في الغرفة رقم ٣١٧ في تمام السابعة والربع وهي أيدا جرانسبري - التي كانت ميتة ولكنهم أجلسوها في مقعد لتبدو حية، طالما لم يتمكن أحد من رؤية وجهها، وكان الرجل الذي يلعب دور ريتشارد نيجوس هو صامويل كيد".

سألته بيأس: "نعم، لقد فهمت ذلك، ولكن من الشخص الثالث؟ من المرأة التي كانت تتظاهر بأنها هارييت سيبيل، والتي كانت تثرثر ببهجة شديدة؟ لا يمكن أن تكون جيني هوبز، فكما تقول، كان يجب أن تكون جيني في منتصف الطريق متوجهة إلى مقهى بليزانت".

قال بوارو: "نعم، المرأة التي كانت تثرثر ببهجة، سأخبرك من هي يا صديقي. هذه المرأة كانت نانسي دوكاين".

*

ملأت صيحات الدهشة أرجاء الغرفة.

قال لوكا لازاري: "لا يا سيد بوارو، إن السيدة دوكاين واحدة من أشهر المواهب الفنية في البلاد، كما أنها واحدة من أكثر نزلاء هذا الفندق ولاءً، لابد من أنك مخطئ".

قال بوارو: "لست مخطئًا يا صديقي".

نظرت نحو نانسي دوكاين، وكانت تجلس في هدوء ولم تنكر أيًّا مما قاله بوارو.

هل تآمرت الفنانة الشهيرة نانسي دوكاين مع صامويل كيد، خطيب جيني هوبز السابق؟ لم أشعر في حياتي بهذا القدر من الحيرة مثلما أشعر به الآن. ما الذي يعنيه كل هذا؟

قال بوارو: "ألم أخبرك يا كاتشبوول بأن السيدة دوكاين تضع الوشاح على وجهها *لأنها لا ترغب في أن يلحظ أحد وجودها*؟ ولكنك افترضت أني كنت أعني أنها لا ترغب في أن يلحظ وجودها أحد كرسامة لوحات شهيرة. لا، إنها لا ترغب في أن يلحظ رافال بوباك أنها هي هاربيت سيبيل التي رآها في الغرفة رقم ٣١٧ في الليلة التي وقعت فيها جرائم القتل. فمن وأزيلي الوشاح عن وجهك من فضلك يا سيدة دوكاين".

فعلت نانسي كما أمرها.

قال بوارو: "سيد بوباك. هل هذه هي السيدة التي رأيتها؟".

قال بوباك: "نعم يا سيد بوارو. إنها هي".

خيم الهدوء على المكان، ولكن كان هناك صوت واحد مسموع: صوت الشهيق وهو يحتبس داخل الصدور، الصوت الذي ملأ الغرفة الكبيرة.

قال بوارو: "ألم تلحظ أنها الرسامة الشهيرة نانسي دوكاين؟".

قال بوباك: "لا يا سيدي. أنا لا أعرف شيئًا عن الفنون، وكنت قد لمحتها لمرة واحدة فقط، ولم تكن تنظر نحوي حينها".

قال بوارو: "أنا واثق من هذا، إلا إن تصادف وكنت من محبي الفنون وتمكنت من التعرف عليها".

قال بوباك: "لقد تعرفت عليها بمجرد أن دخلت إلى هذه الغرفة اليوم، هي والسيد كيد، وحاولت أن أخبرك يا سيدي ولكنك لم تسمح لي بالكلام".

قال بوارو: "نعم، وكذلك فعل توماس بريجنل محاولاً أن يخبرني بأنه تعرف على صامويل كيد".

قال رافال بوباك، وقد بدا من صوته أنه لم يفق من صدمته بعد: "اثنان من الأشخاص الثلاثة الذين اعتقدت بأنهم قد قتلوا — رأيتهما حيين وسليمين ويدخلان الغرفة".

سألت بوارو: "ماذا عن حجة غياب نانسي دوكاين التي أخبرك بها كل من اللورد والليدي والاس؟".

قالت نانسي: "أخشى أنها ليست صحيحة. إنه خطئي. لا تلق عليهما باللوم من فضلك، حيث إنهما صديقان مقربان وكانا يحاولان مساعدتي، ولم يكن يعلم أي من سانت جون أو لويزا أني كنت في فندق بلوكسهام في ليلة حدوث جرائم القتل. أقسمت لهما بأني لم أكن هناك، وقد صدقاني، وكانا شخصين طيبين وشجاعين لم يرغبا في أن تُلفق لي تهمة جرائم القتل الثلاث التي لم أرتكبها. سيد بوارو، أعتقد بأنك قد فهمت كل شيء. لذا لابد وأنك تعلم أني لم أقتل أحدًا".

قال بوارو: "الكذب على الشرطة خلال تحقيق في جريمة قتل ليس شجاعة يا سيدتي، بل إنه أمر لا يُغتفر. منذ اللحظة التي غادرت فيها منزلكِ يا ليدي والاس، أدركت أنكِ كاذبة".

قال سانت جون والاس: "كيف تجرؤ على التحدث مع زوجتي بهذه الطريقة؟".

قال بوارو: "اعذرني إن كنت لا تحب سماع الحقيقة يا لورد والاس".

سألت زوجته قائلة: "كيف عرفت يا سيد بوارو؟".

قال بوارو: "لقد عينتِ خادمة جديدة: دوركاس، والتي أحضرتها معك اليوم، لأني طلبت منكِ ذلك، حيث إنها ستكون مفيدة لهذه القصة. لقد أخبرتني بأنكِ عينتِ دوركاس منذ بضعة أيام فقط، وقد رأيت بنفسي أنها حمقاء، فقد أحضرت لي قدحًا من القهوة وسكبت معظمه. لحسن الحظ لم ينسكب بالكامل وتمكنت من تناول القليل منه، *وأدركت على الفور أن قهوتها تماثل القهوة التي يقدمها مقهى بليزانت*، لا يمكن أن يخطئها المرء، فلا مثيل لها في أي مكان آخر".

قالت في سبرينج: "حقًّا!".

قال بوارو: "بالطبع يا آنسة، فقد كان تأثيرها قويًّا على عقلي: فقد ربطت على الفور بين العديد من الأمور مثل قطع اللغز التي تتفق معًا تمامًا. إن القهوة القوية مفيدة للعقل للغاية"، قال بوارو هذه الكلمات ناظرًا إلى في التي زمت شفتيها في عدم رضا.

قال بوارو: "إنها ليست خادمة ماهرة – اعذريني يا آنسة دوركاس، أنا واثق من أنك ستتحسنين بمرور الوقت – إنها جديدة! وضعت هذه الحقيقة إلى جانب القهوة من مقهى بليزانت، وطرأت عليّ فكرة: ماذا لو كانت جيني هوبز خادمة لويزا والاس قبل دوركاس؟ علمت من النادلات في مقهى بليزانت أن جيني اعتادت الذهاب إلى هناك من أجل إحضار بعض الأشياء لمخدومتها، والتي كانت امرأة من الطبقة الراقية، وكانت جيني تطلق عليها لفظ: سيادتها. وكان من المثير، أليس كذلك، لو كانت جيني، حتى بضعة أيام مضت، تعمل لدى المرأة التي قدمت لنا حجة غياب نانسي دوكاين؟ مصادفة غريبة للغاية – *أو ربما ليست مصادفة على الإطلاق*. في البداية، اتخذت أفكاري عن هذا الأمر مسارًا خاطئًا، فقد فكرت: إن نانسي دوكاين ولويزا والاس صديقتان تآمرتا على قتل جيني المسكينة".

قالت لويزا والاس بسخط: "يا لها من فكرة!".

وافقها زوجها سانت جون قائلاً: "كذبة صادمة".

قال بوارو: "ليست كذبة على الإطلاق، بل خطأ، فكما نرى، جيني لا تزال على قيد الحياة، ولكني لم أخطئ بشأن اعتقادي بأنها كانت خادمة في منزل سانت جون والاس وزوجته لويزا، والتي حلت محلها مؤخرًا الآنسة دوركاس، بعدما تحدثت معي في مقهى بليزانت في ليلة الحادث، كان عليها مغادرة منزل آل والاس، وبسرعة، فقد كانت تعلم أنني سرعان ما سأصل إلى منزلهم لأسأل عن تأكيد على حجة غياب نانسي دوكاين، وإن كنت قد وجدتها هناك تعمل خادمة لدى المرأة التي تؤكد حجة الغياب، كنت سأرتاب في الأمر على الفور. أخبرني يا كاتشبوول – أخبرنا جميعًا – ما الذي كنت سأرتاب بشأنه؟".

أخذت نفسًا عميقًا ودعوت الله ألا أكون مخطئًا، وقلت: "كنت سترتاب في أن جيني هوبز ونانسي دوكاين قد تعاونتا معًا من أجل خداعنا".

ابتسم لي بوارو وقال: "صحيح تمامًا يا صديقي". ثم بدأ يخاطب الحضور قائلاً: "قبل وقت قصير من تذوق القهوة وربطها بمقهى بليزانت، كنت أنظر إلى

لوحة رسمها سانت جون والاس والتي كانت عبارة عن هديته لزوجته في الذكرى السنوية لزواجهما، وكانت لوحة لنبات لبلاب أزرق اللون، وكانت تحمل تاريخًا - الرابع من أغسطس من العام الماضي - وكانت الليدي والاس قد علقت على هذا التاريخ. حينئذ، لاحظ بوارو أمرًا ما: لم تكن لوحة نانسي دوكاين، التي رآها قبل ذلك ببضع دقائق، تحمل *أي تاريخ*. وأنا، كمتذوق للفنون، كنت قد حضرت عددًا لا يُحصى من افتتاحات المعارض الفنية في لندن. وقد رأيت أعمال السيدة دوكاين في الكثير من المعارض، ولطالما كانت لوحاتها تحمل، في الركن السفلي الأيمن، التاريخ وتوقيعها بالأحرف الأولى من اسمها".

قالت نانسي: "إنك تهتم بالتفاصيل أكثر من أي شخص آخر يحضر المعارض".

قال بوارو: "إن هيركيول بوارو يهتم دائمًا بالتفاصيل - بكل شيء. أعتقد يا سيدتي بأن اللوحة التي رسمتها لـ لويزا والاس كانت مؤرخة، حتى أخفيت التاريخ بالألوان. لماذا؟ لأنه لم يكن تاريخًا حديثًا. لقد كنتِ ترغبين في أن أعتقد بأنكِ قد أخذت اللوحة إلى الليدي والاس في ليلة وقوع جرائم القتل، وأنها لوحة حديثة. سألت نفسي، لمَ لم ترسمي تاريخًا جديدًا زائفًا، وكانت الإجابة واضحة: إن عاشت أعمالك لمئات السنين، وإن بدأ المؤرخون الفنيون في الاهتمام بها، كما سيفعلون دون أدنى شك، فإنكِ لا ترغبين في تضليلهم لأنهم أناس يهتمون بأعمالكِ، ولكن الأشخاص الوحيدين الذين ترغبين في تضليلهم هم هيركيول بوارو والشرطة".

أمالت نانسي دوكاين رأسها على أحد الجانبين وقالت بصوت رزين: "كم أنت ذكي يا سيد بوارو، لقد فهمت كل ما جرى، أليس كذلك؟".

قال بوارو: "نعم يا سيدتي، لقد أدركت أنكِ قد عثرتِ على وظيفة من أجل جيني هوبز في منزل صديقتها لويزا والاس - لمساعدة جيني، عندما حضرت إلى لندن وكانت بحاجة للعمل. أدركت أن جيني لم تكن أبدًا جزءًا من خطة لتلفيق جرائم القتل لكِ، رغم أنها جعلت ريتشارد نيجوس يعتقد العكس. في الواقع، أيها السيدات والسادة، *جيني هوبز ونانسي دوكاين كانتا صديقتين*

وحليفتيـن منذ كانتا تعيشـان في قرية جريـت هولينج. المرأتـان اللتان أحبتا باتريـك أيف حبًا غيـر مشروط وبشـكل يتخطى المنطق هما مـن أعدتا خطة بارعـة إلى درجة أنها كادت تخدعني، أنا هيركيول بوارو – ولكنها ليست بارعة بالدرجة الكافية".

بكت جيني قائلة: "أكاذيب، كل ما يقوله أكاذيب".

ولم تقل نانسي شيئًا.

قال بوارو: "دعوني أعد مرة أخرى إلى الوقت عندما كنت في منزل آل والاس، تفحصـت اللوحة التي رسمتها نانسي دوكاين لليدي والاس بتمعن شديد ولفترة طويلة، ووجدت مجموعة مكونة من زهرية وقدر أزرقين، وعندما ذرعت الغرفة جيئـة وذهابًا ونظرت لها من زوايا مختلفة، ظلـت الزهرية والقدر على لونهما، لون لطيف وغير مثير للاهتمام، وكانت جميع الألوان الأخرى لهذه اللوحة تتغير كلما تحركـت في الغرفة، طبقًا لزاوية سقوط الضـوء عليها. إن نانسي دوكاين فنانـة دقيقـة، وهي عبقرية في التعامل مع الألوان – عدا عندما تكون في عجلة من أمرها ولا تفكر في الفن، بل تفكر في حماية نفسها وصديقتها جيني هوبز. لإخفـاء المعلومـات، دهنـت نانسي وبسرعـة مجموعة الزهرية والقـدر باللون الأزرق والتي لم تكن كذلك في الحقيقة. لم فعلت ذلك؟".

قلت: "لتخفي التاريخ؟".

قـال بوارو: "لا، لقـد كانت الزهرية والقدر في النصـف العلوي من اللوحة، ولطالمـا كانـت نانسـي دوكايـن تضع التاريـخ في الركـن الأيمـن السفلي من اللوحـة. ليدي والاسـ، إنكِ لم تتوقعي أن أطلب منـكِ أن أتجول في منزلكِ من قمتـه لقاعدته، فقد اعتقـدت أنه بمجرد أن نتحـدث وأرى اللوحة التي رسمتها لـك نانسي دوكاين، سأشعـر بالرضا وأغادر، ولكني كنـت أرغب في معرفة ما إذا كنـت سأعثر على الزهرية والقدر اللذين رأيتهما في اللوحة، واللذين رُسما بمهارة تقل عن المهارة التي رُسمت بها بقية أجزاء اللوحة. ولقد عثرت عليهما، بـدت الليدي والاس متحيـرة لأنهما كانا مفقودين، ولكن لـم تكن حيرتها سوى تظاهـر. كان في إحدى غـرف نوم الطابق العلوي زهرية وقـدر أبيضا اللون مع

رسم شارة عليهما، واعتقدت بأنهما الزهرية والقدر الظاهران في اللوحة – ولكنهما لم يكونا أزرقي اللون. آنسة دوركاس، لقد أخبرتني الليدي والاس بأنكِ إما كسرتهما أو سرقتهما".

قالت دوركاس المصدومة: "لم أفعل هذا أبدًا. أنا لم أر زهرية وقدرًا أزرقين في المنزل مطلقًا".

قال بوارو: "لأنه، يا أيتها الشابة، لم يكن هناك أي زهرية أو قدرًا أزرقين في المنزل على الإطلاق. سألت نفسي، لم دهنت نانسي دوكاين الزهرية والقدر الأبيضين باللون الأزرق وبشكل متسرع؟ ما الذي كانت تأمل في إخفائه؟ واستنتجت بأنها كانت ترغب في إخفاء الشارة، فالشارات ليست من أجل الزخرفة فقط، بل هي تستخدم لترمز إلى الأسر، وأحيانًا إلى كليات الجامعات الشهيرة".

قلت قبل أن أتمكن من إيقاف نفسي: "كلية الدين بجامعة كامبريدج"، فقد تذكرت أنه قبل أن نغادر لندن أنا وبوارو مباشرة إلى جريت هولبنج، كان ستانلي بيير قد أشار إلى شارة ما.

قال بوارو: "هذا صحيح يا كاتشبوول. بعدما غادرت منزل آل والاس، رسمت صورة للشارة حتى لا أنساها. أنا لست رسامًا، ولكني كنت دقيقًا في رسمي بالدرجة الكافية، وطلبت من الشرطي بيير أن يبحث عن المكان الذي تنتمي له هذه الشارة، وكما سمعتم جميعًا ما قاله صديقي كاتشبوول، أن الشارة التي تظهر على الزهرية والقدر الأبيضين تعود إلى كلية الدين بجامعة كامبريدج، حيث كانت جيني هوبز تعمل خادمة لدى المبجل باتريك أيف. ألم تكن مكافأة نهاية الخدمة التي حصلتِ عليها عندما غادرتِ كلية الدين بجامعة كامبريدج وذهبت إلى جريت هولينج مع باتريك وفرانسيس، أليس كذلك يا آنسة هوبز؟ وعندما انتقلتِ للعيش في منزل اللورد والليدي والاس، أخذتهما معكِ، وعندما غادرتِ المنزل في عجلة من أمركِ وذهبتِ للاختباء في منزل السيد كيد، لم تأخذي الزهرية ولا القدر معكِ – لم تكوني في الحالة الذهنية التي تسمح بالتفكير في مثل هذه الأشياء. أعتقد بأن لويزا والاس قد نقلت الزهرية والقدر

مـن غرفة الخدم التي كنتِ تقيميـن فيها إلى غرفة الضيوف، حتى تبهر من قد ترغب في إبهارهم".

لم تجب جيني، وكان وجهها لا يحمل أية تعبيرات.

قال بوارو: "لم تكن نانسي دوكاين ترغب في الإقدام على أية مخاطرة، فقد كانـت تعلم أنـي وكاتشبوول، بعد جرائم القتل التي وقعـت في الفندق، سنطرح الأسئلة في قريـة جريت هولينج. ماذا لو أخبرنا والتر ستوكلي العجوز السكير، والذي كان الرئيس السابق لكلية الدين، بأنه قد أهدى جيني هوبز زهرية وقدرًا يحمـلان شارة كمكافأة نهاية خدمتهـا؟ وإن كنا قد رأينا الشارة في لوحة لويزا والاس، كنـا سنكتشف صلتها بـ جيني هوبـز، وبالتالي، نكتشـف العلاقة بين نانسـي دوكاين وجيني هوبز، والتي ليست علاقة عداوة وخصومة، كما أخبرتنا السيدتـان، بل علاقة صداقة وتعاون. لم تكـن السيدة دوكاين لتخاطر بأننا قد نصل إلى هذه الشكوك بسبب الشارة الظاهرة في اللوحة، لذا دهنت الزهرية والقدر الأبيضين باللون الأزرق – وبتسرع مع القليل من الفن".

قالـت نانسي: "لا يجـب أن تكون جميع أعمال المرء مثاليـة يا سيد بوارو". وقـد أذهلني أن أسمع مـدى عقلانيتها – أن أرى شخصًـا تآمر على قتل ثلاثة أشخاص يتحدث بمثل هذا التهذيب وهذه اللباقة.

قال بوارو: "ربما قد تتفق مع السيدة دوكاين أيها اللورد والاس، أليس كذلك؟ إنـك أيضًـا رسام، رغـم أنك ترسم نوعًـا مختلفًا من اللوحـات. أيها السيدات والسـادة، سانت جون والاس يهـوى رسم النباتات، وقد رأيت أعماله معلقة على جميع حوائط منزله عندما زرته – كانت الليدي لويزا كريمة لدرجة أنها أخذتني في جولة حول المنزل، كما كانت كريمة لدرجة أن تؤكد لنا حجة الغياب الزائفة لـ نانسـي دوكاين. إن الليـدي لويزا، كما تـرون، امرأة طيبة. إنهـا على أخطر أنـواع الطيبـة: حين لا يمكنها أن تـرى الشر حتى وإن كان متمثـلًا أمامها! لقد آمنت الليدي والاس ببراءة نانسي دوكاين وأمدتنا بحجة غياب كاذبة لتحميها. آه، نانسـي الرائعـة الموهوبة، إنها مقنعة للغاية! لقـد أقنعت اللورد سانت جون والاس بأنها كانت تتوق لتجربة نوع الرسم الذي يمارسه، وحيث إن اللورد والاس

علـى صلة بعلية القوم وإنـه ذائع الصيت، فمن السهـل أن يحصل بسهولة على النباتـات التي يحتـاج إليها من أجل أعماله الفنية، وطلبـت منه نانسي دوكاين بعض النباتات الاستوائية – التي يُصنع منها سم السيانيد".

سأل سانت جون والاس قائلاً: "كيف علمت هذا بحق الله؟".

قال بوارو: "تخمين موفق يا سيدي، لقد أخبرتك نانسي دوكاين بأنها ترغب فـي هـذه النباتات من أجل أعمالهـا الفنية، أليس كذلـك؟ وصدقتها". ثم قال بـوارو لجمـع الأشخاص المشدوهيـن المجتمعين في قاعة الطعـام: "الحقيقة هـي أنـه لن يصدق اللورد أو الليـدي والاس بأن أحـد أصدقائهما المقربين قد يقتـل، فقد ينعكس هذا عليهما بالسوء، مظهرهمـا الاجتماعي – تخيلوا الأمر! حتـى الآن، بعدما اتفق ما أقوله تمامًا مع ما يعلمون أنها الحقيقة، يخبر كل من سانت جون ولويزا والاس نفسيهما بأنني مخطئ، ذلك المحقق المتعنت القادم من قارة أوروبا. وهنا يتمثـل انحراف العقل البشري، خاصة حينما يتعلق الأمر بالأفكار الثابتة!".

قالت نانسي دوكاين: "سيد بوارو، أنا لم أقتل أي أحد، وأعلم أنك تعرف أني أقول الحقيقة. وضح من فضلك لجميع المتواجدين في الغرفة أني لست قاتلة".

قـال بوارو: "لا يمكننـي أن أفعل ذلك يا سيدتي، اعذرينـي. صحيح أنكِ لم تضعي السم بنفسكِ ولكنكِ تآمرتِ على قتل ثلاثة أشخاص".

قالـت نانسي بشكل جدي: "نعم، ولكن من أجل إنقاذ أرواح أخرى. أنا لست مذنبـة. هيا يا جينـي، دعينا نقص عليه قصتنا – القصـة الحقيقية، وبمجرد أن يسمعهـا، لن يسعه إلا أن يعتـرف بأننا قد فعلنا هذا من أجل أن ننقذ حياتنا نحن".

خيـم الصمت على الغرفة، فقد جلس الجميـع صامتين، ولم أظن أن جيني ستتحـرك، ولكنهـا نهضت ببطء فـي النهاية، وكانـت متشبثـة بحقيبتها أمام صدرهـا بكلتا يديها، وسارت عبر الغرفة متوجهة نحـو نانسي وقالت: "لم تكن حياتنا تستحق الإنقاذ".

صاح سام كيد: "جيني"، ونهض هو أيضًا فجأة وتوجه نحوها. بينما كنت أراقبه، شعرت بشعور غريب بأن الوقت قد أصبح أبطأ. لماذا يعدو سام كيد؟ ما الخطر الذي يراه؟ لابد أنه اعتقد أن هناك خطرًا ما، وبدأ قلبي يدق بعنف رغم أني لم أر سببًا لذلك. هناك أمر فظيع على وشك الحدوث، وبدأت أعدو نحو جيني أنا أيضًا.

فتحت جيني حقيبتها وقالت لـ نانسي: "أنتِ ترغبين في أن تلتقي بـ باتريك مرة أخرى إذن، أليس كذلك؟". ميزت أن الصوت صوتها، ولكنه لم يكن صوتها في الوقت ذاته، بل كان صوت ظلام مستمر تحول إلى كلمات. أرجو ألا أسمع صوتًا مثل هذا مرة أخرى ما حييت.

بدأ بوارو يتحرك أيضًا، ولكننا كنا بعيدين للغاية. ناديت عليه قائلاً: "بوارو"، ثم قلت: "فليوقفها أحدكم". رأيت لمعة معدن تحت الأضواء، ونهض الرجلان اللذان كانا يجلسان على الطاولة المجاورة لـ نانسي، ولكنهما لم يتحركا بالسرعة الكافية، وصحت قائلاً: "لا". كانت هناك حركة سريعة — من يد جيني — ثم دماء، تدفق كم كبير منها، أغرقت ثوب نانسي والأرضية، ثم سقطت نانسي على الأرض، وبدأت امرأة في مؤخرة الغرفة بالصراخ.

توقف بوارو عن الحركة، توقف تمامًا، وقال: "يا إلهي"، ثم أغمض عينيه.

وصل صامويل كيد إلى نانسي قبل أن أصل أنا إليها وقال محدقًا في جثتها المسجاة على الأرض: "لقد ماتت".

قالت جيني: "نعم، لقد ماتت. لقد طعنتها في قلبها، في قلبها مباشرة".

الفصل ٢٥

إذا بدأت كلمة قتل بحرف الهاء

أدركت في هذا اليوم أني لا أخاف من الموت، حيث إنه حالة لا تحتوي على أية طاقة ولا تنتج عنه أية قوة. إني أرى جثث الموتى كثيرًا بسبب عملي، ولكنها لم تزعجني أبدًا من قبل. لا، أكثر أمر يزعجني هو قرب *الأحياء من الموت*: صوت جيني هوبز عندما استحوذت عليها الرغبة في القتل، الحالة العقلية للقاتل الذي، بكل برود أعصاب، يضع ثلاثة أزرار أكمام تحمل أحرفًا مزخرفة داخل أفواه الضحايا وأن يسجي أجسادهم: تقويم أعضائهم وأصابعهم، وأن يوجه أكف أيديهم الخالية من الحياة نحو الأرض.

"أمسك بيده يا إدوارد".

كيف قد يمسك الأحياء بأيدي من يموتون ولا يخشون أن يجذبهم الموت هم أيضًا؟

إن كان الأمر بيدي، لم أكن لأجعل أي شخص، بينما يكون حيًا ومعافى، يتعامل مع الموت بأي حال من الأحوال، وقد تقبلت أن هذا الأمل غير واقعي.

لم أكن أرغب في أن أظل بالقرب من جيني هوبز بعدما طعنت نانسي، ولم أكن أرغب حتى في معرفة سبب قيامها بذلك، كل ما كنت أرغب فيه هو الذهاب للمنزل، وأن أجلس بجوار نيران واحدة من مدافئ بلانش أنسوورث المستعرة، وأعمل على إكمال لغز الكلمات المتقاطعة الذي بدأته وأنسى كل شيء عن قضية جرائم قتل فندق بلوكسهام أو جرائم الأحرف المزخرفة أو أيًا كان اسمها.

كان بوارو يتمتع بقدر من الفضول يكفينا جميعًا، وربما كان فضوله أقوى من فضولي، لذا، أصر علـى بقائي، حيث قال إنها قضيتـي – وكان عليَّ أن أكملها للنهايـة، وأشـار بيده بعلامة تدل على التغليـف الدقيق، كما لـو كانت القضية عبارة عن حزمة.

وبعد عدة ساعات، كنت وإياه جالسين في غرفة صغيرة مربعة في مقر شرطة سكوتلانـد يارد، وكانت جينـي هوبز تجلس على الجانـب المقابل من الطاولة، وألقـي القبض علـى صامويل كيد أيضًا، وكان يستجوبـه الشرطي ستانلي بير. كنت على استعداد للتخلي عن أي شيء مقابل استجواب كيد، والذي كان محتالاً وشخصًا سيئًا دون شك، ولكن كان لا يزال هناك بعض الأمل في إصلاحه.

مـع ذكر الأصوات، أدهشتني رقة صوت بـوارو وهو يقول: "لماذا فعلتِ ذلك يـا آنسة؟ لماذا قتلتِ نانسي دوكاين، رغم أنكما كنتما صديقتين وحليفتين منذ وقت طويل؟".

قالـت جيني هوبز: "كان باتريك ونانسـي عاشقين بكل ما تحمله الكلمة من معـان، ولم أكن أعلم هذا الأمر حتـى سمعتها تقوله اليوم. لطالما اعتقدت أننا كنـا متماثلتين؛ أحبت كل منا باتريك، ولكننا كنا نعرف أن هذا الحب لن يشفع لنـا لنكون معه – *لم يشفع لنا لنكون معـه*. لقد اعتقدت طوال تلك السنوات أن حبهما كان عفيفًا، ولكن هذه كانت كذبة. إن كانت نانسي تحب باتريك حقًا، لم تكن لتجره إلى الرذيلة وتلوث أخلاقياته بهذه الطريقة".

مسحـت جيني دموعهـا وقالت: "أعتقد بأنـي قد أسديت لهـا معروفًا، فقد سمعتها تعبر عن رغبتها في أن يلتم شملها مع باتريك مرة أخرى، وقد ساعدتها على ذلك، أليس كذلك؟".

قـال بوارو: "كاتشبوول، هل تذكر مـا قلته لك في الغرفة رقم ٤٠٢ في فندق بلوكسهـام بعدما عثرنا على الدماء، عندما قلت إنـه قد فات أوان إنقاذ الآنسة جيني؟".

قلت: "نعم".

قال بوارو: "لقد اعتقدت حينها أنني أعني أنها ماتت، ولكنك لم تفهمني بالشكل الصحيح. أترى، حتى في ذلك الحين كنت أعلم أنه لا يمكن مساعدة جيني، فقد كنت أخشى أنها قامت بأمور رهيبة جعلت من موتها أمرًا مؤكدًا. كان هذا ما كنت أعنيه".

قالت جيني بنبرة صوتها تلك التي تمتلئ باليأس: "لقد مت منذ مات باتريك على أية حال".

كنت أعلم أن هناك طريقة واحدة فقط للخروج من هذا المأزق، وهي أن أصب كامل تركيزي على الأسئلة المنطقية. هل حل بوارو اللغز؟ يبدو أنه يعتقد هذا، ولكني لم أتوصل لشيء حتى الآن. فعلى سبيل المثال، من قتل هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري وريتشارد نيجوس، ولماذا؟ وطلبت إجابة هذه الأسئلة من بوارو.

ابتسم بوارو ابتسامة جذلة، كما لو كنت قد ذكرته بدعابة تشاركناها ذات يوم. قال: "آه، يمكنني أن أرى حيرتك يا صديقي. لقد استمعت لخطاب بوارو كاملاً، وقبل بضع دقائق من نهايته، قطعته جريمة قتل أخرى، ولم تتمكن من سماع الإجابات التي كنت تنتظرها، يا له من أمر مثير للشفقة".

قلت له، محاولاً الضغط عليه قدر الإمكان: "من فضلك، أخبرني على الفور، ودع الشفقة تنته هنا".

قال بوارو: "الأمر بالغ البساطة، لقد تآمرت كل من جيني هوبز مع نانسي دوكاين، وبمساعدة من صامويل كيد، على قتل كل من هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري وريتشارد نيجوس. وبينما كانت جيني تتعاون مع نانسي، *كانت تتظاهر بأنها جزء من مؤامرة مختلفة تمامًا*. وقد أوهمت ريتشارد نيجوس *بأنه الشخص صاحب المؤامرة*".

قلت: "إن هذا الأمر ليس بهذه البساطة بالنسبة لي، بل يبدو معقدًا للغاية".

قال بوارو: "لا، لا، في الحقيقة يا صديقي، إنه ليس معقدًا على الإطلاق. إنك تواجه صعوبة في التوفيق بين النسخ المتعددة للقصة التي سمعتها، ولكن عليك أن تنسى كل ما قالته لنا جيني بينما كنا نزورها في منزل صامويل كيد

– احذفه من عقلك تمامًا، فقد كان مجرد كذبة من بدايته لنهايته، ولكني واثق من أنـه يحتوي على بعض الصدق، لطالما كانت حتـى أفضل الأكاذيب كذلك، ستخبرنا جيني بالقصة الكاملة خلال لحظات، فلم يعد لديها ما تخسره، ولكن أولاً، يا صديقي، عليَّ أن أطري عليك الإطراء الذي تستحق، فقد كنت أنت، في النهايـة، من ساعدني علـى حل اللغز عبر ما قلته لي في مقبرة دار عبادة هولي ساينتس".

ثـم التفت بـوارو إلى جيني وقـال: "الكذبة التي قلتها لـ هاربيـت سيبيل: أن باتريـك أيـف كان يأخذ المـال من أهل القريـة مقابل إيصـال رسائل لهم من أحبائهـم الراحلين، وأن نانسـي دوكاين كانت تزوره في الليـل لهذا الغرض – علـى أمل أن تتمكن مـن التواصل مع زوجها الراحل ويليـام. كم مرة سمع فيها بـوارو هذه الكذبـة الشريرة المريعة؟ الكثير، الكثير مـن المرات. لقد اعترفتِ بنفسـكِ يا آنسـة هوبز أنكِ قد خرجـتِ بهذه الكذبة في لحظـة ضعف ألهمتها الغيرة، ولكن، هذه ليست الحقيقة".

"بينمـا كنـت أقف بجوار قبـر باتريـك وفرانسيس أيف الراحليـن، قال لي كاتشبـوول" مـاذا لو كانت جيني هوبز قد حاكت تلـك الكذبة حول باتريك أيف ليس مـن أجل إيذائه، بل من أجل مساعدته؟" لقـد أدرك كاتشبوول معنى أمر مـا أخذته على أنه أمر مسلم بـه – الحقيقة الجلية التي لم أتمكن من فحصها بدقـة: حب *هاربيـت سيبيل الجنونـي لزوجها الراحل جورج، والـذي مات ميتة مأساويـة في سن صغيرة*. ألم يخبر أحد بـوارو بمدى حب هاربيت لـ جورج؟ أو كيـف غير موت جورج شخصيـة هاربيت من امرأة ودودة إلى وحش حقود مليء بالمـرارة؟ لا يمكن لأحد أن يتصور أن يكون فقـدان شخص ما على هذا القدر مـن القوة والتأثيـر المدمر لدرجة أنه يخمد جميع مظاهـر البهجة في شخص مـا ويدمر كل الخير في داخله. نعـم، لا شك في أني أعلم أن هاربيت سيبيل قد عانـت مـن مثل تلك الخسارة، كمـا أني متيقن من أني لـم أولِ الأمر الكثير من التفكير والاهتمام.

"كنت أعلم أيضًا أن جيني هوبز أحبت باتريك أيف بشدة لدرجة أنها هجرت خطيبها صامويل كيد حتى تظل في خدمة المبجل أيف وزوجته. إنه حب مضحٍّ للغاية: الرضا بالخدمة والحصول على القليل في المقابل، ولكن القصة التي سمعناها من قبل جيني ونانسي تقول إن غيرة جيني هي التي دفعتها لقول هذه الكذبة المريعة – الغيرة من حب باتريك لـ نانسي، ولكن هذا لا يمكن أن يكون صحيحًا! إنه لا يتفق مع الحقائق الأخرى! لا يجب علينا أن نفكر في الحقائق المادية فحسب، بل في الحقائق النفسية أيضًا. لم تفعل جيني أي شيء لتعاقب باتريك على زواجه من فرانسيس، وتقبلت عن طيب خاطر أن يكون ملكًا لامرأة أخرى، وواصلت عملها كخادمة وفية له وكانت خير المعين له ولزوجته في مكان إقامتهما الجديد، وكانا بدورهما يقدرانها كثيرًا. لماذا بعد كل هذه السنوات، وبشكل مفاجئ، من الحب المليء بالتضحية والخدمة، يشعل حب باتريك لـ نانسي الحقد في قلب جيني، ويجعلها تبدأ في سلسلة من الأفعال التي من شأنها تدميره؟ وكانت الإجابة هي أنها لم تكن لتدمره، ولم تفعل.

"لم يكن انفجار الحقد والرغبة اللذين كانا مكبوتين لوقت طويل داخل جيني هو ما دفعها لتحيك كذبتها، بل كان هذا بسبب أمر مختلف تمامًا. لقد كنتِ تحاولين مساعدة الرجل الذي أحببته، أليس كذلك يا آنسة هوبز؟، بل ربما لتحميه، وبمجرد أن سمعت نظرية صديقي العبقري كاتشبوول، كنت أعلم أنها الحقيقة. لقد كانت حقيقة غاية في الوضوح، ولكن بوارو كان أحمق لأنه لم يرها".

نظرت لي جيني، ثم سألته: "أية نظرية؟".

فتحت فمي لأجيب، ولكن كان بوارو أسرع مني حيث قال: "عندما أخبرتكِ هارييت سيبيل بأنها رأت نانسي دوكاين تزور منزل رجل الدين في وقت متأخر من الليل، وتنبهتِ للخطر على الفور. كنتِ على علم بهذه اللقاءات – وكيف ستعجزين عن هذا بينما كنتِ تعيشين في منزله –وكنتِ ترغبين بشدة في حماية سمعة باتريك أيف الجيدة. كيف ستحققين هذا؟ فـ هارييت سيبيل، والتي كانت، بمجرد أن تشتم رائحة فضيحة، ستنتهز الفرصة لتجلب الخزي على المخطئ أمام العامة. كيف كنتِ ستفسرين وجود نانسي دوكاين في منزل

باتريك أيف في الليالي التي تكون فيها زوجته غائبة عن المنزل، إلا من خلال الكشف عن حقيقة الأمر؟ أية قصة أخرى من شأنها أن تقنع الحشد؟ وبعد هذا، وبشكل سحري، عندما كنتِ على وشك فقد الأمل، خطر على بالكِ أمر ما قد ينجح، فقررت أن تستخدمي الإغراء والأمل الزائف لمحو التهديد المتمثل في هارييت سيبيل".

حدقت جيني أمامها دون أن تظهر على وجهها أية تعبيرات، ولم تنبس ببنت شفة.

واصل بوارو حديثه قائلًا: "كان هناك أمر مشترك بين هارييت سيبيل ونانسي دوكاين، فقد فقدت كلتاهما زوجها في سن مبكرة، لذا، أخبرتِ هارييت أنه بمساعدة باتريك أيف، تمكنت نانسي من التواصل مع ويليام دوكاين الراحل – وأن المال يغير النفوس. لا شك في أن هذا الأمر يجب الحفاظ عليه سرًّا أمام المسئولين وجميع سكان القرية، ولكنكِ أخبرتِ هارييت بأن باتريك، إن رغبت في ذلك، قد يفعل لها ما يفعله من أجل نانسي، وسيمكنها وجورج... وإن لم يجتمعا معًا مرة أخرى، أن يكون بينهما اتصال من نوع ما. أخبريني، ماذا كان رد هارييت عندما قلتِ هذا الأمر لها؟".

تبع سؤاله صمت طويل، ثم قالت جيني أخيرًا: "لقد تحدثت كثيرًا عن أن هذا الأمر يجب أن يحدث في أسرع وقت ممكن، وقالت إنها مستعدة لدفع كل نفيس وغال لتتمكن من التحدث مع جورج مرة أخرى. لا يمكنك أن تتخيل كم أحبت هذا الرجل يا سيد بوارو. بينما كنت أنظر لوجهها وأنا أتحدث... رأيتها كما لو كانت امرأة ميتة تعود للحياة. حاولت شرح الأمر برمته لـ باتريك: أنه كانت هناك مشكلة ولكنني حللتها. لقد عرضت الأمر على هارييت قبل أن أستشيره. كنت أعتقد في أعماقي بأن باتريك لن يوافق على هذا الأمر أبدًا، ولكني كنت يائسة، ولم أكن أرغب في أن أمنحه فرصة إيقافي. هل تفهم ذلك؟".

قال بوارو: "نعم، يا آنسة".

تابعت جيني حديثها قائلة: "كنت آمل أن أتمكن من إقناعه، لقد كان رجلًا ذا مبادئ، ولكني كنت أعلم أنه سيرغب في حماية فرانسيس من الفضيحة،

وأن يحمي نانسي منهـا أيضًا، وكانت هذه هي الطريقة الوحيدة لضمان سكوت هاربيـت. لقد كانت هذه هـي الطريقة الوحيدة، فكل ما كان باتريك سيفعله هو أن يقول لها بعض الكلمات اللطيفة من حين لآخر وأن يخبرها بأن هذه الكلمات أرسلها لها جورج سيبيل، ولم يكن عليه أن يتقاضى منها مالاً، ورغم أني أخبرته بكل هذا، إلا أنه لم يعرني اهتمامًا، فقد كان خائفًا للغاية".

قال بوارو بهدوء: "لقد كان محقًّا في هذا. أكملي من فضلك".

قالـت جيني: "قـال إن ما أطلب منه أن أفعله من أجل هاربيت لن يكون أمرًا أخلاقيًّـا أو عـادلاً، وأنه سرعـان ما ستحل عليـه عواقب وخيمـة نتيجة لذلك. رجوته أن يفكـر في الأمر. ما الضرر الذي سيحل بـه إن جعل هاربيت سعيدة؟ ولكن باتريك كان مصممًا على قراره، وطلب مني أن أبلغها رسالة تنص على أن مـا عرضته عليها أمر غير ممكن، وكان محـددًا فيما قاله لي: لا تقولي لها إنكِ كذبتِ يا جيني، وإلا سترتاب في أمر الحقيقة الفعلية. لقد كانت التوجيهات التي حصلت عليها هي أن أخبر هاربيت بأنه لا يمكنها الحصول على ما طلبت".

قلت: "لم يكن أمامكِ خيار إذن سوى أن تخبريها بهذا".

بـدأت جيني تبكي وهي تقول: "لم يكـن أمامي أي خيار على الإطلاق، ومنذ اللحظـة الأولى التي أخبرت فيها هاربيت بـأن باتريك قد رفض طلبها، تحولت إلـى عدو، ونشرت كذبتي في جميع أنحاء القرية. كان يمكن لـ باتريك أن يسيء لسمعتهـا هو الآخر، كأن يقول لسـكان القرية إنها كانت متحمسة للحصول على خدماته الكريهة، وأنها لم تتهمه بالتجديف والكفر إلا عندما رفض طلبها، ولكنه لـم يكن ليفعل ذلك، فقد قال إنـه بغض النظر عن مدى شراسة هجوم هاربيت عليـه، فإنه لن يسيء لسمعتها. رجل أحمق! كان بمقدوره أن يخرسها في لحظة واحدة! ولكنه كان رجلاً نبيلاً لدرجة أنه قد يضر نفسه للحفاظ على الآخرين".

سألها بـوارو: "هـل كان هـذا عندمـا ذهبـتِ إلـى نانسـي دوكايـن طلبًا للنصيحة؟".

قالت جيني: "نعم، لم أعتقد بأنه يجب عليّ وباتريك بمفردنا أن نتحمل الأمر بأكملـه، فقـد كانت نانسي شريكة أيضًا فيما حـدث. سألتها إذا ما كان عليّ أن

أعترف بكذبتي على الملأ، ولكنها نصحتني بألا أفعل. قالت "أخشى أن باتريك سيواجه المتاعب بشكل أو بآخر، وأنا أيضًا. عليكِ أن تبقي في الظل وألا تتفوهي بأي شـيء يا جيني. لا تضحي بنفسكِ. لا أعتقد بأنـكِ ستكونين قوية بما يكفي لتتحملي تشويه السمعة الذي تبرع فيه هارييت". لم تقدرني نانسي حق قدري. لقد كنت منزعجة – أعتقد بأني كنت منهارة قليلاً، لأني كنت خائفة على باتريك. فقد كانت هارييت مصرة على تدميره – ولكني لست شخصًا ضعيفًا يا سيد بوارو".

قال بوارو: "أرى أنك لست خائفة".

قالـت جيني: "لا. لقـد استجمعت قوتي من معرفة أن هارييت سيبيل – تلك المنافقة الحقود – قد ماتت، وأن قاتلها قد صنع معروفًا للعالم بأكمله".

قال بوارو: "الأمر الذي يقودنا مباشرة إلى هوية القاتل يا آنسة جيني. من الذي قتل هارييت سيبيل؟ لقد أخبرتنا بأنها كانت أيدا جرانسبري، ولكن هذا ليس صحيحًا".

قالـت جيني: "لا حاجة بـي لأن أخبرك بالحقيقة يا سيد بوارو، فأنت تعلمها مثلما أعلمها تمامًا".

قال بوارو: "سأسألكِ إذن أن ترفقي بالسيد كاتشبوول المسكين، فهو لا يعلم القصة الكاملة بعد".

ابتسمـت جيني ابتسامـة شاحبة وقالـت: "عليك أن تخبره بهـا إذن، أليس كذلـك؟". شعرت حينها بأنها لم تعد منتبهة لنا مثلما كانت قبل لحظات، كانت منشغلة الفكر في أمر آخر.

قال بوارو: "حسنًا. سأبدأ بكل من هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري: امرأتان متحجرتـا القلب على قناعة تامة بأنهمـا محقتان فيما يتعلق بمطاردتهما رجلًا صالحًا حتى قبره. هل ظهرت عليهما أي من أمارات الأسف بعد موته؟ لا، وبدلاً من هذا، عارضتا دفنه في أرضٍ مقدسة. هل هاتان السيدتان أصبحتا نادمتين، بعد الكثير من الإقناع بواسطة ريتشارد نيجوس، على معاملتهما لـ باتريك أيف؟ لا، لـم تندمـا على شيء دون أدنى شك. كانت هـذه النقطة، يا آنسة جيني، هي التي جعلتني أكتشف أن روايتكِ كاذبة".

هزت جيني كتفيها في عدم اكتراث وقالت: "كل شيء ممكن".

قـال بـوارو: "لا، الحقيقة فقط هـي الممكنة، كنت أعلـم أن هاريت سيبيل وأيدا جرانسبري لن توافقا أبدًا على خطة الإعدام التطوعي التي أخبرتني بها، لهذا، أدركت أنهما قُتلتا. كيف يمكن أن تظهري قتلهما على أنه نوع من التفويض بالانتحار. كنتِ على أمل ألا يُعمل بوارو خلايا عقله الرمادية الصغيرة في الأمر بمجـرد أن يسمع أن القتلى الثلاثة كانوا راغبين في الموت. لقد كانت فرصتهم الأعظـم للحصـول على الخلاص، يا لها من قصة خياليـة استثنائية – نوع من القصص التي ما إن يسمعها المرء إلا ويفترض مباشرة أنها الحقيقة، فلن يظن أحد أنه يمكن ابتكار مثل هذه الكذبة؟".

قالـت جيني: "لقد كانت خطتي الاحتياطيـة لأستخدمها عند الحاجة. كنت آمل ألا تتمكن أبدًا من العثور عليَّ، ولكني كنت أخشى أنك قد تفعل".

قـال بـوارو: "وإن تمكنـت من العثـور عليك، كنـتِ تتوقعيـن أن تنجح حجة غيابـكِ في الفترة مـا بين السابعة والربع والثامنة وعشـر دقائق، وكذلك حجة غيـاب نانسي دوكايـن، وسيتم اتهامك أنتِ وصامويل كيـد بمحاولة تلفيق تهمة لامرأة بريئة، ولكن ليس تهمة القتل ولا حتى تهمة محاولة القتل. يا لها من خطة ماهـرة: ستعترفين بالذنب من أجل تجنب العقاب على جريمة أخطر بكثير من التي اعترفتِ بها. لقد قُتل أعداؤكِ، ولكن لن يُعدم أحد لأننا سنصدق قصتكِ: أيدا جرانسبري قتلت هاريـت سيبيل، وريتشارد نيجوس قتل أيدا جرانسبري، ثم انتحر. لقد كانت خطتكِ بارعة للغاية يا آنسة – ولكنكِ لستِ أكثر براعة من هيركيول بوارو".

قالت جيني بغضب: "كان ريتشارد يرغب في أن يموت. إنه لم يُقتل، لقد كان مصرًا على أن يموت".

قال بوارو: "نعم، كانت هذه الحقيقة الوحيدة داخل تلك الكذبة الكبيرة".

قالـت جيني: "لقـد كان كل هذا خطأه. لـم أكن لأقتـل أي شخص كان لولا ريتشارد".

قال بـوارو: "ولكنكِ قتلتِ، عدة مرات. لقـد كان كاتشبوول، مرة أخرى، هو من دلني على الطريق الصحيح عبر قوله لبعض الكلمات البريئة".

سألته جيني: "أية كلمات؟".

قال بوارو: "لقد قال لي "إن بدأت كلمة القتل بحرف الهاء...".

•

لم أكن مرتاحًا لسماع إطراء بوارو على مساعدتي له، فلم أكن أفهم كيف لبضع كلمات تفوهت بها دون اهتمام أن يكون لها مثل هذا التأثير الكبير.

بدأ بوارو يشرح الأمر بكامل طاقته: "بعدما سمعنا روايتكِ، يا آنسة، غادرنا منـــزل صامويل كيد وبدأنا في النقاش حـول ما أخبرتنا به: خطتكِ الافتراضية التـي وضعتها بالتعاون مع ريتشارد نيجوس... وإن صح القول، لقد كانت فكرة مغريـة للغاية. لقد كانت منظمة للغاية – مثل قطـع الدومينو المرتبة لتتساقط في ترتيب معين، ولكن عندما فكرت في الأمر بدقة أكبر، لم تبدُ لي كذلك على الإطلاق لأن الترتيب الذي كان من المفترض أن تسقط طبقًا له قد اختلف. كان من المفترض أن يسقط "د" ثم "ج" ثم "ب" ثم "أ"، ولكن بدلاً من ذلك، "ب" أسقط "أ"، ثم "ج" أسقط "ب"... ولكن هذا قربني أكثر مما حدث بالفعل".

ما الذي يتحدث عنه بحق الله؟ بدت جيني وكأنها تتساءل عن الأمر ذاته.

قال بوارو: "آه، عليَّ أن أكون أكثر وضوحًا في تفسيري. لكي أتمكن من تخيل ترتيب الأحداث بسهولة أكبر يا آنسة، استبدلت أحرف الأسماء. كانت خطتكِ، كمـــا أخبرتنا بها في منـــزل صامويل كيد، كالتالي: "ب" يقتـــل "أ"، و"ج" يقتل "ب"، ثـــم "د" يقتـــل "ج"، بعد ذلك ينتظر "د" أن يُعاقب "هـ" ويُشنق لقتله كلاً من "أ" و"ب" و"ج"، ثم ينتحر "د". هل ترين الأمر يا آنسة هوبز، أنت "د"، أو ترتيبك الرابع في هذا النسق، طبقًا لقصتكِ؟".

أومأت جيني برأسها.

قال بـــوارو: "جيـد، وبمحض المصادفة، يهـوى كاتشبوول ألغـــاز الكلمات المتقاطعـــة، وكان يمارس هوايته عندما طلب منـــي التفكير في كلمة مكونة من أربعة أحرف وترادف الموت، فاقترحت عليه كلمة فناء: فقال كاتشبوول: لا، لن

يصلح اللغز إلا أن بدأت الكلمة التي ترادف الموت بحرف الهاء. تردد صدى كلماته في عقلي لبعض الوقت وقمت ببعض التخمين: ماذا لو بدأت كلمة القتل بحرف الهاء؟ ماذا لو لم يكن القاتل الأول أيدا جرانسبري، بل أنتِ يا آنسة هوبز؟".

"بمرور الوقت، تحول هذا التخمين بالتدريج ليصبح يقينًا. وأدركت سبب أنه يجب أن تكوني أنتِ من يقتل هارييت سيبيل. لم تتشارك هارييت أو أيدا القطار من جريت هولينج أو السيارة المتوجهة إلى فندق بلوكسهام. الأمر الذي يدل على أن كلًا منهما لم تكن مدركة لوجود الأخرى، ولم تكن هناك خطة متفق عليها من قبل الجميع لقتل أحدكم الآخر. لقد كانت هذه كذبة أخرى".

سألته بيأس: "ما الحقيقة إذن؟".

قال بوارو: "لقد اعتقدت كل من هارييت سيبيل وأيدا جرانسبري أنها ذاهبة وحدها إلى لندن، لأمر شخصي، حيث اتصلت جيني ب هارييت وقالت لها إنها ترغب في رؤيتها لأمر شديد الإلحاح، وأنه يجب الاحتفاظ بلقائهما سرًا، وأخبرتها جيني بأن هناك غرفة محجوزة باسمها في فندق بلوكسهام وأنه قد تم دفع ثمن إقامتها، وأنها، أي جيني، ستحضر إلى فندق بلوكسهام في عصر يوم الخميس، ربما في حوالي الثالثة والنصف أو الرابعة، حتى تتمكنا من الاهتمام بهذا الأمر المهم. قبلت هارييت دعوة جيني لأن جيني كتبت في خطاب دعوتها *أمرًا لم تتمكن هارييت من مقاومته*.

"لقد عرضت عليها ما رفض باتريك أيف أن يمنحها إياه منذ سنوات يا آنسة، أليس كذلك؟ التواصل مع زوجها الحبيب الراحل. لقد أخبرتها بأن جورج سيبيل كان يسعى للحديث معها عبركِ – أنتِ، التي حاولتِ أن تساعديه على الوصول لها منذ ستة عشر عامًا، وفشلت. والآن، ومرة أخرى، كان جورج يحاول إرسال رسالة لزوجته الحبيبة، مستخدمًا إياكِ كقناة لهذا الاتصال. لقد تحدث معكِ من الحياة الأخرة. لا شك في أنكِ قد جعلتِ الأمر شديد الإقناع، ولم تتمكن هارييت من المقاومة. لقد صدقتكِ لأنها كانت ترغب بشدة في أن يكون

حقيقيًا. لقد صدقت هارييت الكذبة التي أخبرتها بها عن تواصل أرواح الموتى مع الأحياء حين أخبرتها بها، ولم تتوقف أبدًا عن تصديقها".

قالت جيني: "إنك ماهر للغاية يا سيد بوارو، لقد أصبت كبد الحقيقة".

قال بوارو: "أخبرني يا كاتشبوول: هل تفهم الآن من المقصود بالمرأة المغرمة برجل قد يكون أصغر سنًا من ابنها؟ الشخصان اللذان أصبحت مهووسًا بهما، واللذان كانت نانسي دوكاين وصامويل كيد يتحدثان عنهما في الغرفة رقم ٣١٧؟".

قلت: "لن أقول إني مهووس بهما، ولا، لم أفهم بعد".

قال بوارو: "دعنا نتذكر ما قاله رافال بوباك بالضبط. لقد سمع نانسي دوكاين التي تتقمص شخصية هارييت سيبيل تقول: إنها لم تعد المرأة التي يأتمنها على أسراره. إنه لم يعد يهتم بأمرها الآن – لقد أهملت نفسها، وهي قد تكون في عمر والدته. فكر في هذه الكلمات: إنه لم يعد يهتم بأمرها الآن – لقد تم التأكيد على هذه الحقيقة قبل أن يتم ذكر السببين اللذين جعلاه يفقد الاهتمام بها. أحدهما أنها في سن والدته. والآن، لقد أصبحت في عمر والدته. ألم تفهم بعد يا كاتشبوول؟ *إن كانت في سن والدته الآن، فلطالما كانت في سن والدته*. لا يمكن أن يكون الأمر غير ذلك".

قلت: "ألا تعمل هذه الكلمة على تمديد الأمر قليلاً؟ أعني، بدون كلمة *الآن*، سيكون الأمر منطقيًا: إنه لم يعد مهتمًا بها – هي من جعلته يبتعد عنها، فهي في سن والدته".

غمغم بوارو قائلاً: "ولكن ما تقوله يا صديقي ما هو إلا هراء. إن الأمر ليس منطقيًا. فكلمة *الآن* قد قيلت بالفعل، ولا يمكننا أن نتظاهر بأنها ليست موجودة بعدما قيلت. لا يمكننا تجاهل كلمة *الآن* التي اخترقت آذاننا".

قلت: "أنا أختلف معك في هذا. إن كنت سأخمن الأمر، كنت سأقول إن المعنى المقصود يسير كما يلي: قبل أن تهمل في نفسها، لم يكن الرجل يرى أو يمانع فارق السن بينهما. ربما لم يكن المعنى شديد الوضوح، ولكنها لم تعد

الآن في أبهى صورها، لذا، بدأ الشاب في الاهتمام بامرأة أخرى أكثر منها شبابًا وجاذبية، المرأة التي يأتمنها على أسراره في الوقت الحالي ـــــ".

علا صوت بوارو الآن واحتقن وجهه ونفد صبره وهو يقول: "أعلم أننا لن نستفيد شيئًا من تخمينك يا كاتشبوول. استمع إلى بوارو. استمع مرة أخرى لما يقوله بالتحديد، واهتم بالترتيب: إنه لم يعد يهتم بأمرها الآن – لقد أهملت نفسها، وهي قد تكون في عمر والدته. السبب الأول لفقدانه الاهتمام بها، ثم تبعه السبب الثاني. بنية الجملة تشير إلى أن الأمرين المؤسفين اللذين أصبح عليهما الحال الآن، لم يكونا كذلك في الماضي".

قلت: "لا حاجة بك لأن تصيح بي يا بوارو، فقد فهمت وجهة نظرك، ولكني لا أزال أعارضها. إن الجميع لا يكونون دقيقين في حديثهم مثلك، وأعتقد بأن تفسيري للأمر هو التفسير الصائب، وتفسيرك خاطئ لأنه، كما وضحت، لا يبدو منطقيًا. لقد قلتها بنفسك: إن كانت في سن والدته الآن، فلابد من أنها كانت في سن والدته دائمًا".

قال بوارو: "كاتشبوول، كاتشبوول، لقد بدأت أفقد الأمل منك. فكر فيما حل بعد ذلك في المحادثة ذاتها. سمع رافال بوباك صامويل كيد، متقمصًا شخصية ريتشارد نيجوس، يقول "أنا أعارض فرضية أنها في سن والدته، أعارضها تمامًا"؛ ثم ردت عليه نانسي دوكاين، متقمصة شخصية هارييت سيبيل، قائلة "حسنًا، لا يمكن لأي منا أن يثبت صحة وجهة نظره، لذا، دعنا نتفق على ألا نتفق". ولكن، لمَ لم يحاول أي منهما إثبات وجهة نظره؟ إنها حقيقة إحيائية بسيطة تلك التي تدل على ما إذا كانت امرأة ما في سن والدة رجل ما، أليس كذلك؟ إن كانت تكبره بأربع سنوات، فلن تكون أكبر منه لهذه الدرجة، ولا يمكن لأحد أن يعارض هذا، أما إن كانت تكبره بعشرين عامًا، فستكون في سن والدته – هذا أمر مؤكد".

قالت جيني هوبز التي أغمضت عينيها: "ماذا لو كانت تكبره بثلاثة عشر عامًا؟ أو اثني عشر عامًا؟ لقد سمع المرء ببعض هذه الحالات النادرة... ولكنها لا تنطبق على حالتنا هذه بالتأكيد".

لقد كانت جيني تعلم ما يهدف إليه بوارو إذن، لقد كنت الوحيد ممن في الغرفة الذي يجهل ما يقصده بوارو.

قال بوارو: "ثلاثة عشر أو اثنا عشر عامًا – لا علاقة لهذا بالأمر. يمكن للمرء أن يسأل أحد الأطباء، خبيرًا طبيًا: هل من الممكن، من الناحية النظرية، أن تنجب فتاة في الثالثة عشرة أو في الثانية عشرة من عمرها؟ وستكون الإجابة إما بالإيجاب أو بالنفي. من فضلكما، دعونا لا ندخل في مناقشة جانبية حول العمر المناسب للإنجاب. أنسيت التصريح المثير للاهتمام الذي قاله صامويل كيد فيما يتعلق بالرجل الشاب المزعوم: "عقله؟ يمكنني أن أقول إنه فقد عقله"... لا شك في أنك ستعتقد بأن السيد كيد كان يعني أن هذا الرجل أحمق".

قلت بسخط: "لا شك في هذا. لمَ لا تخبرني بما لا يمكنني فهمه طالما أنك أكثر مني مهارة؟".

أصدر بوارو صوتًا ينم عن السخط وقال: "يا إلهي، إن الرجل والمرأة اللذين كان الحوار يدور حولهما في الغرفة رقم ٣١٧ كانا هارييت سيبيل وزوجها جورج. لم يكن الحوار مناقشة جادة – بل كانت مناقشة ساخرة. لقد توفي جورج سيبيل عندما كان وهارييت في سن صغيرة، وكان صامويل كيد يقول بأنه قد فقد عقله لأن جورج، وإن ظل متواجدًا بعد موته، فلن يكون متواجدًا بصورته البشرية، بل سيكون مجرد شبح، أليس كذلك؟ وحيث إن العقل يوجد داخل المخ، والروح لا يمكنها أن تمتلك أعضاء بشرية، فإن شبح جورج سيبيل لن يكون لديه عقل".

قلت: "يا إلهي، لقد فهمت ما تقصده الآن".

قال بوارو: "يمكنني أن أجزم بأن صامويل كيد عرض وجهة نظره بهذه الطريقة لأنه كان يتوقع أن تعارضه نانسي دوكاين، وربما تقول: لا شك في أن الأشباح تمتلك عقولاً، كما أنها تمتلك القدرة على الحركة والإرادة الحرة، أليس كذلك؟ كيف يمكنها القيام بهذه الأمور إن لم تكن تمتلك عقولاً؟".

من الناحية الفلسفية، كانت وجهة النظر هذه مثيرة للاهتمام، ولكني، في ظروف أخرى، كنت سأفكر في الأمر بنفسي.

تابع بوارو حديثه قائلاً: "كانت ملاحظة نانسي المتعلقة بالمرأة التي في سن والدة الرجل نابعة من اعتقادها بأنه إن مات المرء، *يظل عند العمر الذي مات عليه للأبد*، حيث إنه لا يشيخ في الحياة الآخرة. وإن عاد جورج سيبيل في صورة روح لزيارة أرملته، فسيكون رجلاً شابًا في العشرينيات من عمره، في السن التي مات عليها. وستكون هي في الأربعينيات من عمرها، وستكون الآن في سن والدته".

قالت جيني بصوت يدل على الجدية: "أحسنت. أنا لم أكن حاضرة خلال هذه المحادثة، ولكنهما استكملاها فيما بعد بينما كنت حاضرة معهما. إن السيد بوارو رجل فائق الذكاء يا سيد كاتشبوول. أتمنى أن تقدره حق قدره". ثم وجهت حديثها لـ بوارو قائلة: "لقد استمر الجدل... طويلاً، فقد كانت نانسي مصرة على أنها على صواب، ولكن سام لم يستسلم لها، حيث قال إن الأشباح لا تتواجد في سن بعينها – إنهم سرمديون، لذا، ليس من الصحيح أن يقول شخص ما إن هناك امرأة يكفي عمرها لأن تكون والدة شبح".

قال لي بوارو: "إن الأمر بفيض بعض الشيء يا كاتشبوول، أليس كذلك؟ عندما حمل رافال بوباك الطعام إلى الغرفة، كانت نانسي دوكاين، وجثة أيدا جرانسبري مستندة في وضعية الجلوس بجوارها، تسخر من المرأة التي قُتلت بسبب المؤامرة التي شاركت فيها في وقت سابق من ذلك اليوم. يا لـ هارييت المسكينة الحمقاء: لم يكن زوجها مهتمًا بالحديث معها من العالم الآخر، لا، إنه سيتحدث فقط مع جيني هوبز، الأمر الذي لم يترك لـ هارييت خيارًا آخر إن كانت ترغب في الحصول على الرسالة التي بعثها لها زوجها: يجب أن تلتقي بـ جيني في فندق بلوكسهام، وعندما فعلت ذلك، لاقت مصيرها المحتوم".

قالت جيني: "لم يكن هناك أحد يستحق القتل أكثر من هارييت سيبيل. لقد ندمت على الكثير من الأمور وليس من بينها قتل هارييت".

سألتهما: "ماذا عن أيدا جرانسبري، لم ذهبت إلى فندق بلوكسهام؟".

قال بوارو، والذي لا يسأم من الحديث عن الحقائق اللانهائية التي يبدو أنه وحده من يعرفها: "آه، لقد قبلت أيدا أيضًا دعوة لا يمكن رفضها، من ريتشارد نيجوس، ولكنها لم تكن تتعلق بالحصول على رسالة من شخص عزيز عليها قد مات، بل لتلتقي بخطيبها السابق الذي لم تلتقه منذ ستة عشر عامًا. لم تكن تتخيل أن في الأمر خدعة. لقد هجر ريتشارد أيدا، ولا شك في أنه قد حطم قلبها، لأنها لم تتزوج قط. وأعتقد بأنه أشار في خطابه لها إلى احتمالية عودتهما لبعضهما البعض مرة أخرى، وربما الزواج. نهاية سعيدة. وافقت أيدا — المرأة الوحيدة التي لم تمد أمامها فرصة أخرى للحب الحقيقي — وأخبرها ريتشارد بأنه سيحضر إلى غرفتها في فندق بلوكسهام في حوالي الثالثة والنصف أو الرابعة يوم الخميس. هل تتذكر ملاحظتك، يا كاتشبوول، المتعلقة بالحضور إلى الفندق يوم الأربعاء، حتى يكون أمامهم يوم الخميس بأكمله ليُقتلوا؟ أعتقد أن الأمر أصبح منطقيًا الآن، أليس كذلك؟".

أومأت برأسي موافقًا وقلت: "كان نيجوس يعلم أنه سيرتكب جريمة قتل يوم الخميس، وأنه سيُقتل هو أيضًا. من الطبيعي أنه سيرغب في أن يصل للفندق قبل يوم من تلك المحنة المزدوجة ليعد نفسه عقليًا".

قال بوارو: "وحتى يتجنب أيضًا تأخر القطارات أو أي شيء من هذا القبيل من شأنه أن يتعارض مع الخطة التي وضعها".

قلت: "إذن، جيني هوبز هي من قتل هارييت سيبيل، وكان ريتشارد نيجوس هو من قتل أيدا جرانسبري، أليس كذلك؟".

قال بوارو: "نعم يا صديقي". ثم نظر إلى جيني التي أومأت برأسها، ثم قال: "في الوقت ذاته من اليوم تقريبًا، في الغرفتين ١٢١ و٣١٧ بالترتيب، وتم استخدام الأسلوب نفسه في الغرفتين كلتيهما. أعتقد أن كلًا من جيني وريتشارد قد أخبرا كلًا من هارييت وأيدا، من أجل حثهما على تناول المشروب الذي يحتوي على السم، بأنهما بحاجة لكوب من الماء قبل سماع ما هن بصدد سماعه، وفي أثناء إحضار كوب المياه، الكوب بجوار حوض الحمام، وضع كل

من جيني وريتشارد السم في الكوب، ومن ثم، قدما الكوبين للضحيتين ليشربا، وسرعان ما ماتتا".

سألته: "ماذا عن موت ريتشارد نيجوس؟".

قال بوارو: "قتلته جيني، طبقًا للخطة التي وضعاها معًا".

قالت جيني: "كان أغلب ما أخبرتكما به في منزل سام حقيقيًا. لقد راسلني ريتشارد بعد سنوات طويلة من الصمت، وكان الشعور بالذنب مما فعله لـ باتريك وفرانسيس يمزقه، ولم يتمكن من رؤية مخرج — عدم وجود احتمال لتحقيق العدالة والسلام الداخلي — حتى ندفع جميعًا الثمن بحياتنا، نحن الأربعة المسئولين عما حدث".

قلت وأنا أفكر في الأمر في أثناء حديثي: "طلب منكِ أن تساعديه على قتل هاربيت وأيدا، أليس كذلك؟".

قالت جيني: "بلى، هما، وهو، وأنا أيضًا. لقد أصر على أن نموت جميعنا، وإلا لن يكون لما فعلناه أي معنى. لم يكن يرغب في أن يكون قاتلاً بل جلادًا — كان يستخدم هذه الكلمة كثيرًا — وكان هذا يعني ألا نفلت، أنا أو هو، من العقاب. كنت أتفق معه في أن كلًا من هاربيت وأيدا تستحقان الموت، فقد كانتا امرأتين شريرتين. ولكني لم أكن أريد أن أموت، ولم أكن أرغب في أن يموت ريتشارد. كان يكفيني أن أرى أنه قد ندم أشد الندم على إسهامه في موت باتريك، وكنت أعلم أن هذا سيكون كافيًا في نظر باتريك أيضًا، وفي نظر أية سلطة قد تكون موجودة أو غير موجودة. ولكن، لم تكن هناك طريقة لإقناع ريتشارد بذلك، وأدركت على الفور بأنه لا فائدة من المحاولة، فقد كان على نفس قدر الذكاء الذي كان عليه دائمًا، ولكن، تغير شيء ما في عقله جعله غريب الأطوار، وكانت هناك أفكار غريبة تطرأ عليه. كانت سنوات الاكتئاب الطويلة التي قضاها في الشعور بالذنب قد أثرت عليه كثيرًا. كنت أعلم أنه لن يتورع عن قتلي إن لم أذعن لما يعرضه عليّ. إنه لم يقل هذا صراحة، فلم يكن يرغب في تهديدي، فقد كان يعاملني بلطف، وكل ما كان يرغب فيه هو حليف، شخص يفكر مثله. كان يعتقد بأني سأوافق على خطته لأني كنت، على النقيض من هاربيت وأيدا،

كنت عقلانية. لقد كان على يقين من أنه على حق – لدرجة أنه أصر على أن حله هو الخيار الوحيد المتوافر لنا جميعًا، وكنت أعتقد بأنه على حق، ولكني كنت خائفة. لا أعلم ما الذي غيرني. ربما كنت حينها، رغم تعاستي، كنت ما أزال آمل أن تتحسن حياتي، إن التعاسة تختلف كثيرًا عن اليأس".

قال بوارو: "كنتِ تعلمين أنه عليكِ أن تتظاهري بالموافقة لتنقذي حياتك. وكان عليكِ أن تكذبي كذبة مقنعة على ريتشارد نيجوس – كان هذا مهربكِ الوحيد من الموت. لم تعرفي ما عليكِ فعله، لذا، ذهبتِ إلى نانسي دوكاين طلبًا للمساعدة".

قالت جيني: "نعم، لقد فعلت، وقد تمكنت من حل مشكلتي، أو هكذا اعتقدت. كانت خطتها عبقرية. وتبعًا لنصيحتها، اقترحت على ريتشارد تغييرًا واحدًا على خطته. كانت فكرته هي أنه بمجرد أن تموت كل من هارييت وأيدا، سيقوم بقتلي ثم ينتحر، فمن طبيعته كرجل متسلط اعتاد أن يملك زمام أي عمل يهمه، كان يرغب في أن يكون من يمتلك زمام الأمور حتى النهاية.

"أخبرتني نانسي بأنه عليّ أن أقنع ريتشارد بأن أقتله أنا بدلاً من أن يقتلني، فقلت لها: مستحيل، لن يوافق على هذا أبدًا... ولكن قالت نانسي إنه سيوافق إن حاولت إقناعه بالطريقة الصحيحة، وكان عليَّ أن أتظاهر بأني مهتمة بقضيتنا أكثر منه، وكانت على حق. لقد نجح الأمر، فقد ذهبت إلى ريتشارد وقلت له إنه لا يكفي أن نموت نحن الأربعة فقط: أنا وهو وهارييت وأيدا، وأن نانسي يجب أن تُعاقب أيضًا، وتظاهرت بأني سأكون سعيدة بموتي بمجرد أن تموت، وقلت له إنها كانت أكثر شرًا من هارييت. وقصصت عليه رواية متقنة عن أن نانسي قد حاكت مؤامرة لإغواء باتريك وإبعاده عن زوجته، وأن هذا الأمر يجب ألا يمر دون عقاب. وأخبرته بأن نانسي أخبرتني بأن غرضها الحقيقي من التحدث على الملأ في نزل كينجز هيد لم يكن مساعدة باتريك، بل كان إيذاء فرانسيس، وأنها كانت تأمل في أن تنتحر فرانسيس، أو على الأقل تهجر باتريك وتعود إلى والدها في كامبريدج تاركة المجال مفتوحًا أمام نانسي".

قال بوارو: "المزيد من الأكاذيب".

قالت جيني: "نعم، المزيد من الأكاذيب بالطبع، ولكنها أكاذيب اقترحتها عليَّ نانسي بنفسها، أكاذيب نجحت نجاحًا باهرًا، ووافق ريتشارد على أن يموت قبلي".

قال بوارو: "ولكنه لم يكن يعلم أن صامويل كيد مشارك في الأمر، أليس كذلك؟".

قالت جيني: "لا، لقد ورطت ونانسي سام في الأمر. لقد كان جزءًا من خطتنا. لم ترغب أيٌّ منا في الخروج من النافذة المفتوحة والهبوط على الشجرة المواجهة لها — خشينا أن نسقط ونكسر أعناقنا — فبعد إغلاق الغرفة من الداخل بالمفتاح وإخفائه خلف الحجر السائب من المدفأة، كان هذا هو السبيل الوحيد لمغادرة الغرفة رقم ٢٣٨، ولهذا السبب كنا بحاجة لمساعدة من سام — وكذلك من أجل تجسيد شخصية ريتشارد".

غمغمت بصوت منخفض لأرى إن كنت قد استوعبت الأمر: "وكان يجب *إخفاء المفتاح خلف حجر المدفأة*، لذا، بدت القصة التي أخبرتنا بها — في منزل السيد كيد — ملائمة للحقائق: أخفى ريتشارد نيجوس المفتاح خلف حجر المدفأة حتى يبدو الأمر وكأن القاتل قد أخذه معه لأنه كان متورطًا في مؤامرة لتلفيق جرائم القتل لـ نانسي دوكاين".

قال بوارو: "لقد كان متورطًا بالفعل في هذه المؤامرة، أو بالأحرى، أعتقد ذلك. عندما أعطته جيني كوب المياه والسم بداخله، حسب الاتفاق، كان يعتقد بأن جيني ستبذل أقصى ما في وسعها لتتأكد من أن تتحمل نانسي مسئولية جرائم القتل التي وقعت في فندق بلوكسهام. كان يعتقد بأنها ستتحدث مع الشرطة حتى تجعلها ترتاب في أمر نانسي، ولم يكن يعلم أن نانسي قد أعدت حجة غياب لا يُشق لها غبار مع اللورد والليدي سانت جون والاس، أو أنه بعد موته، سيوضع زر أكمام داخل فمه، وأن المفتاح سيُخفى خلف أحد أحجار المدفأة، وأن النافذة ستُفتح... ولم يكن يعلم أن جيني هوبز ونانسي دوكاين وصامويل كيد سيرتبان الأمر حتى يبدو أن الجرائم قد وقعت في الفترة ما بين السابعة والربع والثامنة وعشر دقائق".

وافقتـه جيني قائلة: "لا، لم يكـن ريتشارد على علم بهذه التفاصيل، وأعتقد بأنك أدركت الآن لمَ وصفت خطة نانسي بالعبقرية يا سيد بوارو".

قـال بوارو: "لقد كانت فتاة موهوبة، والفنانون الموهوبـون يمتلكون أعينًا تهتم بالتفاصيل والصورة العامة: كيف تتفق جميع الأجزاء معًا".

التفتـت جينـي نحـوي وقالـت: "لم أكـن أنـا أو نانسـي نرغب فـي حدوث أي مـن هـذا، يجـب أن تصدقني يا سيد كاتشبـوول. كان ريتشـارد سيقتلني إن رفضت التعـاون معـه"، ثـم تنهدت وقالـت: "لقد رتبنـا الأمـر بأكمله. لم تكـن ستوجـه أيـة اتهامـات إلـى نانسي، وكنـت وسـام سنعاقب علـى محاولة تلفيـق التهمة لـ نانسي، ولكن ليس علـى القتل، وكنا نأمل فـي أن نُسجن لفترة قصيـرة. بعد هـذا كنا سنتـزوج". وأضافت جينـي بعدمـا رأت الدهشة بادية علـى وجهينـا: "أنـا لا أحـب سام مثلمـا أحببـت باتريـك، ولكنـي مغرمة به. كان سيصبـح زوجًـا رائعًـا إن لم أفسـد الأمر برمتـه عندما طعنـت نانسي".

قـال بـوارو: "كان الأمر قد فسـد بالفعل يا آنسة، فقد كنـت أعلم أنكِ قتلت هاريت سيبيل وريتشارد نيجوس".

قالت جيني: "أنا لم أقتل ريتشارد يا سيد بوارو، هذا هو الأمر الذي أخطأت بشأنه، لقد كان يرغب في أن يموت. لقد أعطيته السم بموافقته".

قال بوارو: "نعم، ولكن بموجب اتفاق زائف. لقد وافق ريتشارد على أن يموت لأنـكِ وافقت على تنفيـذ خطته بأن يموت أربعتكم، ثـم أصبحتم خمسة عندما أدرجـتِ نانسـي دوكايـن لقائمة المذنبيـن، ولكنكِ لم توافقي علـى الخطة في الحقيقة، لقد خنته، وتآمرتِ عليه من خلف ظهره. من يعلم ما إذا كان ريتشارد نيجوس سيوافق على أن يموت في هذه الحالة وبهذه الطريقة إن أخبرته بحقيقة اتفاقكِ السري مع نانسي دوكاين".

تصلب وجه جيني وقالت: "أنا لم أقتل ريتشارد نيجوس، لقد قتلته دفاعًا عن النفس، وإلا كان سيقتلني".

قال بوارو: "لقد قلتِ بأنه لم يهددكِ بهذا صراحةً".

قالت جيني: "لا، ولكني كنت أعلم أنه سيفعل. ماذا تعتقد يا سيد كاتشبوول؟ هل قتلت ريتشارد نيجوس أم لا؟".

اعترفت قائلاً: "لا أعلم".

قال بوارو: "كاتشبوول، صديقي، لا تكن أحمق".

قالت جيني: "إنه ليس أحمق يا سيد بوارو. إنه يُعمل عقله بينما ترفض أنت ذلك. فكر في الأمر من فضلك، أرجوك. قبل أن أشنق، آمل أن أسمعك تقول إني لم أقتل ريتشارد نيجوس".

وقفت حينها وقلت: "لنغادر الآن يا بوارو". كنت أرغب في إنهاء المقابلة بينما "الأمل" لا يزال معلقًا في الهواء.

خاتمة

بعد أربعة أيام، كنت جالسًا أمام واحدة من مدافئ بلانش أنسوورث، وكنت أرتشف كأسًا من الشراب وأعمل على لغز الكلمات المتقاطعة الذي أحاول إعداده، عندما دلف بوارو إلى غرفة الاستقبال. جلس بجانبي صامتًا لبضع دقائق، ولم أرفع عينيَّ عما أفعل.

وأخيرًا، تنحنح بوارو وقال: "كاتشبوول، أمازلت تتجنب الحديث حول ما إذا كان ريتشارد نيجوس قد قُتل أم لا، أم أن هناك من ساعده على الانتحار، أم قُتل دفاعًا عن النفس".

قلت، وقد شعرت بشعور غريب في معدتي: "لا أرى أن هذه المناقشة ستقودنا إلى أي شيء". لم أكن أرغب في الحديث عن جرائم قتل بلوكسهام مرة أخرى. ما كنت أرغب فيه — أحتاج إليه — هو الكتابة عنها. أن أدون على الأوراق جميع تفاصيل ما حدث، وقد أذهلني بشدة أن أكون متحمسًا للقيام بالأمر الثاني وأتجنب القيام بالأمر الأول. لماذا تكون الكتابة عن أمر ما مختلفة تمامًا عن الحديث عنه؟

قال بوارو: "لا تقلق يا صديقي، فأنا لن أثير الأمر مرة أخرى. سنتحدث عن أمور أخرى، على سبيل المثال، لقد ذهبت إلى مقهى بليزانت هذا الصباح، وطلبت مني في سبرينج أن أمرر لك رسالة، إنها ترغب في لقائك في أقرب فرصة ممكنة، إنها مستاءة".

قلت: "مستاءة مني؟".

قال بوارو: "نعم، فهي تقول، إنها، في لحظة ما، كانت تجلس في قاعة طعام فندق بلوكسهام تستمع إلى تفسير كل ما حدث، وبعد هذا، انتهى كل شيء. كما وقعت جريمة قتل أمام أعيننا جميعًا، ولم يعرف بقية الحضور بقية تفاصيل القصة. إن الآنسة في ترغب في أن تقص عليها القصة كاملة".

غمغمت محتبس الأنفاس قائلاً: "لست المخطئ في أن تقع جريمة قتل أخرى. ألا يمكنها أن تقرأ القصة في الصحف مثل الآخرين؟".

قال بوارو: "لا، إنها ترغب في التحدث معك عنها بوجه خاص. إنها أذكى من أن تكون نادلة. إنها امرأة شابة تستحق الاحترام. هل تعتقد ذلك يا صديقي؟".

قلت بإرهاق: "أعلم ما تهدف إليه يا بوارو. يجب أن تكف عن ذلك، إنك تضيع وقتك هباءً، وإن كانت في سبرينج تمتقد... اسمع، انصرف، هل يمكنك هذا؟".

قال بوارو: "إنك غاضب مني".

اعترفت قائلاً: "نعم، قليلاً. هنري نيجوس والحقيبة، رافال بوباك وعربة الغسيل، توماس برينجل وصديقته في حديقة الفندق، والتي تصادف أن تكون مرتدية معطفًا بني اللون مثل نصف نساء إنجلترا، عربة اليد...".

قال بوارو: "آه، فهمت".

قلت: "نعم، يجب أن تفهم، لقد كنت تعلم أن جيني لم تمت، فلم إذن بذلت كل هذا الجهد من أجل أن تشتتني وتجعلني أعتقد بأن جثتها قد تكون قد نُقلت من الغرفة رقم ٤٠٢ عن طريق ثلاث وسائل من الصعب تخيلها؟".

قال بوارو: "لأني كنت أرغب يا صديقي في تحفيزك على التخيل، فإن لم تتمكن من تخيل أكثر الأمور غير المحتملة، فلن تكون محققًا بارعًا. إنه تدريب لخلايا المخ الرمادية الصغيرة على أن تسير في طرق غير مطروقة. من هنا يأتي الإلهام".

قلت متشككًا: "إن كنت مصرًا على ذلك".

قال بوارو: "يبدو أنك تعتقد بأن بوارو قد تمادى كثيرًا – أكثر من اللازم. ربما".

قلت: "كل هذا الهراء الذي تفوهت به عن آثار الدماء في الغرفة ٤٠٢ والتي تقود من بقعة الدماء في منتصف الغرفة إلى بابها. جميع تساؤلاتك عن عرض البـاب – لم كان كل هذا؟ لقد كنت تعلـم أن جيني لم تُقتل ولم تُنقل جثتها إلى أي مكان".

قـال بـوارو: "لقد فعلت، ولكنك لـم تفعل. لقد صدقت، مثلمـا فعل صديقنا السيـد لازاري، أن جينـي قد ماتت وأن الدمـاء التي كانت علـى أرضية الغرفة تخصها. لـذا، كنت أرغب في أن تسأل نفسك: حقيبـة الملابس، عربة الغسيل – يمكـن إحضار كلتيهما إلى الغرفة ٤٠٢، إلى حيث كانت الجثة. لماذا إذن قد يسحـب القاتل الجثة نحـو الباب؟ لم يكن عليه ذلك. لم يكـن عليها ذلك. لقد كانـت آثـار الدماء المتجهة نحو البـاب خدعة، وكان الهدف منهـا إيهامنا بأن الجثـة قد سُحبت خـارج الغرفة، لأنها لـم تكن بالغرفة. لقـد كانت واحدة من التفاصيل الترجيحية ذات الأهمية الكبيرة لتعطي مصداقية لمسرح الجريمة.

"ولكـن، بالنسبـة لـ هيركيول بوارو، كان هذا ما جعلـه يتأكد من الأمر الذي طالمـا ارتاب فيه بقـوة: أن جيني هوبز لم تُقتل في هذه الغرفة أو أي أحد آخر. لم أتمكن من تخيل أية وسيلة لنقل الجثة تتطلب وجود آثار من الدماء تتجه نحو بـاب الغرفـة. لم يكن أي قاتل ليخاطـر بسحب جثة ضحيته إلـى أروقة الفندق قبـل أن يخفيهـا أولاً داخل شيء ما – حاوية. جميـع الحاويات التي فكرت فيها يمكـن إدخالها بسهولة إلـى داخل الغرفة، ويمكن توجيههـا نحو الجثة بدلاً من سحـب الجثة نحوهـا. هذا تفسير بسيط مـن الناحية المنطقية يـا كاتشبوول، ولكني شعرت بالدهشة من أنك لم تدرك هذا الأمر قط".

قلـت: "نصيحة جيدة منك يا بوارو، في المـرة المقبلة عندما ترغب في أن أدرك أمـرًا ما، افتح فمك وأخبرني بالحقائق، أيـا كانت. وستجد أن هذا يوفر الكثير من العناء".

ابتســم بوارو وقـال: "حسنًا، أنا أتـوق لتعلم السلوك المباشـر من صديقي كاتشبـوول. دعنـا نبدأ على الفـور". ثم أخـرج مظروفًا من جيبـه وقال: "لقد

وصلني هذا منذ ساعة، وقد لا ترغب في أن أتدخل في شئونك الخاصة يا كاتشبوول – قد تفكر: إن بوارو يُقحم نفسه في أمور لا شأن له بها – ولكن هذا الخطاب يعبر عن الامتنان لنائبك، أنا، الذي لا يمكنك احتماله".

قلت: "إن كنت تقصد في سبرينج، فهي لا تخصني في شيء، ولن تكون". ثم رمقت الرسالة التي في يده وقلت: "ما الأمر الخاص الذي أقحمت نفسك فيه الآن؟ وامتنان على ماذا؟".

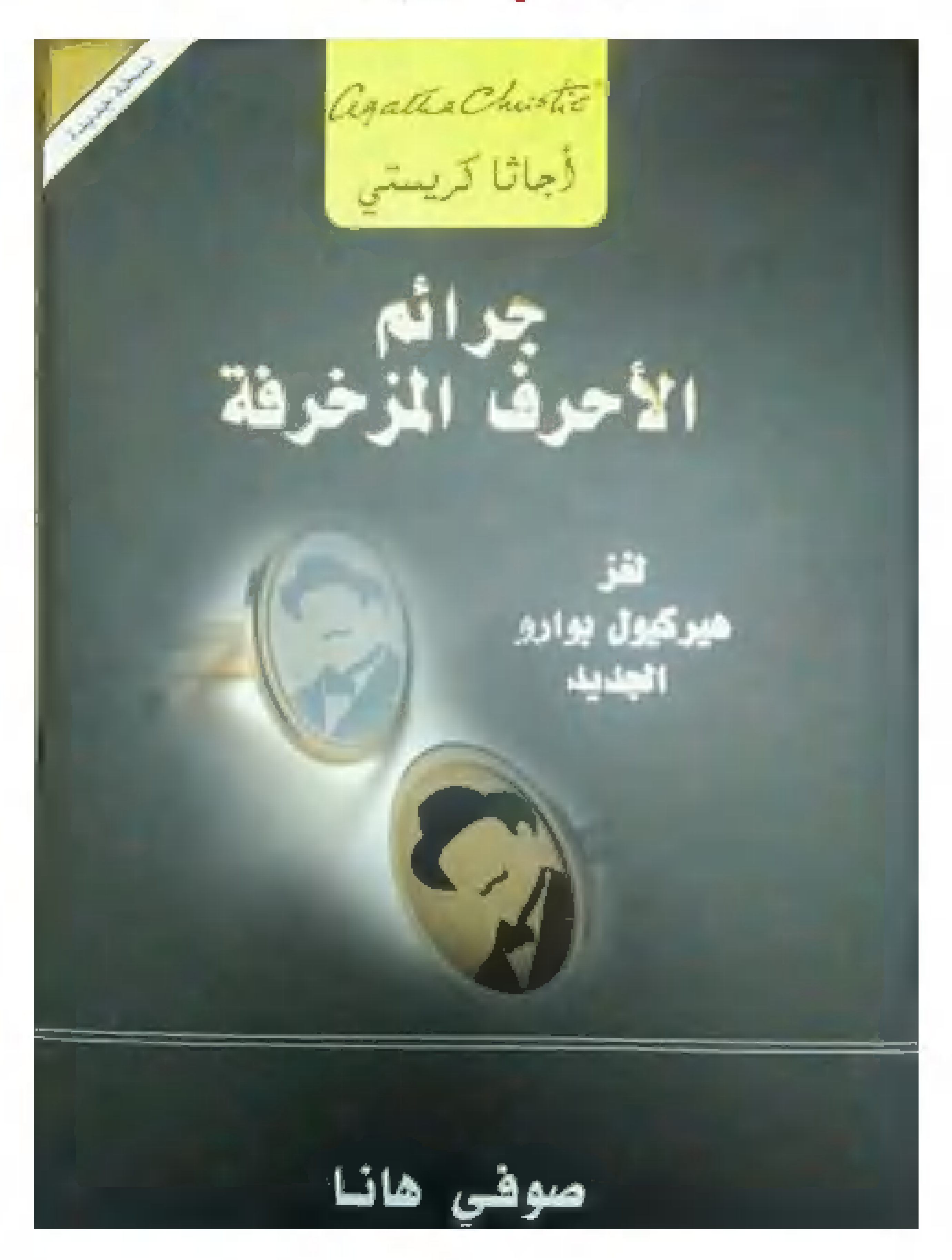
قال بوارو: "الامتنان على الجمع بين شخصين يحبان بعضهما البعض كثيرًا".

قلت: "ممن هذا الخطاب؟".

ابتسم بوارو وقال: "من السيد والسيدة أمبروز فلاورداي". ثم سلمني إياه لأقرأه.

التهاية




Agatha Christie
أجاثا كريستي
جرائم
الأحرف المزخرفة
لغز
هيركيول بوارو
الجديد
صوفي هانا